

الجزء الأول

حوادث عهد الاقطاع

تأليف

احسان النمر

« ثمن النسخة مائة مل فلسطيني »

١٣٥٧ هـ مطبعة ابن زيدون بدمشق ١٩٣٨ م





تاريخ جبل نابلس والبلقاء

الجزء الأول

حوادث عهد الاقطاع

تأليف

احسان النمر

«ثمن النسخة مائة مل فلسطيني»

١٣٥٧ هـ   مطبعة ابن زيدون بدمشق   ١٩٣٨ م



احسان النمر

« مؤلف تاريخ جبل نابلس والبلقاء »

مصادر تاريخ جبل نابلس والبلقاء

الكتب :

(١) الأتراك العثمانيون — لمحمد النمساوي .

(٢) الأصول العربية لتاريخ سوريا في عهد علي باشا — جمع الدكتور أسد رستم .

(٣) الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل — للحنبلي المقدسي .

(٤) التاريخ العثماني — لعلي رشاد بك .

(٥) الجغرافية المقدسة — للأستاذ أسعد منصور .

(٦) الحكومة المصرية — للأستاذ كرد علي .

(٧) الدولة العثمانية — لجودت باشا .

(٨) الرحلة القدسية — للشيخ عبد الغني النابلسي .

(٩) العبر في كشف أسرار القرن الثالث عشر — لمحمد نجاتي .

(١٠) الفتوحات الإسلامية .

(١١) الكواكب السائرة عن المائة العاشرة — للشيخ نجم الدين ابن الشيخ محمد .

(١٢) الوسيط في الأدب العربي — للأستاذ الشيخ أحمد الإسكندري .

(١٣) بعض مجلات منها المعارف اللبنانية .

(١٤) تاريخ الدولة العثمانية — لفريد بك المصري .

(١٥) تاريخ السامريين — للقسيس إلياس صموره .

(١٦) تاريخ دولة المماليك — للسير وليم موير .

(١٧) تاريخ سليمان باشا والي عكا — بقلم كاتبه المعلم إبراهيم العورا — وتعليق الخوري قسطنطين الباشا .

(١٨) تاريخ سوريا المدرسي .

(١٩) تاريخ عمومي لإحسان شريف .

(٢٠) تاريخ فلسطين — للأستاذين عمر البرغوثي وخليل طوطح .

(٢١) تاريخ لبنان — للمسعودي .[1]

---

(١) اسم على مسمى .

(٢٢) تاريخ مصر — لابن أياس .
(٢٣) خطط الشام — للأستاذ كردعلي .
(٢٤) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر — للشيخ محمد أمين المحبي .
(٢٥) سبائك الذهب في معرفة أنساب العرب — للشيخ محمد البغدادي الملقب بالسويدة .
(٢٦) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر — للشيخ محمد خليل المرادي .
(٢٧) صفوة تاريخ مصر والدولة العربية — للشيخ أحمد السكندري .
(٢٨) طبقات الحنابلة — لابن أبي يعلى .
(٢٩) فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية — للأستاذ عيسى السفري .
(٣٠) قبائل شرقي الأردن — لبيك باشا الإنكليزي .
(٣١) ماجريات فلسطين من سنة ١٨٤٥ الى سنة ١٨٦٣ م للقنصلية الإفرنسية بقلم القنصل المسيو جمس فين .
(٣٢) مجموعة المحررات السياسية والمفاوضات الدولية عن سوريا ولبنان من سنة ١٨٤٠ م الى سنة ١٩١٠ م — تعريب فيليب خازن .
(٣٣) مختصر تاريخ آداب اللغة العربية — للأستاذ جورجي زيدان .
(٣٤) مختصر تاريخ العثمانيين — لإبراهيم حلمي نجار زاده .
(٣٥) مختصر طبقات الحنابلة — للكمال الغزي — اختصار الشيخ كمال الشطي .
(٣٦) مختصر تاريخ مدنيت — لمؤلف تركي .
(٣٧) نابليون بونابرت — للأستاذ أمين الخوري .

المخطوطات :

(١) سجلات المحكمة الشرعية بنابلس : كان ماء القريون في أول القرن الثاني عشر الهجري طغى على دار مجلس الشرع الشريف جوار الشيخ بدر الغفير فجرف سجلاته ، ولم ينقذ منها إلا أربعة ، وهي سجل سنة ١٠٦٦ هـ ، وسجل سنة ١٠٩٧ هـ ، وسجل سنة ١١٠١ هـ ، وسجل سنة ١١٤٢ هـ ، وبعض أوراق ترجع الى تواريخ متعددة ؛ ثم من سنة ١٢١٠ هـ الى الآن ، تسير متسلسلة وقد سجلت فيها جميعها مخابرات رسمية كثيرة كما سيظهر .

(٢) سجلات المحكمة الشرعية في دمشق — تبدأ من سنة ١٠٧٦ فما بعد ، إلا أنها غير معتنى بها .

(٣) سجلات المحكمة الشرعية في القدس — تبدأ حوالي سنة ٩٢٧ ﻫ فما بعد ، وهي مجلدة ومرتبة إلا أنها ممسوحة وخطوطها غير حسنة ، ولم يسجل فيها من المخابرات الرسمية إلا القليل .

(٤) أوراق آل النمر — بعد موت موسى آغا النمر جمع أحمد آغا النمر كافة أوراق آل النمر في صندوقه ، وورثها بعده ولده عبد الفتاح آغا ، ثم حفيده حسين آغا ، ومنه وصلت إلي ، وقد حفظت على اختلافها ، ففيها الوثائق الرسمية والاقطاعية والتجارية ، والمكاتبات الخصوصية والسياسية . وبعد التحقيق تبين لي أن ما حفظ عند آل النمر من الأوراق يفوق ما حفظ عند جميع الأسر التي تماثلها في عصرها ، رغم فقدان كثير من أوراقها في الزلازل والحوادث ، وأكثر الفضل في ذلك يعود لحرص وأمانة المرحوم عمي حسين آغا النمر الذي سهر على حفظها في الوقت الذي كانت تذهب فيه أوراق سائر الأسر هباء . ولقد كان حفظ هذه الوثائق السبب في كشف كثير من النقاط التاريخية الغامضة . ولهذا فظهور أكثر الوثائق في الكتاب لآل النمر ، إنما هو لتوفرها عندهم دون غيرهم .

(٥) أوراق آل الشافعي — وهي محفوظة عند شكري بك الشافعي وأهمها التقرير عن أعمال التركمان الذي أدى لإبعادهم عن جبل نابلس .

(٦) أوراق آل طوقان — بالرغم عن أن أكثر حكامهم ظهروا في القرن الثالث عشر ، فإنهم لم يحفظوا من أوراقهم إلا المرسوم السلطاني بتعيين مصطفى باشا طوقان والياً على مصر ، ولولا ما وجدته في تاريخ المرادي وفي سجلات المحكمة الشرعية بنابلس ، وفي أوراق آل النمر ومدونات السامريين لما قدرت على الكتابة عنهم بتحقيق ، لأن أوراقهم تفرقت ثم أبيدت حرقاً وتمزيقاً .

(٧) أوراق آل جرار — وكذلك آل جرار لم يحفظوا من أوراقهم سوى قصيدة

أحمد باشا الجزار ليوسف آغا الجرار ، وقصيدة الأخير لأمراء وشيوخ جبل نابلس ، وبعض مرسومات شكر .

(٨) أوراق آل عبد الهادي — حفظ آل عبد الهادي كافة أوراقهم ، وبما أن تاريخهم يبدأ بدخول ابراهيم باشا المصري سوريا ووثائقهم تتعلق بالحكم المصري على سوريا فقد دونت في الأصول العربية التي قام بجمعها الدكتور أسد رستم أستاذ التاريخ في الجامعة الأمريكية .

(٩) باقي عشائر جبل نابلس — آل القاسم ، والجيايسة ، والحاج محمد ، والبرقاوي وغيرهم لم يحفظوا شيئاً من الأوراق السياسية . وقد اطلعت على حجج وأنساب لبعض الأسر الشريفة استفدت منها بعض الفائدة .

(١٠) مدونات السامرين — كان بعض كهان السامرين يكتبون تقاويم عن الأحوال الآتية وعن سير الحوادث ، وأهم ما وجدته كراس المعلم إبراهيم الدنفي كاتب سراي نابلس حينما هاجمها ظاهر العمر ، فكتب عن هجومه ورده عن نابلس ، وبالرغم عن نقص الكراس في بدايته ونهايته ، وبالرغم عن تحيزه وممالأته لمصطفى باشا طوقان فقد استفدت منه فائدة كبيرة ، وكذلك التقاويم فإنها جلت لي بعض النقاط الغامضة ، وهي محفوظة عند الكاهن ناجي خضر السامري .

الروايات :

بالرغم عما قوبلت به من الاستهجان والاستغراب عند البعض فقد وفقت للحصول على روايات ترجع الى ما قبل ستة قرون . إذ منها ما يرجع الى الحروب الصليبية وعهد الأيوبيين والمماليك ، وقد رواها رواتها عن مخطوطات مفقودة ، ومنها ما يرجع الى أوائل العهد العثماني . ثم معلومات وأخبار مرتبة ومفصلة عن عهد الأقطاع العثماني ، وما تلاه من التطورات التي أكملت ما قصرت به الوثائق المحدودة البحث ، وبالرغم عن الاضطراب السياسي الذي غمر جبل نابلس في الحرب الأهلية ودور الانحلال فقد وجدت عند المعتدلين والمتعقلين من الاتزان والأمانة في النقل ما أوصلني الى كثير من الحقائق الناصعة . وقد بدأت بسماع هذه الروايات منذ بلوغي سن التمييز عن عدد كبير من شيوخ وشيخات أسرتي وغيرهم ممن لا أحصي عددهم ، ولذلك لم أذكر أسماءهم .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعدُ فإن مقاطعة جبل نابلس هي إحدى المقاطعات التي مثلت في تاريخ الشرق العربي في القرون الخمسة الأخيرة دوراً خطيراً مجيداً مع المحافظة على سنيتها وعروبيتها ونفسيتها محافظةً عجيبة . وقد أصبح لها بمناسبة وجود الركب الشاميّ فيها ومروره منها هي والبلقاء شأن كبير ؛ إلاّ أن غموض حوادثها ، وتقصير أبنائها بكتابة تاريخها كاد يطمس أمجد صحيفة في تاريخ الأمارات العربية في القرون المذكورة لولا أن الله وفقني لتداركها وتدوين ما بقي في الكتب والسجلات ورؤوس الشيوخ من الحوادث والروايات ، فألفت هذا التاريخ باسم «تاريخ جبل نابلس والبلقاء» لشمولة حوادث جبل نابلس وبعض حوادث قبائل البلقاء في العهد الذي برزت فيه شخصية جبل نابلس ، وقد قسمته الى ثلاثة أجزاء ، الأول منها : يبحث عن حوادث العهد الاقطاعي ؛ والثاني : يبحث عما بلغه جبل نابلس في عهد الاقطاع من الحضارة ؛ والجزء الثالث : يبحث عن الحكم الأجنبي والنضال القومي ، شاملاً لقضية فلسطين ، بأسلوبٍ تحليليٍّ صريح ، متضمناً بعض مذكراتي الخاصة .

هذا وإنني أشكر جميع من ساعدوني باطلاعي على الكتب والمخطوطات والروايات ، راجياً قبول عذري بعدم ذكر أسمائهم لكثرتهم ونسياني

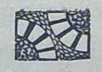
بعضهم لطول العهد ، كما أسجل في هذه المقدمة اعترافي بالفضل في تعلمي علم التاريخ لأستاذيَّ السيدين حيدر تفاحة الحسيني ، وجميل كمال البطوطي ، لأنهما شجعاني ونظما قابليتي للتاريخ أيام دراستي في المدرسة الرشدية العثمانية ، وفي مدرسة النجاح الوطنية .

وإنني أرحب — مع الشكر — بكل انتقادٍ نزيه أو معلومات جديدة ، تعضدها البينة الواضحة ، والنية الحسنة ، لكي أصحح الخطأ ، وأكمل النقص في الطبعة التالية ، والله الموفق .

المؤلف

في ١٥ ذي القعدة سنة ١٣٥٦

احسان النمر



مقدمة تاريخية

كانت نابلس في عهد الكنعانيين تعرف بشكيم ، ولم تكن ذات أهمية ، فقد استولى عليها الإسرائيليون بسهولة ، ثم دخلت في حكم الاشوريين الذين نفوا سكانها الى العراق وأتوا بعراقيين أسكنوهم مكانهم . ثم تغلب الفرس على الاشوريين فانتقلت نابلس لحكمهم ، ثم تلاهم اليونان فالرومان ، وفي هذا العهد ثارت شكيم فهدمها الرومان (1) ثم جددوا بناءها باسم « نيوبلس » أي البلدة الجديدة ، وقد ظلت تحت حكمهم الى أن دخلها المسلمون . وقد وردت تفاصيل تاريخها القديم في الكتاب المقدس وفي التاريخ العام . أما في العهد الإسلامي الأول فلم يكن لها ذكر ، إذ كان سكانها خليطاً من نصارى العرب والسامريين والحكام والجنود المسلمين ، فلم تكن لها حوادث تذكر ولا شخصية بارزة . وفي هذا العهد عرفت هذه المقاطعة بجبل نابلس ، ثم اضطربت سوريا كلها طيلة الحروب الصليبية وما بعدها بقرون في عهد الأيوبيين والمماليك والعثمانيين . وفي هذه الأثناء برزت شخصية جبل نابلس وصار يشترك بحوادث سوريا ، مما أحوجني الى كتابة مختصر حوادث سوريا في هذا العهد مما له علاقة وصلة بهذا التاريخ .



(1) وكان ذلك سنة ٦٦ م في عهد الامبراطور فسباسيانوس .

الباب الاول

حوادث سوريا من نهاية الحروب الصليبية الى الفتح العثماني

الفصل الأول

الغارات الخارجية

الحروب الصليبية

تقلصت الدولة الرومانية في عهد الخلفاء الراشدين والأمويين الى داخل الأناضول ، فكانت سوريا آمنةً من عدوانها لوفرة القوى الإسلامية فيها . ولما نقل مقر الخلافة الإسلامية من دمشق الى بغداد ، صار الروم يهاجمون سوريا بلا انقطاع . ولما ظهرت الدولة الفاطمية صارت تنازع العباسيين والسلاجقة السيادة على سوريا ، فاستولت عليها ، ثم اشتدّ عزم السلاجقة واستولوا على سوريا الشمالية والوسطى واكتسحوا قسماً كبيراً من بلاد الأناضول ، فذعر قيصر الروم واستنجد بالبابا في روما ، فأثار البابا جميع أوروبا مستغلاً ما كان يصيب الزوار الأوروبيين من أذى جيوش السلاجقة والفاطميين المتحاربين . وقد شجع ملوك أوروبا ما بلغهم عن وقوع الخلاف الشديد بين الخلافتين الإسلاميتين في مصر وبغداد ، فجيشوا الجيوش الجرارة للاستيلاء على الأراضي المقدسة ؛ ولوضعهم شارة الصليب على المحاربين ، عرفوا بالصليبيين وعرفت حروبهم بالحروب الصليبية .

وقد ابتدأت هذه الحروب سنة ٤٨٩ ﻫ وانتهت سنة ٦٧٠ ﻫ ، وإذ كانت أوروبا في عهد الاقطاع الخشن ، فقد كانت حروب الصليبيين غايةً في الخشونة ، أصبحت سوريا خلالها مقبرةً للشرق والغرب . ولم

يقف الأمر عند هـذا الحد بل تلت الحروب الصليبية غارات أواسط آسيا من المغول والتتار والتركمان ، وقد توالت هذه الغارات الى أوائل القرن التاسع الهجري . ولم تكن في خشونتها وفظاعتها تقل عن غارات الصليبيين ؛ إلا أنها كانت موجهة نحو شمال سوريا وشرقها أي نحو القسم الذي نجا أكثره من غارة الصليبيين ، وبذلك عمّ البلاء سوريا كلها .

وكان الشعب العربي في سوريا خلال ذلك آخذاً بالفناء والتقلص الى البادية والأقطار المجاورة . وبعـد هدوء العواصف الغربية والشرقية أخذ يتوافد على سوريا تارةً سلماً بالاستيطان وتارةً حرباً بالاشتراك مع التركمان الذين استولوا على الشمال وأصبح لهم تأثير كبير في حوادث سوريا .

التركمان

التركمان أصلهم من أواسط آسيا مما وراء نهر جيحون بدأوا غاراتهم من أواخر عهد العباسيين ، فاستوطنوا القسم الشرقي من آسيا الصغرى ، وأسسوا إمارتين ، إحداهما في الشمال عرفت بإمارة تركمان الوبر الأسود (قره قويونلر) ، والأخرى في الجنوب عرفت بإمارة الوبر الأبيض (آق قويونلر) ولمجاورة الأخيرة لسوريا كان لها تأثير كبير في حوادثها ، وقد عرف أمراؤها بذي القدرية لأن مؤسسها هو ذو القدر بك . وقد احتل فريق منهم كليكيا بعد زوال حكومة الأرمن فعرفوا بالقرمانيين ، واحتل فريق آخر ساحل سوريا الشمالي في نهايـة الحروب الصليبية ، وقد امتدوا جنوباً فاستولوا على جبيل و كسروان ، واصطدموا بدروز لبنان . وكان أمراؤهم يعرفون بآل سيفا ، و كانوا سنيين غيورين فأصبحوا أصحاب سيطرة ونفوذ في سوريا الساحلية ، وقد جعلوا مركزهم طرابلس الشام بعد أن عرفت إيالة الساحل بإيالة طرابلس .

الفصل الثاني

العرب في سوريا

قبل الاسلام

لا يعلم في الحقيقة بدء استيطان العرب في سوريا ، ولكن المحقق أن الغساسنة القحطانيين أسسوا ملكهم في الشام قبل التاريخ المسيحي ، ولما زحفت قبائل ربيعة من نجد الى الشمال بعد حرب البسوس نزلت تغلب والنمر وأياد في الجزيرة الفراتية في رأس العين والرها ، وامتدت في شمال العراق وشمال سوريا .

في الفتح الاسلامي

كانت الجيوش الإسلامية كلها عربية اشتركت معها القبائل العربية على اختلافها ومنها كلب ، وجذام ، وتغلب ، والنمر ، وأياد ، وقيس ، ومضر وغيرها ، فانتشرت وتغلغلت في سوريا كلها .

ولما ضعفت الدولة العباسية ، قام الحمدانيون أمراء تغلب بتأسيس إمارتين إحداهما شرقية مركزها الموصل ، والأخرى غربية مركزها حلب ، وقد انضمت إليهم جميع القبائل العدنانية بما فيها : بكر ، والنمر ، وأياد ؛ فكانت سداً بوجه الأقوام الشمالية ودولة الروم الشرقية الى أن قضي عليها سنة ٤٣٠ هـ على يد الأمير صالح بن مرداس الكلابي اليمني . ولما هاجم الصليبيون سوريا لم يلقوا مقاومة تذكر ، واستمر ضعف الجنس العربي بعد ذلك ولم يظهر أمره إلا في عهد المماليك .

في عهد المماليك (١)

تدفقت على سوريا بعد الحروب الصليبية عشائر كثيرة : من بدو الحجاز ونجد والعراق ومصر ، أكثرها من قبيلة طيّ كالموالي ، وآل علي ، وأبي ريشة ، والفضل ، وربيعة ، وقد امتدوا من الشمال الى الجنوب ، واشتركوا مع عرب سوريا والتركمان بالغارة على سوريا بلا انقطاع حتى اضطروا المماليك الى الاهتمام بهم . قال السير وليم موير « إن البدو كانوا أمة مستقلة إلا أن عاداتهم في الظعن والترحال لم تجعلهم يتخذون لهم مستقراً في أي صقع من سوريا ، ولا أن يشتركوا طويلاً اشتراكاً فعلياً في أمر واحد » . ولو أنهم اتفقوا حول أمير من أمرائهم وصوبوا هدفهم نحو غاية واحدة لكان لهم شأن آخر . ومع كل هذا فإن ضعف المماليك ولفرقهم حملهم على الاستعانة بهم . حتى أن الملك المؤيد الذي كان يعرف بالشيخ المحمودي إنما نال ملكه بمساعدتهم وعمل جهده لترضيتهم فنصب في دمشق خليفة علوياً إرضاء لهم .

في الفتح العثماني

نزح بطن من قبيلة قايي خان من أواسط آسيا واستقر في قلب آسيا الصغرى في مملكة السلطان علاء الدين السلجوقي . وبعد موته انقسمت مملكته الى ممالك صغيرة منها مملكة قبيلة قايي خان المذكورة . ولأن سلطانهم الأول اسمه عثمان فقد عرفوا بالعثمانيين ، وما لبثوا أن اتسع

---

(١) استولى الايوبيون على ملك مصر بعد الفاطميين وكانوا بحاجة الى الجند الدائم لمحاربة الصليبيين فأكثروا من المماليك الاتراك الذين استولوا على ملكهم فيما بعد وقد أكثر ملوك وأمراء هؤلاء من المماليك الشراكسة الذين استولوا على الملك فيما بعد في مصر وسوريا والحجاز الى أن أخذه منهم الاتراك العثمانيون .

ملكهم في آسيا الصغرى والروملي ، وأصبحوا في أوائل القرن العاشر الهجري على حدود سوريا فاتفق معهم أمير تركمان ذو القدرية إذ ذاك الأمير شهسوار [1] الذي كان حاقداً على المماليك . فهاجم المماليك ثم صالحوه واستقدموه الى مصر وشنقوه فيها ، فلجأ ولده علي بك شهسوار الى السلطان سليم العثماني وبمساعيه انضمت بعض العشائر العربية المجاورة من بطون طي كالموالي وبطون من النمر وتغلب وأياد الى الدولة العثمانية ضدّ المماليك . ولما حاول هؤلاء تأديبهم انقضّ عليهم السلطان سليم العثماني سنة ٩٢٣ ﻫ وفتح سوريا التي كان متفقاً مع بعض أمرائها — جانبردي الغزالي وخيري بك — بسهولة . وقد انضمت لجيشه جموع من التركمان وبدو الجزيرة الفراتية وبادية الشام . ولما دخل دمشق عرض عليه عرب سوريا الوسطى وتركمانها الطاعة ولما أتى أمراؤهم للسلام عليه في القصر الأبيض بدمشق أنابوا بالكلام عنهم أمير لبنان الأمير فخر الدين المعني الأول فسرّ منه ولقبه بسلطان البر ، وأعطى الأمير عساف آل سيفا أمير تركمان الساحل إمارة على كسروان وجبيل ثم عين والياً على الساحل فيما بعد ، وكذلك جدّد لأمراء حوران وعجلون إمارتهم . ثم سار الى الجنوب فحطّ رحاله على خان جلجولية فوفد عليه شيوخ البلدان الجبلية وهي صفد ، ونابلس ، والقدس ، والخليل التي صاروا في آخر عهد المماليك أصحاب السيطرة عليها فقدموا له مفاتيح قلاعها فأعادها اليهم وأعطى الراية لكبيرهم الأمير أحمد بن بكر شيخ عشيرة وائل احدى بطون ربيعة طي وشيخ جبل نابلس .

وقد سُرّ السلطان سليم من معاضدة عرب سوريا والتركمان فاعتز

---

(١) ومن ذرية هذا الامير الاسرة المعروفة في نابلس بصوار وهي على وشك الانقراض .

بهم وعدّهم عضد الدولة فأغدق عليهم العطايا والألقاب ، وولاّهم المراكز الكبيرة في سوريا وغيرها ليقضي بهم على نفوذ المماليك . فشكل منهم في دمشق فرقة كبيرة سميت باليرلية أي الوطنيين أصبحت ذات الحول والطول حتى أواسط الحكم العثماني الاقطاعي ، وكان لها تأثير كبير في تخفيف وطأة الانكشارية [١] في العهد العثماني كله .

ولم يكتف السلطان [٢] بهذا بل أدخل بعض أمراء العرب والتركمان في جيشه وقد ذهبوا معه الى العاصمة فولاّهم مراكز طيبة في الروملي والأناضول ، ومن ذلك الحين أصبح العرب خصوصاً السوريون يحتلون مراكز كبرى في الدولة . ويمكن اعتبار الفتح العثماني بدء نشوء الفكرة العربية واستقرار العرب في سوريا بعد الاضطراب الدائم الذي دام نحو خمسة قرون كاد يقضى فيها على العنصر العربي .

هذا وان على فهم حالة الحكم العثماني وما تمتع فيه العرب من الحرية معوّل كبير فإنهم كانوا يؤثرون العرب على المماليك والأنكشارية ، فقضى على الفريقين وقوى العنصر والنفوذ العربي قوة تامة .

❁❁❁

---

(١) الانكشارية هم أطفال نصارى البلاد المفتوحة ، كانت الدولة العثمانية تأخذهم وتربيهم تربية إسلامية فتكون منهم لديها جيش دائم أصبح سوطاً على أوروبا ثم فسد فصار نقمة عليها . (٢) وكان السلطان يفكر بنقل عاصمة الدولة الى دمشق وجمع الشعوب الإسلامية حوله ففاجأته المنية قبل أن ينفذ فكرته ولو نفذها لصارت الدولة العثمانية دولة عربية أكثر منها تركية .

الفصل الثالث

نظام الحكم العثماني

التقسيمات الادارية

كانت سورية في عهد المماليك تقسم الى أربع عشرة مقاطعة وهي: دمشق، والقدس، وحمص، وبعلبك، ورحية، وعجلون، وصرخد، وماسيات، والرملة، ونابلس ويعرف حاكمها بالكاشف، ثم حلب، وبيروت، وصيدا، وتدمر ويعرف حاكمها بالنائب. فلما فتحها السلطان سليم قسمها الى ثمان ايالات وهي: حلب، ودمشق، وحمص، وحماه، وطرابلس، وصفد، والقدس، وغزة ويعرف حاكمها بالوالي؛ وقسمت كل ايالة الى ألوية يعرف حاكمها بالمتسلم. وبعد عصيان الغزالي قسمت الى ثلاث ايالات وهي: ايالة حلب وتشمل حمص وحماه، وايالة طرابلس وهي تشمل الساحل كله من اللاذقية الى غزة، وايالة الشام وهي تشمل جبل لبنان والبقاع وحوران، وعجلون، وصفد، وجبل نابلس، وجبل القدس، أي القسم الداخلي جميعه.

الوظائف والرتب

كانت الدولة العثمانية دولة عسكرية فلم يكن فيها فرق كبير بين الوظائف الإدارية والوظائف العسكرية. فكان رئيس الوزارة (الصدر الأعظم أو الوزير الأعظم) هو القائد العام للجيوش العثمانية، وكان يطلق عليه رتبة سر عسكر. وكان في كل ايالة أميران أحدهما إداري يسمى الوالي والآخر عسكري يسمى قول كهيا أو كتخدا وكانت رتبة

الاثنين مير ميران أي أمير الأمراء ولقب كل منهما باشا ، ويأتي بعدهما في الدرجة أمراء ثانويون وهم أمير السلاح (سلحدار) ، وأمير الباب (سكبان باشي) أو (سر بوابين) ، وأمير اصطبل (مدير اصطبل عامره) ، وأمير المال (الدفتر دار) أي الدفتري . وكان في كل لواء أميران أحدهما إداري يسمى مير اللواء والأمير العسكري وهو الميرالاي ، وكان ينوب عن مير اللواء في اللواء أي السنجق موظف يسمى بالمتسلم أو القائمقام وقد ينوب عن الميرالاي ضابط يعرف بالزعيم كما سيأتي .

« الألقاب »

باشا - هو أكبر ألقاب الدولة العثمانية بعد السلطان ، ولهذا اللقب حادثة طريفة وهي أن السلطان عثمان مؤسس الدولة مات عن ولدين وهما الأمير علاء الدين وهو الأكبر وصاحب الحق بالملك بعده والأمير أورخان الأصغر إلا أن الأمير أورخان كان شجاعاً قديراً والأمير علاء الدين كان عادياً بسيطاً فتنازل لأخيه الأمير أورخان عن الملك ، فصاروا يقولون عنه أخو السلطان الأكبر ، وهذا باللغة التركية هو « آغا بيك شاه » ثم حرفت الى « آبيه شا » ، ثم حرفت الى باشا ، ولأنه كان وزيراً لأخيه فقد صار هذا اللقب للوزراء ثم الأمراء الكبار .

اغا - هو أكبر ألقاب الطورانيين على الإطلاق وهو كلقب سيد عند العرب ، فقد جاء في تاريخ - مختصر تاريخ مدنيت - « أن الطورانيين كانوا يلقبون رفيع القدر عندهم بآغا أو آقا » . وكان من ألقاب كبراء المغول في الهند والمماليك بمصر ، فقد لقب به الأمير شاهين وزير الملك الصالح أيوب . وكان يلقب به أمير

القصر عند ملوك (خانات) التتار في القريم . ثم استعملوه للمحاسبين في المدن . وكان الأتراك العثمانيون يلقبون به قائد الانكشارية الأكبر ، ولما استولوا على القريم قلدوا استعماله للمحاسبين فلقبوا به المتسلمين والزعماء العسكريين ثم كثر ولقب به الأميون والخدم فصار كلقب مولى عند العرب يلقب به السيد والمسود ، وصار لقب الأمراء يلفظ بمده على الألف الأولى أي آغا وغيرهم بدون مده .

بك ـ هي كلمة محرفة عن كلمة بيوك أي الكبير كان يلقب به أمراء الكتائب فيقال للواحد منهم الاي بك أي كبير الكتيبة ، ثم لقب به الزعماء وأبناء الباشاوات .

أفندي ـ معناه السيد والمولى كان يلقب به أمراء الأسرة المالكة والقاضي والمفتي والموظفون الإداريون .

جوربجي ـ كان السلطان حينما يخرج للصيد أو الحرب يولي شؤونه أربعة أمراء من كبار الضباط لكل منهم لقب خاص وهم : شورباجي أي صاحب المطبخ ، صوباشي أي صاحب الماء ، واشنجي أي صاحب السلاح ، ووكيل خرج أي وكيل المهمات والذخائر . وكان الأول أهم هذه الألقاب لأنه يطلق على ناظر المطبخ الذي يعهد إليه بحراسة مطبخ السلطان وطعامه فلا يقدم طعام للسلطان ما لم يفحص من قبله ولذلك فالشوربجي كان يختار من الأمراء الأذكياء الأمناء ، ولأهمية هذا اللقب فقد عمم وأصبح لقباً تشريفياً يعطى لكل أمير يبدي شجاعةً وأمانةً وإخلاصاً فائقاً . وما كان يعطى إلا لمن يبلغون

درجة أمير كتيبة (ميرالاي) فما فوق . وقد ميز حاملو هذا اللقب على باقي الأمراء في الجيش ، فقد جاء في خطط الشام : « الشوربجية هم ضباط الجند الذين يقدم لهم الحساء في قدر خاص ، ورتبة الواحد منهم تعادل رتبة قائد بعرفنا . » وهذه الكلمة أصلها چوربابي فنطق الجيم الأولى شيناً ثم حرفت فنطقت جيماً وأصبحت كلها جوربجي .

بشه ـ هو لقب الضابط البسيط .

خواجه ـ أي المعلم يطلق على رؤساء المهن والحرف ومنهم رؤساء التجار .

خانم ، وخاتون ـ هما لقبان فارسيان تلقب بهما ربات الخدور .

سيد ـ بدلاً من سيّد بتخفيف الياء يلقب به الوجهاء غير الأشراف ويلقب به الجد .

الست ـ بدلاً من سيدة كانت تلقب به السيدة التي ليست من أسرة شريفة أي ليست من سليل آل البيت رضي الله عنهم .

الفصل الرابع

الفوارق وعوامل الفتن
في سوريا

« الأجناس »

الأكراد ـ كانوا يسكنون في الشمال ، ومنهم سكان حي الصالحية بدمشق وحي الأكراد في الخليل والسلط ، وهم من بقايا العهد الأيوبي . وقد استفحل أمر أكراد حلب ودمشق

واتفقوا مع المعنيين وأحدثوا تطوراً كبيراً في حوادث سوريا .

التركمان — كانوا يسكنون الشمال الغربي والساحل الشمالي ، وبعد دخول الأتراك العثمانيين نزلوا في دمشق واستوطن أمراؤهم الميدان التحتاني وقد شكلوا كتائب اليرلية حتى أصبح منهم نحو ربعها ، وصار أمراؤهم أمراء للركب الشامي بعد موت محمد باشا فروخ حاكم نابلس . وقد اشتركوا في حملة عبد الله باشا النمر الى جنوب سوريا وقد تعربوا وأصبحوا سنداً للعرب السنيين في سوريا كلها .

الانكشارية — هم جند الدولة نزلوا في المراكز الكبيرة كحلب ودمشق وحماه والقدس ونابلس وغيرها واقتطعوا القرى والضياع ، وكانوا في نزاع مستمر مع الجنود اليرلية أي الوطنيين الى أواخر عهد الاقطاع .

الأخلاط — وكان يوجد بقايا أجناس كثيرة ممن سبق لهم احتلال سوريا كالسلاجقة ، والتتار ، والمغول ، والصليبيين ، والمماليك وهم متفرقون في المدن الكبرى وبعض المدن الصغرى لا تربطهم رابطة ، وقد تعربوا وانقرضوا تدريجياً .

العرب — أصبحوا بدوهم وحضرهم الأكثرية الساحقة في سوريا كلها ، وقد رسخ قدم أمرائهم في العهد العثماني فسادوا وعربوا جميع السكان واستقلوا في كثير من المقاطعات ولم يبقوا للدولة فيها إلا سيادة اسمية ، وقد استفادوا من حلفهم مع التركمان فاعتزوا بهم وعربوهم .

❀❀❀

« المذاهب »

المسيحيون — لم يكن لهم شأن في هذا العهد لأن الحروب الصليبية تركتهم أقلية ضعيفة لا شأن لها ، فاقتصر النزاع على الفرق والمذاهب الإسلامية الآتي ذكرها .

الجلاليون — هم أكراد أثرت فيهم دعايات الشيعة الأعاجم في العراق وإيران ، فاصطدموا بالسنيين وظلوا في نضال معهم الى أن ضعفوا واضمحلوا .

الدروز — هم حزب سياسي أسسه الخليفة الفاطمي الحاكم بأمره ، وقد حملهم الضغط فيما بعد على التستر فدست عليهم معتقدات باطلة خالفوا فيها الجماعة . وقد حاربوا العرب السنيين أمداً طويلاً ، وهم منتشرون في جبلي لبنان وحوران .

النصيرية — هم من الشيعة المغالين يسكنون الجبال الممتدة وراء اللاذقية وطرابلس الشام .

المناولة — هم الشيعة الاثنا عشرية يسكنون جبل عامل وراء ساحل صيدا وفي جهات بعلبك والبقاع .

السنيون — هم الأكثرية الساحقة في سوريا وقد اعتزوا بالتركمان والعرب الداخلين بعد الفتح العثماني وأصبحوا عصبية الدولة العثمانية في سوريا . وكانت جمهرتهم في المدن الكبيرة وفي سوريا الجنوبية .

اسر الإمارة الكبرى

آل جانبولاد — هم امراء الاكراد الجلاليون كانوا سبباً لكثير من الثورات والفتن .

آل سيفا — هم امراء تركمان الساحل القدماء أصبحوا ولاة للساحل وجعلوا طرابلس الشام مركز إمارتهم وصار منهم ولاة على دمشق . وصاروا يتدخلون بشؤون سوريا كلها وقد أضعفهم النضال الطويل مع امراء لبنان فظهر (١) بعدهم آل شهوار وآل حسن باشا من امراء التركمان بدمشق . وقد كان لأمراء التركمان جميعاً فضل كبير في ايقاف المتآمرين على السنيين عند حدهم وقد تعربوا واندمجوا مع العرب .

المهاينيون — هم أمراء قبيلة النمر نزلوا في مهاين من بادية حماه في الحروب الصليبية ولما دخلوا دمشق في الفتح العثماني عرفوا بالمهاينية ولا يزالون . وقد أصبحوا امراء العرب السنيين في سوريا وتفرعت منهم أسر امارة عديدة سيأتي الكلام عنها وقد امتد نفوذهم من بادية حماه فدمشق وحوران وجبل نابلس الى صحارى الحجاز .

المعنيون — هم من سلالة معن الايوبي الكردي حكموا مقاطعة الشوف في لبنان بعد الحروب الصليبية ثم امتد حكمهم على لبنان كله ودان لهم الدروز الذين تمذهبوا بمذهبهم وكانوا قلب المؤامرة على السنيين كما سيأتي .

آل طرباي — هم امراء جبل نابلس الذين اشتهروا بالامراء الحارثين وهم من ربيعة طي اتفقوا مع المهاينيين وآل سيفا فوقفوا موقفاً مجيداً إلى ان ضعفوا كما سيتبين .

---

(١) وهم يعرفون اليوم في سوريا ببني المقدم .

الفقاريون[1] — هم من حزب المماليك الفقاريين صاروا حكاماً لغزه ثم امراء للركبين المصري والشامي وصار منهم حكام على جبل نابلس ورؤساء اجناد وولاة وقد مثلوا دوراً خطيراً في حوادث سوريا وهم يقسمون الى آل رضوان ، وآل بهرام ، وآل كيوان ، وآل فروخ وبانقراضهم في اواسط القرن الحادي عشر الهجري خلت سوريا الجنوبية من الحكام وسادتها الفوضى فنزل الإمامية المهاينيون من بني النمر بجملتهم فيها كما سيأتي .

الفصل الخامس

الفتن والثورات

عصيان جانبردي الغزالي

كان الامير جانبردي الغزالي وخيري بك من كبار رؤساء المماليك اتفقا مع السلطان سليم العثماني آملين التخلص من سلطانهما في مصر ثم الاستقلال بالملك فيما بعد ومكافأةً لجانبردي عينه السلطان سليم والياً على ايالة الشام فأظهر اخلاصاً متناهياً إلا أنه لم يكد يبلغه خبر وفاة السلطان سليم حتى أعلن عصيانه واستقل في سوريا كلها سنة ٩٢٦ ﻫ فأرسل السلطان سليمان السلطان الجديد جيشاً كبيراً بقيادة الصدر الأعظم فرهاد باشا فقتل الغزالي واسترد سوريا وجدد تقسيمها الإداري كما مر .

---

(١) راجع مبحث أحوال مصر في الفصل الأول من الباب الرابع .

الثورة على اياس

عين اياس باشا واليًا على ايالة الشام سنة ٩٢٧ هـ فتحرش بجبل نابلس فثار عليه بقيادة امرائه آل طرباي فخرج اليهم أياس باشا بعساكر الشام وعربانها فغلب وجرح وفر هو وجيشه الى دمشق . واستمرت البلاد ثائرة باقي القرن العاشر إلى أن اضطرت الدولة الى تولية حكم الولايات الى امراء من العرب والتركمان من الأسر المار ذكرها فهدأ العرب السنيون وثار غيرهم .

حكم ابن فريخ ونتائجه

انقرض أبناء الحنش حكام البقاع العزيزي فخلفهم في الحكم ابن فريخ البدوي الذي ربي بينهم وتدرب على الحكم في عهدهم وقد تمرد عليه أهل منطقته فأدبهم فظهر أمره وعظمت سطوته اذ انه قطع دابر الأشقياء ونسلط على المتاولة في بعلبك والبقاع وأدبهم فسرت منه الدولة وضمت إليها مقاطعات اخرى منها لواء عجلون الذي ولى حكمه لصاحبه الوالي ولواء صفد الذي حكمه بنفسه بعد أن ولى حكم لواء البقاع لحاكم من قبله ولواء نابلس الذي ولى حكمه لولده قرقماز الظالم فاستفحل أمره وصار أميرًا للركب الشامي سنة ٩٩٨ هـ والتي بعدها وامتد نفوذه من جبال النصيرية الى جبال القدس وأصبح الولاة يعولون عليه في سوريا لا سيما ولاة الشام .

ولما مر ابراهيم باشا أحد ولاة مصر عن لبنان ومعه أموال مصر يريد تسليمها لخزينة الدولة في العاصمة سطا عليها لصوص لبنان فتعهد ابن فريخ بتأديب اللبنانيين فسطا على لبنان واضطهد أهله حتى اضطر أميره

الأمير قرقماز ابن الامير فخر الدين المعنى المار الذكر إلى الاختفاء في مغارة ما زال مختفياً فيها إلى أن مات .

واشتدت بعد ذلك وطأة ابن فريخ وصاحبه وولده وحكامه على الدروز والروافض والمتاولة فحصلت مؤامرة واسعة اشترك فيها كيوان باشا الفقاري (١) أحد رؤساء أجناد الشام الناقمين على أهل البلاد والدولة ولما تولى ولاية الشام مراد باشا رشاه المتآمرون بواسطة كيوان باشا فانقلب ضد ابن فريخ وهاجمه هو والمتآمرون فقتلوه وولده قرقماز سنة ١٠٠١ هـ .

ظهور الامير فخر الدين الكبير

مات الأمير قرقماز المعنى عن ولدين وهما الامير يونس والامير فخر الدين فلجأت بهما امهما الى كيوان باشا المار الذكر فرعاهما وحماهما إلى أن كبرا فاسترد الامارة للامير فخر الدين الذي لقب فيما بعد بالكبير وأصبح قطب رحى المؤامرة ، ولما انقلب مراد باشا ضد ابن فريخ تعقبه الامير فخر الدين هو والامير موسى بن الحرفوش شيخ الروافض فقتلاه وولده فخلا الجو لهما .

وبعد قتل ابن فريخ تفرغ الامير فخر الدين لشؤون لبنان فنظمه وشكل فيه جيشاً بنظام السكبان (٢) ثم اتفق مع دولة « تسكانا الايتالية » وعقد معها معاهدة تجارية واستولى على قسم من مقاطعة آل سيفا واتفق مع آل جانبولاد امراء أكراد حلب وامتد نفوذه إلى حوران وعجلون وكوّن مؤامرة كبرى .

---

(١) هو أحد مماليك الامير رضوان الفقاري حاكم غزة دخل جند الشام فأصبح من كبار رؤسائه . (٢) السكبان هو نظام كلاب الصيد لان سك معناها كلب وبان معناها النظام في اللغة الفارسية ، وكان أول من طبق هذا النظام الشيخ عبد الحليم اليازجي شيخ الجلاليين في الاناضول فاقتبسه آل جانبولاد في حلب والمعنيون في لبنان .

المؤامرة الكبرى

كان المعنيون يدّعون انهم أيوبيون أكراد وبناء على هذا الادعاء اتفق الامير فخر الدين الكبير مع آل جانبولاد الاكراد ثم انضم اليهم الامير موسى بن الحرفوش شيخ الروافض وانضم اليهم ايضاً المتاولة في جبل عامل والدروز في حوران . وكان يساعدهم كيوان باشا يبث روح التمرد بين الانكشارية في حلب ودمشق وحمص وحماه ويمهد لهم السبيل لرشوة ولاة الشام فتمكن المتآمرون من الاستعداد في كل جهة من حلب الى صفد ومن اللاذقية الى عكاء ولم تنتبه الدولة للأمر إلا بعد اتساع الخطب .

اتفاق أمراء سوريا السنيين

اتصلت أسر الامارة السنية ببعضها فاتفق امراء النمر المهاينيون وآل سيفا امراء تركمان الساحل وآل طرباي أمراء جبل نابلس والامير محمد فروخ حاكم نابلس والتف حولهم السنيون في سوريا كلها . وكان إذ ذاك نصوح باشا النمر والياً على حلب ويوسف باشا سيفا والياً على الشام فكشفا عن المؤامرة .

الفتنة في حلب

في سنة ١٠٠٢ هـ كان نصوح باشا النمر والياً على ايالة حلب وحسين باشا جانبولاد أميراً على عساكرها . وكان الانكشارية قد استفحل أمرهم في ايالة حلب وطلب حسين باشا إخراجهم فكتب نصوح للسلطان فوافق وتعاون نصوح باشا وحسين باشا على اخراجهم . وبعد أن تم اخراجهم هاجم حسين باشا ساقة جيش نصوح باشا ليشغله عن دخول حلب ولكن نصوح باشا لم تخف عليه المكيدة فأسرع بالدخول الى حلب ولبس جلد النمر ، ثم تحصن في حلب وصار يستنجد

بقبيلته وعرب البادية ويتوعد حسين باشا فاتسع الخرق . ولما بلغ السلطان الخبر نقل نصوح باشا لمحاربة الجلاليين في الاناضول إلا أن نصوح باشا ظلّ عاصياً الى أن أرسل له السلطان القاضي الشيخ محمد شريف ليتوسط بينه وبين حسين باشا فأذعن نصوح باشا وخرج بجيشه البالغ أربعة آلاف جندي بموسيقاهم في وقت الضحى دون أن يتجاسر ابن جانبولاد على التعرض إليه وانضم الى جيش الصدر الاعظم في الأناضول .

عصيان آل جانبولاد

بعد خروج نصوح باشا من حلب طلب الصدر الاعظم سنان باشا من حسين باشا جانبولاد اللحاق به فأظهر التردد وخرج الى جهات سيواس يتفق مع الانصار للعصيان فادركه الصدر الاعظم هناك وقتله . وحالما بلغ خبر قتله ابن أخيه علي باشا أعلن العصيان في حلب واستنجد بالغجر الجلاليين فأنجده محمد الجلالي بأربعة آلاف من الغجر الجلاليين وصار يغير بهم على سوريا . فتعهد يوسف باشا سيفا والي الشام باخضاع آل جانبولاد فظاهرهم المتآمرون في كل مكان ودخلت المسألة في دور خطير .

انحدار السفيين

لما خرج يوسف باشا سيفا بجيشه من دمشق متجهاً نحو حلب ثار الروافض والمعنيون وقاومه الانكشارية في حمص وحماه فكسر ولجأ الى طرابلس ولما تبعه الامير فخر الدين المعني هرب عن طريق البحر ولجأ الى الامير أحمد بن طرباي أمير جبل نابلس . فخرج اليه الامير فخر الدين المعني بجيشه السكبان الى جبل نابلس فقاومه الامير أحمد بن طرباي والامير محمد بن فروخ وكادا يقضيان عليه عند نهر العوجا فاضطر ان

يرجع الى لبنان وكان حسن باشا المهايني دفتري دمشق قد فتك بالانكشارية في دمشق فتمكن يوسف باشا من الرجوع اليها .

ولما بلغ المتآمرون خبر رجوعه حاصروا دمشق واضطروه الى مغادرتها فلجأ ثانية الى جبل نابلس فتبعه الامير فخر الدين المعنى واستولى على قلعة جينين فحاصره طرباي فيها ولم ينج إلا بصعوبة . وقد نزل يوسف باشا وأقاربه من آل سيفا في قرية برقه وظل هناك إلى أن جاء الصدر الاعظم بالذات . وقد قام بالدفاع عن امارته في الساحل ابن عمه علي باشا سيفا فوقع النزاع بينهما فيما بعد .

القضاء على ال جانبولاد

لما استفحل أمر العصيان في سوريا و كشفت المؤامرة للدولة العثمانية أرسلت جيشاً بقيادة الصدر الاعظم مراد باشا فقضى على علي باشا جانبولاد[1] وأتباعه ثم سار الى حمص وحماه فأخضع الانكشارية ولما وصل الى الشام وأراد إخضاع لبنان رشاه كيوان باشا فتشاغل بالبدو وقتل اميرهم الامير حسين الحيارى فهاجموه ونهبوا ساقة جيشه وأهانوه فمرض وأرسل يطلب مساعداً من السلطان الذي أدرك الحاجة لارسال وزير عربي يخضع المتمردين ويعالج العصيان معالجة محلية فعين نصوح باشا النمر قائمقاماً للصدارة . وبعد وصوله بمدة قصيرة مات مراد باشا فعين نصوح باشا مكانه .

الصدر الاعظم نصوح باشا

كان من امراء العرب الذين ضمهم السلطان سليم لجيشه أحد امراء بني النمر الذي عين أميراً عسكرياً في كوملجنة ثم في درامه من بلاد

---

١) ولجأ باقي آل جانبولاد الى المعنيين في جبل لبنان فعرفوا بجنبلاط .

الروملي وقد عاش وتزوج هناك فولد له ولد سماه نصوحاً ورباه تربية عثمانية عالية فدخل وظائف الحكومة وصار أميراً للقصر الملكي وبذلك تعرف على الاسرة المالكة ثم عين والياً على ظلمه في الروملي ولما استمر العصيان في سوريا عين والياً على ايالة الشام ثم على ايالة حلب فحصل ما حصل بينه وبين حسين باشا ثم ذهب لمحاربة الجلاليين في الاناضول وبعد القضاء عليهم أرسل لمحاربة الشيعة في العراق ومحاربة دولة العجم فوفق ودخل مع دولة العجم في مفاوضات للصلح وفي هذه الأثناء طلب الى سوريا فعهد للشيخ خضر المارديني بعقد الصلح مع دولة العجم فأتمه في سنة ١٠١٥ هـ .

وكان نصوح باشا حينما عين والياً على دمشق اتصل بأقاربه ونظم دروس العلم وأصلح حالة العرب وبنى قصراً فخماً قرب السراية (٢) القديمة وقرب أولي الشأن من العرب وحض على الاهتمام بالعلم ونظم الأوقاف وحافظ عليها وكان شديداً صارماً فهابه الجميع وأحبوه . ولما عاد لمساعدة مراد باشا ثم عين للصدارة مكانه جعل مركزه حلب فتوافد عليه العلماء والامراء والوجهاء من جميع أنحاء سوريا يخبرونه بما أصابهم وما وصلت اليه حالتهم فأعاد دروس العلم وتنظيم الاوقاف وصار يجمع الجموع ويرتب الخطط . ثم وجد نفسه بحاجة إلى نجدة فاستنجد من السلطان ، فأمده بنجدات من البر والبحر حتى بلغ عدد جيشه ثلاثمائة الف محارب في البر وستين قطعة حربية في البحر وانضم اليه ولاة الايالات المجاورة في بلاد الاكراد والأناضول .

---

(٢) ثم استولى عليها علي بك بن حسن باشا المهايني النمر دفتري دمشق .

النفوذ على المتآمرين والسكبان

كان أول ما عمله نصوح باشا أن تفاهم مع البدو فوجه الامير دندن آل جبار الجباري على الغجر أتباع محمد الجلالي فطاردهم وأفناهم. ووجه الامير هانئ[1] المهايني من عمومته على حوران وعجلون بجموع من العرب فأخضعها. ووجه الامير قائد بك[2] الصواف المهايني على البقاع وبعلبك لمحاربة الروافض والمتاولة. ووجه أحمد باشا الحافظ بماية الف جندي على لبنان فمزق جيش السكبان وهرب الامير فخر الدين المعني في البحر ولجأ الى حكومة تسكانا.

ثم عهد لأحمد باشا باخضاع لبنان وباقي حركة التمرد والعصيان وعاد هو الى العاصمة ليقوم باعباء الوزارة العظمى.

مصرع نصوح باشا

استقبل السلطان أحمد الاول نصوح باشا بالترحاب وأظهر سروره به فزوجه ابنته. وقد تفرغ نصوح باشا لإصلاح أحوال الدولة الفاسدة وكان حاقداً على الانكشارية فأخذ يعمل لإصلاحها. وصار يبحث عن دسائس الاجانب في الدولة العثمانية فأوغر خصومه صدر السلطان عليه فتخوف منه وقتله يوم الجمعة الموافق للثاني عشر من رمضان سنة ١٠٢٣هـ. والراجح أن نصوح باشا أول وأكبر وزير[3] عربي وزر لآل عثمان

---

(١) وعرفت ذريته فيما بعد ببني هانئ وهم اليوم عشيرة كبيرة تسكن كفربوبه في جبل عجلون والبارحة في حوران. وقد ظلوا هناك أصحاب السيادة والنفوذ الى أن هاجمهم ظاهر العمر الآتي ذكره فظهرت بعد ذلك عشيرتا الشريدة والفريحات فنازعتهم الشيخة

(٢) وقد أنجب ولده الامير عبد الله الحزب اليمني في لبنان وقاده وظل في حرب مع حزب القيس في لبنان الى أن قتل في معركة رأس بيروت سنة ١٠٧٦هـ (٣) وقد لقبه بعض المؤرخين بالرومي لنشأته في بلاد الروم وظنوا انه تركي والحقيقة انه عربي مستتر لقبه.

وقد كان شديداً غيوراً على العلم والسنة مبغضاً للانكشارية والدساسين نزيهاً عفيفاً بعيد النظر . وقد ظهر صواب رأيه اذ ان الدسائس عادت تفعل فعلها وعاد العصيان في سوريا أسوأ مما كان .

استفحال أمر المعني

خلف نصوح باشا في الصدارة العظمى محمد باشا الخازندار وكان مرتشياً من حكومة تسكانا فأصدر عفواً عن جميع العصاة . فعاد الامير فخر الدين الى لبنان واسترد إمارته وأظهر الخضوع . فصالح آل سيفا ونظم أحوال لبنان وصار يرسل ما عليه سنوياً الى السلطان مظهراً الإخلاص والولاء وقد أغرى ولاة الشام بهداياه فضموا إليه ألوية عجلون ، وصفد ، والبقاع ، ونابلس فأظهر إخلاصاً زائداً سر منه السلطان مراد الرابع فضم اليه قلاعاً كثيرة ولواء بعلبك ثم ولاية الساحل التي جعل مركزها صيدا بدلاً من طرابلس (فقضى على نفوذ آل سيفا) وقد لقب بسلطان البر كجده الامير فخر الدين الاول .

آخرة بني معني

بعد أن بلغ الامير معني هذا الحد عاد الى التمرد . فأعاد صلته بحكومة تسكانا وفتح الموانئ لتجارها وأعاد جيش السكبان الذي بلغه مائة الف من شعوب شتى . ثم حصن القلاع ووسع نفوذه الى حد كبير ولم يعد يكترث بولاة الشام . ولما هاجمه أحدهم مصطفى باشا الخناق غلبه وأسره ولم يطلقه إلا برجاء وفد من علماء دمشق . وقد

— أقاربه بالرومي كعادة العرب وقد لقب قبل ذلك سيدنا صهيب النمر الصحابي المشهور فاشتهر بصهيب الرومي رضي الله عنه .

تحرش بكيوان باشا فقتله بيده وأعلن العصيان وقطع ما يطلب منه للسلطان .

ولما علم السلطان مراد الرابع بعصيان الامير فخر الدين المعنى أسقط في يده فارسل جيشاً كبيراً عليه بقيادة وزيره كوجوك أحمد باشا وكانت سوريا كلها تغلي بالحقد والغيظ وقد انقلب الانكشارية ضد المعنيين لقتلهم كيوان باشا فانضموا لجيش أحمد باشا هم وأمراء وأهالي البلاد من كل صوب ودارت الدائرة على جيش السكبان فكسر وقتل الامير علي ابن الامير فخر الدين ، وأسر الامير فخر الدين وولداه الاميران مسعود وحسين وأرسلوا إلى العاصمة . فقتل الامير فخر الدين وولده الامير حسين سنة ١٠٤٣ هـ وأبقي على حياة الأمير مسعود لصغر سنه فربي في العاصمة ولم يرجع إلى لبنان . ثم تناوب امارة لبنان امراء ضعفاء من المعنيين آخرهم الامير أحمد الذي مات سنة ١١١٨ هـ وبموته انقرض المعنيون وانتقلت الامارة لأصهارهم الأمراء الشهابيين .

الاضطراب والخراب في الجنوب

بعد القضاء على الامير فخر الدين المعنى انتبهت الدولة للجنوب ولطريق الحج التي تعطلت وتخربت بسببه فأرسلت حملة بقيادة عبدالله باشا النمر الذي أوجد هو وأولاده وأحفاده امارة مستقرة ظلوا عمادها الى آخر عهد الاقطاع . وبهم يبدأ تاريخ جبل نابلس المستقر والامارة الكبرى كما سيتبين من الأبواب الآتية .



الباب الثاني

بدء بروز شخصية جبل نابلس

الفصل الاول

جغرافية جبل نابلس

موقعه وحصانته

يقع جبل نابلس بين الدرجتين ٣٢ و ٣٣ شمال خط الاستواء وهو قلب سوريا الجنوبية يحده غرباً البحر الأبيض المتوسط من نهر العوجا إلى قرايا ابن ماضي (١) أي قضاء حيفا جوار قيساريه . ومن الشمال قضاء حيفا إلى قفزة الناصرة وآخر حدود سهول بيسان الشمالية ومن الجنوب نهر العوجا (ووراءه قضاءا يافا والرملة) الى طف (٢) سلفيت حيث تبدأ جبال القدس ثم يمر بحدود مزارع النوباني مشرقاً الى الغور حيث تنتهي حدود أريحا . أما الحدود الشرقية فتارة نهر الاردن وتارة اخرى تجتاز الأردن إلى ما وراء حدود مقاطعة عمان شاملة البلقاء جنوباً إلى الكرك وشاملة عجلون شمالاً الى حوران . وبحسب الحد الأول أي بجعل نهر الاردن الحد الشرقي يكون جبل نابلس مقاطعة مربعة المساحة يقطعها الماشي من الشمال أي من قفزة الناصرة الى طف سلفيت . ومن الغرب من ميناء

---

(١) آل ماضي هم شيوخ قضاء حيفا ومركزهم اجزم ويقابلهم آل شبلي شيوخ قضاء عكا ومركزهم شفا عمرو (٢) هي مغارة تشبه غصون الزيتون تتجه نحو جبال القدس فتعتبر آخر حدود نابلس من الجهة الجنوبية لان سلفيت تعتبر آخر الحدود .





أبي زابورة الى نهر الاردن في مدة خمس عشرة ساعة وتقطعها السيارة بنحو ثلاث ساعات .

وتقع الكتلة الجبلية في القسم الاوسط متصلة بجبال القدس تمتد غربها سهول بني صعب (سارونه) وشمالها مرج ابن عامر وسهول بيسان وتنحدر شرقاً الى الأغوار التي تستمر بانحدار الى نهر الاردن. وتتخلل المنطقة الجبلية سهول صغيرة منها : سهل عسكر ، وسهل رامين ، وسهل جبع ، وسهل صانور ؛ وأودية صعبة المسالك منها : وادي البادان والفارعة ، ووادي نابلس ، ووادي دعوق ، ووادي عزون ، ووادي قانة . وتتخلل السهول بعض المستنقعات التي تسمى البصاص[1] لا سيما في سهول سارونه وأحياناً في مرج ابن عامر وسهل صانور .

وهذا التكوين الطبيعي لجبل نابلس جعله محصناً تحصيناً طبيعياً بحيث يرى العدو في السهول الغربية والشمالية ولا يتمكن من اجتياز الأودية بعد ذلك إلا بمشقة كبيرة كما سيظهر من الحوادث الآتية و كذلك من الجهة الشرقية يصادف الأغوار الصعبة المسالك ومن الجنوب جبال القدس الوعرة وبذلك يصبح الوصول إلى مدينة نابلس صعباً . وقد أقيمت على رؤوس الجبال أبراج للمراقبة سميت باسم حارسها وهي تعتبر مقامات أولياء والواقع أنها مراقب في الحروب الصليبية كانت تشير إلى بعضها بمشاعل النار فينقل الخبر بسرعة ويستعد الجميع للخطر المداهم . فيلاقي العدو مقاومة أينما اتجه .

طبيعته وجماله

بالرغم عن أن جبل نابلس في المنطقة المعتدلة إلا أنه يقسم من

---

(١) جمع بصة أي مستنقع الماء .

حيث المناخ والخصب إلى أربع مناطق وهي : منطقة الغور (حفرة الانهدام) التي تشتد فيها درجة الحرارة إلى أن تساوي في جنوبه درجة حرارة المنطقة الاستوائية في بعض الأحيان . وتنمو في هذه المنطقة مزروعات المنطقة الحارة كالنخيل والأرز والقطن والموز والنيلة . والمنطقة الثانية منطقة السهول الساحلية الرملية التي تنمو فيها مزروعات حوض البحر الابيض المتوسط التي منها المزروعات الحمضية كالبرتقال والليمون ، والفواكه كالخوخ والدراق والجميز والعنب والتين واللوز ، والفواكه الخضرية كالبطيخ والخيار والقرع وغيره وهي ذات حرارة عالية في الصيف . والمنطقة الثالثة منطقة السهول الداخلية ، وهي معتدلة المناخ ، تزرع فيها الحبوب والقطاني على اختلافها كالقمح والشعير والفول والعدس . والمنطقة الرابعة المنطقة الجبلية وهي تعتبر باردة بالنسبة لمنطقة الغور والسهول الساحلية وتنمو في هذه المنطقة على سفوح الجبال والأودية مزروعات وأشجار المنطقة المعتدلة ومنطقة حوض البحر الابيض المتوسط كالزيتون والتين والتوت واللوز والدراق والجوز والكرمة ومن المزروعات القمح والشعير والفول والعدس والحمص . وتزرع في الأودية التي ترويها مياه الينابيع الخضار على اختلافها كالبندورة ، والباذنجان ، والقرنابيط ، واللفت ، والفجل ، والجزر ، والفاصولية ، والباميا وغيرها .

ولتعدد المناخ في جبل نابلس ومجاورته للبحر الابيض من الغرب وحفرة الانهدام من الشرق يظل هواؤه متنقلاً ، فيمر نسيم البحر من الغرب الى الشرق وبعكس ذلك نسيم البر الى البحر بلا انقطاع وقلما تزيد درجة الحرارة في الجبل في ظل الصيف على ثمان وعشرين درجة

مئوية كما أن درجة البرودة في الجبل قلما تنزل تحت الصفر فيندر سقوط الثلوج ·

وجبل نابلس صحي لا سيما المنطقة الجبلية منه التي تندر فيها اصابات البرداء [1] وعلى العكس تكثر في الجهات المجاورة للمستنقعات في بعض السهول والأغوار وبعض الأودية · وقد أخذت تتناقص بنسبة التجفيف والعمران ·

ويكوّن جبل نابلس بسهوله وأوديته وجباله مناظرَ من أجمل مناظر الدنيا لا سيما في الجهة الشمالية والغربية ومناظر كتارات (انحدارات) الغور البديعة ·

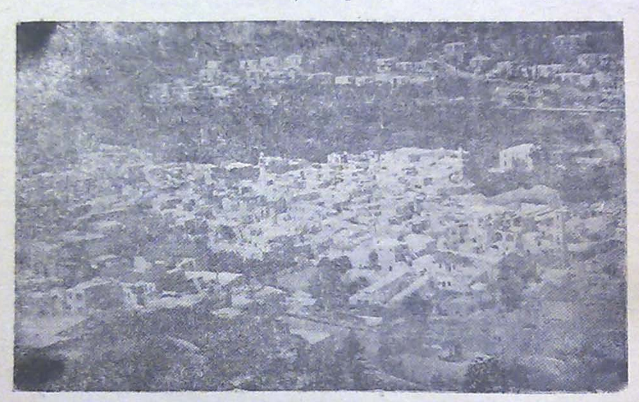
وجبال نابلس متوسطة الارتفاع فإن قمة جبل عيبال المطلة على مدينة نابلس لا يزيد ارتفاعها عن سطح البحر على الف وأربعماية ذراع نابلسي [2] تجاري وهي أعلى قمة في جبال نابلس وتقابلها قمة جرزيم (الطور) التي تقل عنها بماية وخمسين ذراعاً نابلسياً · وينحط غور نابلس عن سطح البحر بنحو أربعماية ذراع نابلسي فيمكن أن توجد في أغوار نابلس المشاتي الصحية الدافئة كما يمكن أن توجد في جباله المصايف المعتدلة الجميلة ·

وجبل نابلس من أخصب بقاع الدنيا إذ لا توجد فيه بقعة غير قابلة للزراعة أو خالية من المياه وهو قابل لزراعة كثير من الاشجار والمزروعات المثمرة المعروفة في العالم المتمدن ففيه تزرع مزروعات وأشجار حوض البحر الأبيض المتوسطة والمنطقتين الحارة والمعتدلة كما مر · وقد صار جبل نابلس جنة يانعة في عصره الذهبي في القرن الثاني عشر الهجري

---

(١) البرداء اسم عربي للحمى التي تسمى اليوم عند الغربيين بالملاريا (٢) راجع بحث المكاييل في فصل التعامل من باب التجارة في الجزء الثاني ·

إذ كانت منتوجاته التجارية من القطن والنيلة والصابون تصدر إلى جهات بعيدة فتعود عليه بالثروة الطائلة ولما كان مزدحماً [١] بالسكان والأمنُ فيه شاملاً عمرت أراضيه كلها



منظر عام لمدينة نابلس الحاضرة وقد ظهرت فيها المدينة القديمة ومباني عيبال وبينهما حفرة بساتين نابلس التي تعرف عند الاجانب بالنهر الاخضر

مدينة نابلس

كانت شكيم المدينة الاسرائيلية مبنية في بطن جرزيم لجهة الغرب أي في الجهة الجنوبية الغربية من بقعة المدينة الحاضرة . ثم هدمها الرومان وبنوها [٢] باسم (نيوبلس) التي حرفت الى نابلس تحت قمة جرزيم الشرقية في الجهة [٣] المعروفة اليوم بخلة العامود أي في الجهة الجنوبية الشرقية من بقعة المدينة الحاضرة وامتدت مباني نابلس الى باب الوادي من الشرق حتى قرية بلاطه . وامتدت غرباً إلى الجهة المعروفة بكشيكة [٤] ثم أعاد

(١) راجع الجزء الثاني (٢) بأمر فسباسيانوس سنة ٦٦ م (٣) هي المحجر الجنوبي القديم .

السامريون بناء كنيسهم ودورهم في المدينة القديمة فاتصلت بالمدينة الجديدة على جانب الوادي الجنوبي جميعه من الشرق إلى الغرب .

ولما حكمها المسلمون بنوا جامعاً في بطن الوادي في الجهة المعروفة بوكالة خان التجار اليوم وامتدت المباني الاسلامية شرق وغرب هذا الجامع فأصبحت تقابل الأحياء القديمة بطول الوادي . فكان السامريون والنصارى في الجهة الجنوبية والمسلمون في الجهة الشمالية . وفي الحروب الصليبية هدمت المدينة الرومانية الشرقية ثم الحي الإسلامي وهاجر السامريون[1] وهدمت أماكن النصارى فتقلصت المدينة الى الزاوية الجنوبية الغربية ، ولما عاد المسلمون نزلوا بهذا القسم وأهملوا باقيها واستعملوا الأنقاض لمبانيهم . ولما نزلت حملة بني النمر عمروا حياً في الجهة الشرقية من الحي الاسلامي القديم فامتدت المدينة للشرق والشمال وأحيطت بسور وبوابات جديدة ظلت ضمنها حتى نهاية عهد الإقطاع ودور الانتقال ثم انتشرت لا سيما بعد الزلزال الكبير الاخير[2] انتشاراً لم يسبق فقد امتدت على سفوح عيبال من الشرق الى الغرب بصورة جميلة أكسبت الوادي جمالاً رائعاً وكأن الشيخ عبد الغني النابلسي نظر بعين المستقبل حين قال :

جبلاها جملاها فغدت ‏ ‏ شمساً تعلو سبيراً وتماما

فمدينة نابلس قديمها وحديثها تقع في أول الوادي بين قمتي جرزيم وعيبال وترتفع عن سطح البحر ثمانماية ذراع نابلسي وترتفع فوقها قمة عيبال ستماية ذراع وقمة جرزيم اربعماية وخمسين ذراعاً . وبما أن الجبلين

(١) راجع الفصل عن السامريين في باب الدين من الجزء الثاني (٢) راجع الجزء الثالث

ينبطحان بعد ثلثي الارتفاع فان القمم العليا تختفي وتظهر القمم الوسطى على ارتفاع يتراوح بين مايتين وخمسين الى أربعماية ذراع فيظهر الجبل كالتل المرتفع . وبين قدم الجبل والقمة الوسطى في جبل عيبال تكسو السفوح المدرجة شجرة الصبير الدائمة الاخضرار وتقابلها في جرزيم السفوح المكسوة بأشجار اللوز والتين والزيتون وبذلك يصبح منظر الجبلين من أروع وأجمل المناظر الطبيعية التي شهد بها كل من زار مدينة نابلس .

ويضيق الوادي في شرقه وتتقارب صخور القمم الوسطى بحيث تصبح المسافة بينهما نحو ثلاثماية ذراع تقريباً وتكون بذلك مدخلاً للوادي يشبه الباب ووراءه من الشرق سهل عسكر والقرى المحيطة به والتي تبعد عن بعضها نحو عشرة آلاف ذراع أي نحو خمسة أميال هي اتساع السهل في بعض جهاته ووراء باب الوادي من الغرب بقعة مدينة نابلس التي تسير بين سلسلتي عيبال وجرزيم فتنفرج بينهما مساحات متوسطة الاتساع تسمى الخلايل[1] . وتسير غرباً بارتفاع واتساع إلى أن تتلاقى في الجهة الغربية وخارج البقعة مع قمم السلسلة مكونة بينها فسحة جميلة يبلغ اتساعها بضعة أميال بين قريتي زواتا ورفيديا .

ومن منتصف بقعة وادي مدينة نابلس تبدأ حفرة محدودة الاتساع تحيط بها طريقان رئيسيتان إحاطة تامة فتبدأ على محاذاة منتصف المدينة القديمة وتسير غرباً بانخفاض مستمر إلى أن تلتقي الطريقان الرئيسيتان

---

(١) الخلايل أي الشعاب وهي جمع خلة بفتح الخاء وهي مستعملة في اللغة الدارجة في نابلس .

مع بعضها عند باب الوادي الغربي . وهذه الحفرة ذات تربة سوداء ترويها مجاري المدينة وينابيعها المنخفضة التي تجعلها من أخصب بقاع الدنيا . وهي مقسومة إلى بساتين صغيرة تزرع في أرضها الخضار المتنوعة وتحيط بها أشجار التين والتوت والجوز والميس والخوخ . ولانخفاض هذه الحفرة باستمرار على مسافة تزيد على ثلاثة آلاف ذراع فإنها ترى من جميع الجهات التي حولها فترى في بطن الوادي جنة يانعة تزيد الوادي جمالاً وبهاءً .

وتعدُّ مدينة نابلس من أغنى المدن بينابيعها الكثيرة التي منها المرتفعة التي يشرب منها السكان وهي : رأس العين ، وعين العسل ، والقريون ، وعين الوز ، ومنها المنخفضة التي تروى منها البساتين وهي : عين دفنة ، وعين بيت الماء ، وعين حسين ، وعين الفواد ، وعين القصب ، وعين الشريش ، وعين الصبيان ، وكانت هذه الينابيع جميعها تدير الطواحين المائية قبل ظهور الآلات البخارية فتدر على أصحابها الأموال الكثيرة . ولأن جميع مياه نابلس تجري إلى حفرة الوادي بلا توقف وتستعمل كلها للري دون أن تكوّن مستنقعات فإن إصابات البرداء في مدينة نابلس قليلة جداً . إلا أن العفونة التي تسببها المياه تحت أرض الوادي تنتج عنها أمراض رئوية وعصبية . لكن سراً خطيراً يساعد السكان على مكافحة هذه الأمراض وهو غنى مياه الشرب بمعدن الحديد الذي يقوي الدم فيقوى على مكافحة هذه الأمراض . وقد كان لانتشار المباني على سفوح عيبال الصخرية التي لا تجري تحتها مياه فضل كبير في تحسين الحالة الصحية بنابلس . وقد وسعت بعض شوارع المدينة القديمة بعد الزلزال الكبير تخف خطر جريان المياه تحت الأرض سيما بعد قيام المجلس البلدي

بمشروع[1] المياه وبعد انشاء الأقبية الواسعة المحكمة بعد حادثة السيول[2] ولا يزال التحسن مستمراً .

الفصل الثانى

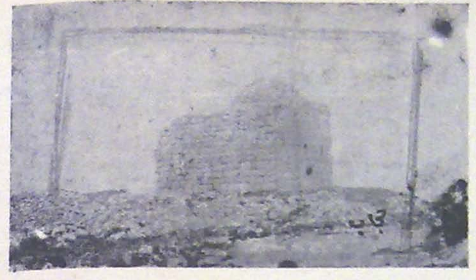
جبل نابلس في اول الفتح الاسلامي والحروب الصليبية

فى العهد الأول

لما دخل جبل نابلس في حوزة المسلمين كان سكانه خليطاً من السامريين والنصارى العرب وبقايا الرومان واليونان وكان العداء مستحكماً بينهم . فوضع المسلمون في نابلس حامية بسيطة وقد جعلت من المراكز الصغيرة . وسكنت جمهرة العشائر الإسلامية في القرى فسكن معظمهم بيسان وجنين ومردا وجماعين وسلفيت وعقربا وبيتا وطوباس وغيرها من المدن الصغيرة التي أصبحت مراكز للعلم وللمسلمين ، ففقدت نابلس مركزها ولم يكن لها في هذا العهد ذكر كالرملة والقدس وغزة وعسقلان التي كانت بارزة في ذلك العهد ولم تبلغ المدن التي ظهرت في جبل نابلس جميعه حداً يجعل لها أهمية ولم يكن في جبل نابلس عصبية قومية فأهمل شأنه بالكلية إلى ما بعد الحروب الصليبية بقليل .

---

(١) راجع المشاريع الخيرية في الجزء الثالث (٢) راجع كارثة السيل في الجزء الثالث .



القسم الباقي من القلعة الصلاحية على ظهر قمة جرزيم
ويعرف بمقام الشيخ غانم

الحروب الصليبية

دخل الصليبيون جبل نابلس دون مقاومة فعاملوا السكان بالقسوة واضطروهم على الجلاء إلى مصر والشام ومن بقي منهم ظلّ معرضاً للاضطهاد والغارات الخارجية فقد هجم بزواش حاكم دمشق على نابلس وذبح سكانها . فحصنها الصليبيون وأصبحت مقراً لبعض الامراء والأميرات الأقوياء إلى أن استولى عليها السلطان صلاح الدين الأيوبي فأحرقها ودمرها وهو يستعد لمعركة حطين ولم يبق إلا قلعتاها(١) وبعد موت السلطان صلاح الدين بنحو نصف قرن استولى عليها الصليبيون مرة اخرى وأحرقوها وقتلوا جميع من كان فيها من المسلمين . ثم هاجمها التتار والخوارزمية وهددها الصليبيون أمداً طويلاً وكان ما يصيب المدينة يصيب القرى وما زالت الأحوال مضطربة إلى أن ظهر الملك الظاهر بيبرس فطرد الصليبيين من القدس ورد الخوارزمية والتتار وطرد

(١) يقول السامريون انهم ساعدوا السلطان صلاح الدين في دخول نابلس وكذلك يقول بنو الامير (الأدهم) بانهم ساعدوه فعهد اليهم بصيانة ومحافظة القلعة وهم وآل السختيان من ذرية الامير عبد المغيث .

جميع النصارى من جبل نابلس ولم تحدث بعد ذلك غارات فتوافدت الاسر والعشائر العربية واستوطن الجند وشيوخهم (ضباطهم) في جبل نابلس جميعه.

الاستقرار والنهوض

بلغ عدد المهاجرين المسلمين في نابلس نحو مايتي ألف بعد الظاهر بيبرس فأتى الملك الناصر بن قلاون في أواخر القرن السابع الهجري وقسم أراضي مدينة نابلس بين شيوخ الأجناد وأمرائهم فأعطى للأمير صارم الدين الذي عرفت ذريته فيما بعد بآل سويسه أراضي وبساتين في الجهة الغربية من أراضي وبساتين نابلس. وأعطى الشيخ بدرا الغفير وولديه عماد الدين ومجير الدين (الذين عرفت ذريتهم فيما بعد بآل خضر خموم) أراضي في سفوح جبل عيبال. وأعطى الشيخ غانم الذي عرفت ذريته فيما بعد (بأبي شمط والعلبي والعفوري وأصلان) أراضي وسفوحاً في جبل جرزيم. وأعطى للأمير علاء الدين البشيري (الذي عرفت ذريته فيما بعد بآل جابر) بساتين في حفرة الوادي. وأعطى أراضي وأملاكاً في الجهة الشرقية من الوادي للأمير عبد المغيث (الذي عرفت ذريته فيما بعد بالأدهم والسختيان). وأعطى لآل العامودي مقام العامود وحراسته وقد كان من مقدسات النصارى، والراجح أن جدهم الشيخ علي الدمشقي وقد عرفوا بآل العامودي[1] لتوليتهم على مقام رجال العامود[2] وأعطى الجنود بعض الأراضي والمساكن في المدينة وحولها وقد تولت كل اسرة

(١) وقد تفرع منهم آل الصابي وآل جمله بنابلس ويقولون ان أصلهم حجازيون.

(٢) ويقول عنهم الشيخ عبد الغني النابلسي انهم الاربعون الشهود من أنبياء بني اسرائيل عليهم السلام.

حراسة الجهة التي استملكت الأراضي المجاورة لها، فالمقامات التي يقال لصاحبها شيخ أغلبها قلاع وأبراج للحراسة سميت باسم حارسها كالشيخ العماد، والشيخ غانم، والشيخ السري، والشيخ مجير الدين وغيرها. وقد أوقفت جميع الاسر الأراضي التي اقطعتها فيما بعد ولا تزال بعضها تملكها إلى الآن.

وقد نزلت أسر أخرى في نابلس اشتغلت بالعلم فتولت إمامة المساجد وتولت العناية ببعض المقامات كالجعافرة والبسطاميين الذين أتوا من العراق والاضرميين الذين أتوا من مصر ممن سيأتي الكلام عليهم ونزلت أسر اخرى اشتغلت بالتجارة والصناعة فازدهرت مدينة نابلس وتقدمت:

وإذا سألت عن البقاع فانها تشقى كما يشقى الرجال وتسعد

وبعد أن أتم الملك الناصر تقسيم أراضي المدينة خرج بنحو مايتي الف من المهاجرين إلى القرى فأقطعهم أراضيها وأغلبها أبقيت مشاعاً للرجال تقسم بحسب عدد الرجال في كل بلد إلا الجنود فانه أقطعهم أراضي خاصة وقد أسكن المهاجرين بحسب قبائلهم وعشائرهم ونصب عليهم شيوخاً منهم كما سيتبين.

ولأن جبل نابلس أصبحت أكثريته الساحقة عربية إسلامية فقد اشتدت قوة سكانه وكانوا جميعهم من الأجناد والعشائر القوية وفيهم أسر الامارة والمشيخة المطاعة فظهرت بعد ذلك شخصية جبل نابلس وأصبح ملجأ تولدت فيه نهضة علمية نبغ بعدها عدد من مشاهير العلماء.

الفصل الثالث

النهضة العلمية الاولى

بناء المساجد

حينما استولى الصليبيون على نابلس هدموا مسجدها الكبير وجعلوه ركاماً ولما استردها المسلمون انتصروا عند الكنيسة الصليبية فحولوها إلى جامع سموه جامع النصر ولما هدم الملك الناصر كنائس النصارى بنى المسلمون جامعاً مكان الكنيسة الرومانية الغربية عرف بجامع الحنبلي وحولوا معبد السامريين الى جامع الخضرة (محزن يعقوب عليه السلام). وبنوا مسجداً آخر مكان معبد صليبي صغير سموه جامع الساطون. وحولوا كنيسة الامبراطور يوستنيانوس الروماني الي الجامع المعروف بالجامع الكبير. وخصصت لهذه المساجد الأوقاف ورتب لها الأئمة والمدرسون.

تأسيس المدارس

أما الجامع الاسلامي القديم فقد حوله الملك الناصر بن قلاون المذكور إلى مدرستين وبنى مدرستين في الجهة الجنوبية وبنى بين المدارس الأربع السوق المعروف بخان التجار وأوقف على المدارس كثيراً من الاملاك التي تعرف اليوم بالأوقاف المندرسة وجعل التدريس في كل مدرسة من هذه المدارس الأربع خاصاً بأحد المذاهب الأربعة وهي: الشافعي مذهب الدولة ؛ والحنبلي مذهب العراقيين ، والحنفي مذهب السوريين ، والمالكي مذهب المغاربة ؛ وسارت هذه المدارس بنجاح كل القرن الثامن والتاسع الهجري فتخرج منها عدد كبير من العلماء الذين كانوا يعيشون

في سوريا ومصر ويحصلون على مراكز عالية . وقد انتسب بعضهم إلى أسرهم كالجعفري ، وابن الشنتير ، وابن السلعوس ، وبعضهم نسبوا الى قراهم كاللبدي ، والكرمي ، والمرداوي، والراميني ، والشويكي . وبعضهم نسبوا إلى مذاهبهم كالشافعي والحنبلي والحنفي . وقد استمرت هذه النهضة مدة قرنين ثم أخذت بالتقهقر في عهد الحكام الغرباء والاضطراب الذي ساد جبل نابلس في أواسط القرن الحادي عشر الهجري لا سيما في عهد ابن فريخ وآل فروخ والمعنيين . وقد ترجم المؤرخون لعدد من مشاهير علماء جبل نابلس وتعرض آخرون لذكر بعضهم . وقد اقتصروا على أشهرهم فلم يذكروا إلا القليل بالنسبة إلى الحقيقة .

تراجم مشاهير علماء جبل نابلس في هذا العهد

الشيخ أحمد الشويكي

هو ابن عبد الرحمن الشويكي (١) الحنبلي حفظ القرآن الكريم ثم المقنع الذي فهم حله على ابن عمه العلامة شهاب الدين . وقد أخذ علومه عن علماء نابلس ثم رحل الى دمشق (٢) الشام فسكن صالحيتها الى أن مات تاركاً هناك سلالة من أهل العلم ظهر منهم علماء أفاضل . وقد عاش ومات في القرن العاشر الهجري .

قاضي القضاة الشهيد الشيخ برهان الدين الراميني (٣)

هو قاضي قضاة الشام في أول القرن الثامن الهجري له عدة مصنفات ذكرها صاحب الطبقات . عاش في دمشق وعرفت ذريته فيما

(١) نسبة لقرية شويكه من قرى الشعراوية الغربية (٢) دمشق هي المدينة المعروفة والشام اسم القطر كله (٣) رامين تقع في منتصف وادي الشعير — راجع خريطة النواحي في الجزء الثاني .

بعد بيني مفلح وقد ظهر منهم علماء نوابغ . وكان الشيخ برهان الدين جريئاً قوي الحجة لا تأخذه في الله لومة لائم وكانت هذه الجرأة سبب استشهاده فان تيمورلنك[1] الطاغية لما استولى على دمشق في المرة الاولى جمع علماء الشام في مجلسه وسألهم سؤالاً محرجاً وهو : « أيهما أفضل درجة العلم أم درجة النسب ؟ » وكان شيعياً يريد الفتك بهم إذا فضلوا العلم على النسب فتهيبوا وأطرقوا ولم يجيبوا فنهض الشيخ برهان وأجابه بلا وجل قائلاً « درجة العلم أعلى من درجة النسب وهي عند الخالق والمخلوق أعلى الرتب ، والهجين الفاضل يقدم على الهجان الجاهل والدليل في هذا جلي وهو إجماع الصحابة وتقديمهم أبا بكر على عليّ ولي بذلك دلالة من قول صاحب الرسالة لا تتفق امتي على ضلالة » ثم أخذ ينزع ثيابه فقال له تيمورلنك : « ما حملك على نزع ثيابك » فأجابه الشيخ قائلاً : « بذلاً لنفسي في سبيل الله صابراً لعقابك » فقال له تيمورلنك : « وسعك حلمنا فلا تعدم سلمنا » ثم أرسله محروساً إلى بيته وكان أحد الحراس من غلاة الشيعة فوكزه بحربة مسمومة في رجله مات منها سنة ٧٨٤هـ .

المفتي شهاب الدين الشويكي

هو أبو الفضل شهاب الدين بن محمد الشويكي ولد بقرية شويكه سنة ٨٧٦ هـ . وتعلم في نابلس ثم نزل الى دمشق وعاش فيها مفتياً للحنابلة إلى أن مات .

❁❁❁

---

(١) هو القائد المغولي المشهور وابن أحد وزراء جنكيز خان ملك المغول العظيم كان شيعياً شغوفاً باحراج علماء السنة بمثل هذه الاسئلة .

الوزير الفاضل مجير الدين البيسانى

هو أبو علي عبد الرحيم البيساني اللخمي الملقب بمجير الدين . ولد سنة ٥٢٩ هـ وتعلم على أبيه قاضي عسقلان الشيخ بهاء الدين علي البيساني وغيره ثم نزل مصر فتعلم كتابة الدواوين (١) وكان البديع شائعاً فابتكر طريقة خاصة نسبت اليه فعرفت بالطريقة الفاضلية فذاع صيته واتصل بديوان ابن مدية قاضي الاسكندرية فظهر فضله برسائله التي كان يرسلها إلى القاهرة فاستقدمه الخليفة الظافر الفاطمي وعينه في ديوانه وبعد انقراض الفاطميين استوزره سلطان الاسلام صلاح الدين الايوبي فكان يتردد معه بين مصر والشام فدبر المملكة أحسن تدبير وبعد موت السلطان صلاح الدين استوزره ابنه العزيز ثم أحضره من مصر وظل وزيراً كبيراً إلى أن مات سنة ٥٩٦هـ وكان أبو علي ديناً محسناً وفياً شغوفاً بجمع الكتب محمود السيرة .

قاضى القضاة الشيخ عبد الله موفق الدين الحجاوى (٢)

هو قاضي قضاة مصر تولى رئاسة القضاء لأحد عشر سلطاناً من سلاطين المماليك خلال احدى وثلاثين سنة الى أن مات سنة ٧٦٩ هـ ودفن بتربة باب النصر بمصر وكان أحد السلاطين سر منه لمسألة أفتى بها فكافه طلب ما يشاء فطلب بناء جامع بنظارته في قريته حجة فأجيب الى طلبه .

---

(١) الديوان هو الادارة أو الدائرة باصطلاح الحكومات الحاضرة . (٢) نسبة الى قريته حجة ، التي كانت تسكنها حامولة العملة التي ظهر منها عدد من العلماء آخرهم الشيخ محمد الحجاوي الذي سكن مدينة نابلس ، وعرفت ذريته بآل الحجاوي ولا تزال .

المفتي الشيخ علاء الدين المرداوي (١)

تعلم في الخليل ودمشق فنبغ وأفتى وصنف فذاع صيته وأخذ عنه كثيرون منهم قاضي القضاة الشيخ بدر الدين الجعفري وأصبح من أكابر العلماء الى أن توفي سنة ٨٨٥ هـ .

قاضي القضاة الشيخ عبد القادر الجعفري (٢)

هو شرف الدين أبو حاتم الشيخ عبد القادر بن محمد الجعفري تولى قضاء الشام سنة ٧٩٢هـ فدس عليه السم في طعام مات منه هو ومن شاركه فيه سنة ٧٩٣ هـ .

الشيخ محمد عبد القوي المرداوي

هو الشيخ محمد بن عبد القوي بن بدران عبد الله المرداوي الملقب بشمس الدين ، ولد سنة ٦٣٠ هـ بقريته مردا ، وسمع الحديث من خطيبها ، ومن الشيخ عثمان بن خطيب القرافة ، ومن ابن عبد الهادي ، وإبراهيم ابن خليل وغيرهم ، وتفقه على الشيخ شمس الدين بن أبي عمر وغيره . وبرع باللغة العربية ، ثم اشتغل بالتدريس والإفتاء والتصنيف ، ونظم منظومة الآداب المشهورة التي شرحها الشيخ موسى الحجاوي ، ثم الشيخ محمد السفاريني ، وهي تبحث في جميع أبواب الفقه والآداب الإسلامية وله منظومة أخرى في العلوم الإسلامية ، قال عنه الذهبي « كان حسن الديانة دمث الأخلاق كثير الإفادة مطَّرحاً للتكليف . » وقد تولى التدريس في المذهب الحنبلي بدمشق إلى أن مات .

---

(١) نسبة لقرية مردا في قضاء جماعين . (٢) نسبة الى سيدنا جعفر الطيار الطالبي رضي الله عنه ، عرفوا فيما بعد بالحنبلي وهاشم والنقيب كما سيأتي .

قاضي القضاة ابن مفلح الرامينى

أخذ علومه عن ابن تيمية الذي قال له « ما أنت ابن مفلح بل أنت مفلح » ، وكان ابن القيم يقول عنه « ما تحت قبة الفلك أعلم بمذهب الإمام أحمد من ابن مفلح » . وقد ألف عدداً من المؤلفات في أصول المذهب الحنبلي وفروعه ليس للحنابلة أحسن منها ، وقد توفي سنة ٧٦٣ هـ عن ولده الشيخ عبد الله الذي خلف ولداً اسمه الشيخ محمد وكلاهما من أهل العلم .

المفتى الشيخ محمد شمس الدين أبو عبد الله الجعفرى

ولد في نابلس سنة ٧٢٧ هـ ، وأخذ علومه عن عدد من علمائها ، ومنهم : الإمام شمس الدين أبي محمد عبد الله بن محمد ، والحافظ صلاح الدين العلائي ، والشيخ إبراهيم الزيتاوي ، والشيخ قطب الدين ابن المكرم ، والشيخ أمين الدين محمد بن عمر الحريري ، والشيخ محمد ابن غالب الماكسيني ، والشيخ محمد الخباز ، والشيخ عيسى بن طيحا ، والإمام صدر الدين أبي الفتح الميدومي ، والشيخة صفية بنت عبد الحليم ووالدته الشيخة مريم وغيرهم من المشايخ المعتبرين . وحدث فسمع عليه الحافظ جمال الدين أبو الفرج شمس الدين بن قيم الجوزية وغيره ، وتصدر للإفتاء والتدريس في نابلس ، وله مصنفات كثيرة منها تصحيح الخلاف المطلق في المقنع ، وشرح الوجيز ، وقطعة من تفسير القرآن ، ومختصر طبقات الحنابلة ، ومختصر طبقات العزلة لأبي سليمان الخطابي وقد لقبوه بالجنة لكثرة ما عنده من العلوم ، لأن الجنة فيها ما تشتهي الأنفس ، وعنده ما يشتهي الطلاب ، وقد توفي في نابلس سنة ٧٩٧ هـ بعد أن اختلط عقله بسبب تسمم ولده القاضي الشيخ عبد القادر المار الذكر .

قاضي القضاة الشيخ محمد بدر الدين الجعفري

باشر القضاء في نابلس سنة ٨٤٠ هـ ، وأضيف إليه قضاء القدس والرملة ، ثم عين قاضي قضاة الديار المصرية ، وظلّ كذلك الى أن توفي في الإسكندرية سنة ٨٨٩ هـ .

الشيخ مرعي الكرمي (١)

أخذ علومه عن الشيخ محمد المرداوي ، وعن القاضي الشيخ يحيي الحجاوي ، ثم ذهب الى مصر وأتم تحصيله ، فنبغ وأصبح من أكابر علماء المذهب الحنبلي ، وقد ألف وشرح كتباً عديدة نيفت على الستين .

شيخ الحنابلة الشيخ موسى الحجاوي

هو ابن أحمد بن موسى بن سالم الحجاوي صاحب الإقناع أشهر كتب الحنابلة ولذلك لقب بشيخ الحنابلة . وقد شرح منظومة الآداب التي نظمها الشيخ عبد القوي المرداوي ، وقد عدّ الشيخ محمد السفاريني الكبير شرحه لها بعد الشيخ موسى فضولاً وقد عدّه خاتمة المحققين وقد أفاد الشيخ موسى وأخذ عنه كثيرون الى أن مات في دمشق سنة ٧٦٩ .



جامع قرية حجة وقد بناه أحد سلاطين المماليك باسم وأشراف الشيخ محمد الحجاوي جد آل الحجاوي بنابلس لفتوى أفتاها الشيخ فسر منها الملك

(١) نسبة الى قرية طول الكرم التي أصبحت عاصمة بني صعب اليوم وصارت تأتي بعد نابلس بالاتساع .

المفتي الشيخ ياسين اللبدي (١)

تعلم في مصر وعاد الى الإفتاء في جبل نابلس ، وظلَّ كذلك الى أن توفي سنة ١٠٥٨ .

أسماء بعض العلماء ومراكزهم

لقد عني الحنابلة بتراجم علمائهم فكان أكثر من ترجم منهم ، وقد حصلت على أسماء بعض العلماء مع بعض أحوالهم ، فرأيت من المناسب ذكرهم وهم :

١ — الشيخ اسكندر بن إسماعيل قاضي نابلس سنة ٩٨٨ هـ .

٢ — شيخ القراء شهاب الدين بن السلعوس الذي مات سنة ٦٩٧ هـ بدمشق ، ومنه آل السلعوس في نابلس والخليل ، وهو حفيد الرجل الذي تخلف من بني السلعوس حينما طلبهم الى مصر الملك الأشرف قلاون وقتلهم مع كبيرهم الوزير شمس الدين ابن السلعوس .

٣ — الشيخ شهاب الدين الشنتير الذي صار إماماً للصخرة الشريفة في القدس بعد وفاة الإمام شهاب الدين أحمد بن حافظ سنة ٨٧٦ .

٤ — الشيخ محب الدين الجعفري قاضي نابلس سنة ٩٣٣ .

٥ — الشيخ محمد سعدي قاضي نابلس سنة ٩٧٦ هـ .

٦ — الشيخ محمد الشنتير الذي كان إماماً للمسجد الأقصى ثم صار إماماً لسيباي كافل دمشق الى أن توفي سنة ٩١٩ هـ .

---

(١) نسبة الى كفر اللبد من قرى وادي الشعير الغربي بجبل نابلس

٧ — قاضي القضاة الشيخ شمس الدين محمد بن يونس[1] الشافعي ، الذي كان قاضياً للقدس ونابلس والرملة سنة ٧٧٩ هـ .

الفصل الرابع

الأمراء الوطنيون

أحزاب العالم العربي القديمة

ينسب العرب الى أصلين كبيرين وهما : الأصل القحطاني وموطنه اليمن ولذلك عرفت قبائله بالقبائل اليمنية ، وقد تفرقوا بعد تصدع السد في جزيرة العرب كلها . والأصل الثاني العدناني الذي ظهر وتوطن في الحجاز ومنها تفرق في جزيرة العرب . و كانت القبائل اليمنية تحكم العدنانية فثارت عليها قبل الإسلام ، وخلعت نيرها بعد حروب طويلة ، كانت بدء الحروب بين الشعبين .

القيس واليمن في سوريا

بعد الفتح الإسلامي نزلت في سوريا قبائل متعددة من القحطانية والعدنانية ، ولما وقع الخلاف بين علي ومعاوية رضي الله عنهما انتصر اليمنيون أي القحطانيون لعلي ، وانتصر المضريون أي العدنانيون لمعاوية ولما وقع الخلاف بين الأمويين أنفسهم انتصر بنو كلب اليمنيون لفريق ، وانتصرت قبيلة قيس المضرية لفريق آخر ، فعرف الحزبان بالقيس واليمن

---

(١) كانوا يعرفون باليونسيين وهم اليوم يعرفون بقناديلو ، وقد تفرع منهم آل كتانة والفرع الثاني يعرف بالشافعي نسبة للقاضي الشافعي المذكور . وتوجد أسرتان في نابلس تعرفان بيونس لم أتحقق تفرعهما منها .

وكذلك حصل في جميع الأقطار العربية المفتوحة لا سيما سوريا والأندلس وقد ظلّ هذا الانقسام سائداً مرعباً في سوريا الى عهد قريب ·

وكانت جمهرة القبائل العدنانية في الشمال ، فأسست الدولة الحمدانية التغلبية التي جعلت مركزها حلب وامتدت الى ديار بكر والموصل كما مرّ ، وقد انضمت اليها بكر رغم ما كان بينها وبين تغلب · وكانت جمهرة القبائل اليمنية في الوسط والجنوب ، فما زالت تشن على الدولة الحمدانية الغارة الى أن قضت عليها بقيادة الأمير صالح بن مرداس الكلابي ، فاشتد العداء بين الحزبين في الحروب الصليبية وما بعدها ·

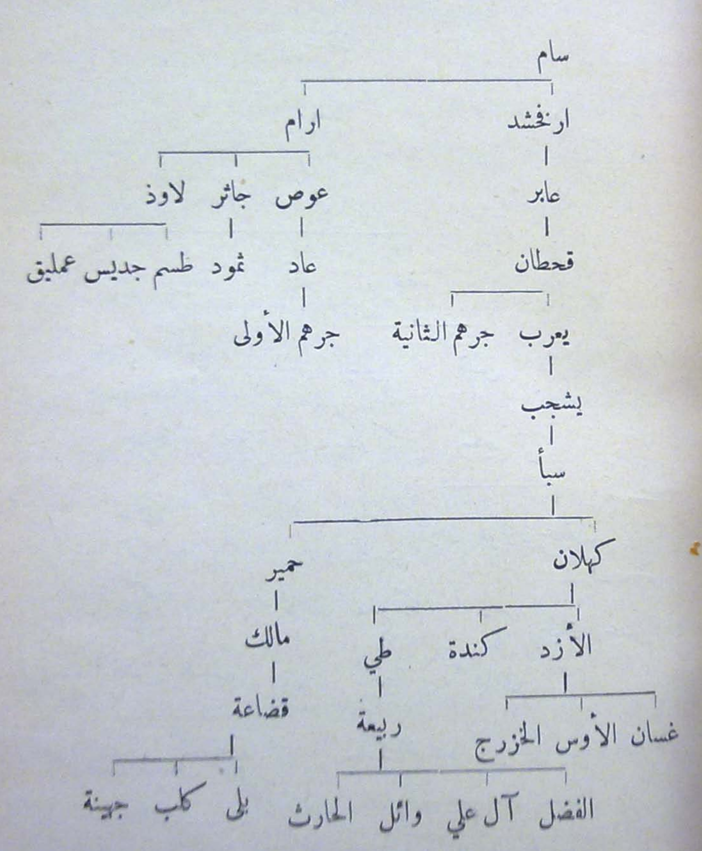
القيس واليمن في جبل نابلس

كان العمالقة[1] أول من دخل جبل نابلس من العرب ، وقد أتى بهم سرجون الثاني الآشوري ، وفي العهد الروماني دخلت جبل نابلس قبائلُ عربية من اليمنيين منها لخم ، وجذام ، وغسان فابتلعت العمالقة · ولما دخل المسلمون كانوا خليطاً من اليمنيين والمضريين ، ولما وقعت الفتنة في العهد الأموي انقسموا الى قيس ويمن كغيرهم ·

* * *

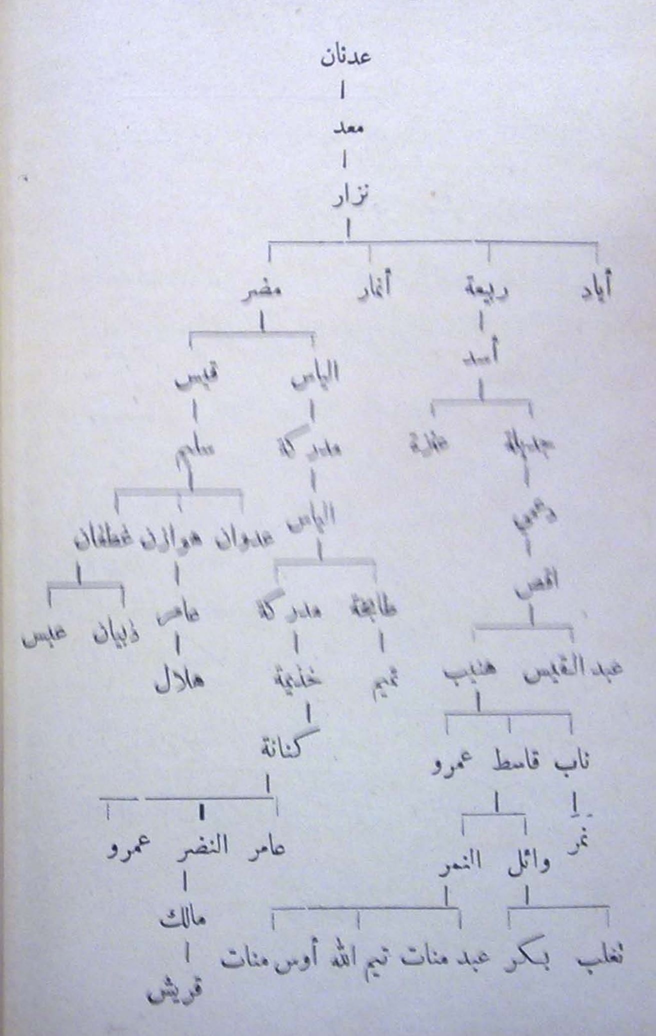
(١) هم من العرب البائدة ...

تسلسل القبائل القحطانية



***

تسلسل القبائل العدنانية



وادي نابلس فاصل بين القيس واليمن

واستمرّ النزاع بين القيسيين واليمنيين الى أن أتى الصليبيون فأجلوهم . وبعد خروج الصليبيين واستقرار الأحوال نزلت في جبل نابلس عشائر وبطون من قبيله قيس ومن ينتمي إليها ، ومثلها من قبيلة طي وبقايا اليمنيين ، ولما جاء الملك الناصر بن قلاون وقسم الأراضي أقطع القسم الشمالي لليمنيين والقسم الجنوبي للقيسيين ، وجعل وادي نابلس فاصلاً بينهما .

الأمراء والشيوخ

كان أمراء القيس في جبل نابلس يعرفون ببني إسماعيل ، وقد سكنوا نابلس في الجهة القديمة بين حي الياسمينة(١) والقريون ، وكان شيوخهم يعرفون بآل عبد القادر وقد سكنوا في قرية جماعين(٢) وبيتا ، وكان شيوخ المغاريب(٣) يعرفون بالجيايسة ، وأصلهم من قواد الأجناد المصريين ، وحيث جعلت بني صعب مقراً لجيوش المماليك فقد سميت مقرّ القيادة بجيوش ثم حرفت الى جيوس ، وسمي صاحبها بالجيوشي أي صاحب الجيوش ، ثم حرفت الى الجيوسي وهكذا عرفوا ولا يزالون ، وهذه أرجح وأصح الروايات . وكان أمراء اليمن يعرفون ببني بكر شيوخ عشيرة وائل من ربيعة طي ، وكانوا ينزلون في سهول بيسان ، وكان يشاركهم في الإمارة أيضاً الحارثيون الطائيون الذين عرفوا بآل طرباي ، والذين جعلوا مركزهم في مدينة جينين ، ثم امتدّ نفوذهم في جبل نابلس جميعه .

---

(١) هي الدار المجاورة لدار الشيخ شحاده الخماش من الشمال والمعروفة بدار أبي الخمام على الراجح . (٢) وكانوا يعرفون بالقادرية ثم ظهر بعدهم العتوم ، وكان لهم قصر في حي القيسارية بنابلس استولى عليه آل نقلي ثم المصري ، وقد هدم مؤخراً . (٣) يسمى القسم الساحلي أي الغربي من جبل نابلس بالمغاريب ، وهو ينقسم الى بني صعب والوعل والشعراوية الغربية .

رد عساكر تيمورلنك

كان أول ما لفت نظر الناس لجبل نابلس كسر عساكر تيمورلنك في أوديته إذ في سنة ٨٠٣ هـ هاجم فريق من عساكر تيمورلنك جبل نابلس فحاصرهم النابلسيون في واد ضيق بين جبلين وقتلوا منهم عدداً كبيراً بالنشاب والحجارة فولوا مدبرين ، ومن ذلك الحين أصبح جبل نابلس ملجأً للفارين من وجه المغول ، وأصبح مقراً لجيوش المماليك ، وأصبح القواد والسلاطين يعولون على جموع جبل نابلس كلما احتاجوا إليها.

الفتنة الكبرى

سبق أمراء وشيوخ القيس في جبل نابلس أمراء اليمن بالسيادة والنفوذ والاتصال بالدولة ؛ وهم الذين كان عليهم المعول ، وإليهم أسند الحكم ، وظلوا كذلك الى أواخر القرن التاسع الهجري . وفي هذه الأثناء نهض اليمنيون وحسدوهم وصمموا على شل حركتهم . وفي سنة ٨٩١ هـ وقع الخلاف بين المماليك والسلطان بايزيد العثماني واحتاج المماليك الى نجدة جبل نابلس كعادتهم ، فأعطوا المال والعتاد اللازم لأمراء وشيوخ القيس إلا أن أمراء اليمن شلوا حركتهم وعرقلوا مساعيهم ، وأوقعوا سوء التفاهم بينهم وبين الأمير أقبردي الاينالي أحد أمراء المماليك الذي حاربهم فقتل . فوقعت بسببه فتنة شعواء بين القيس واليمن في جبل نابلس جميعه قتل فيها عدد كبير من شيوخ وأمراء الفريقين منهم : الأمير أبو بكر الطائي أمير اليمنيين وأمراء من آل إسماعيل وآل عبد القادر والشيخ يوسف الجيوسي أمراء القيس .

اضمحلال زعامة القيس

لما بلغ الدولة خبر مقتل الأمير أقبردي الاينالي ، أرسلت جيشاً

بقيادة الأمير أقبردي الداودار[1] الكبير فقبض على باقي أمراء وشيوخ القيس وأخذهم معه الى مصر مكبلين بالحديد ، فبعضهم قتل وبعضهم سجن ، وقد نكل بمن يلوذ بهم ، ولم تقم لأهالي القسم الجنوبي بعد ذلك قائمة واضمحل القيسيون ونزح كثيرون منهم الى جبل الخليل وجبل القدس واضمحلت أسر الامارة والمشيخة وتولى الحكم في نابلس حكام غرباء مدة قرن ونصف الى أن نزلت الامامية من بني النمر بحملتهم الكبرى في الجنوب كما سيظهر في الباب الآتي .

سيادة أمراء اليمن

أما القسم الشمالي الذي عرف بلواء[2] اللجون فقد ساد فيه الأمراء الطائيون ، لا سيما شيوخ عشيرة وائل . فلما فتح السلطان سليم العثماني سوريا سنة ٩٢٣ ﻫ سلم الراية للأمير أحمد بن بكر شيخ عشيرة وائل الذي كان في ذلك الوقت أقوى أمراء سوريا الجنوبية كلها . وبعد موته ظهر آل طرباي الأمراء الحارثيون الذين قضوا مدة قرن كامل بحروب مع ولاة دمشق وأمراء لبنان وعجلون وحوران .

الثورة على الغزالي وأياس

بدأ الأمير جانبردي الغزالي التمهيد للعصيان بتولية حكام من قبله ، ولما حاول نزع حكم لواء اللجون من آل طرباي ، ثاروا عليه فحاربهم وقتل أربعة منهم ، كان فيهم الأمير قراجا بن طرباي أميرهم الكبير وقطع رؤوسهم وأرسلها الى السلطان سليم .

---

(١) الداودار الكبير هو قائد المؤخرة في دولة المماليك ، والبيشداد قائد الطليعة .

(٢) نسبة الى وادي اللجون بين جنين وحيفا ، وكلمة لجون رومانية معناها : الكتيبة (Legion)

ولما عين أياس باشا على ايالة الشام سنة ٩٢٧ هـ بعد الغزالي ، كان الحارثيون لا يزالون متمردين ، فخرج إليهم بجيشه وعرب الشام ، واستمات الحارثيون فكسروا جيشه وجرح هو نفسه وارتدَّ الى دمشق ، بعد أن قتل من جيشه ومن عرب الشام خلق كثير . وفي سنة ٩٣٠ هـ ثارت مدينة نابلس ثورة عنيفة وأحرقت دار حاكمها سليمان بك قراجا[1] الذي نجا بنفسه بصعوبة .

آخرة آل طرباي

وقع العداء بين جبل نابلس وعرب الشام في حوران وعجلون ولبنان واستمر التمرد الى أن غيرت الدولة الولاة وعينت على ايالة الشام ولاة وطنيين منهم : نصوح باشا النمر ، ويوسف باشا سيفا ، وحسين باشا النمر فتفاهموا وأصلحوا ما بين الفريقين ، واعتمدوا على آل طرباي في مقاومة المعنيين ، فما زالوا في نزاع معهم الى أن غلبوا على أمرهم ، فنزلوا هم وعربانهم في سهول الرملة ثم عادوا فنزل عربانهم في وادي الحوارث[2] وعادوا هم الى جينين ضعفاء لا حول لهم ولا قوة ، وذلك في أواخر القرن الحادي عشر ، فلما مرَّ الشيخ عبد الغني النابلسي سنة ١١٠١ هـ عن جينين في رحلته الى القدس زارهم فكتب في رحلته « وزرنا مدافن الأمراء بيت طرباي الذين كانت بلدة جينين في أيديهم سابقاً ، واجتمعنا بمن بقي من أمرائهم هناك ، وقد صاروا مغارب للامارة بعد أن كانوا لها مشارق » وهذا آخر ما عرف عن آل طرباي ، وقد ساد بعدهم المهاميط ، والنزالية ، ثم آل جرار ، ولم تقم بعد آل طرباي لليمن قائمة الى أن ظهر آل طوقان .

---

(١) ثم عاد بعد ذلك بقوة من الانكشارية فحكم ، وعرفت ذريته فيما بعد بآل سليم وصفو ولا يزالون . (٢) هو بقعة في سهول بني صعب سميت بوادي الحوارث نسبة إليهم ،

الفصل الخامس

الحكام الغرباء

الاضطراب والاضمحلال

فقدت نابلس أمراءها الوطنيين فأصبح حكمها يعطى لحكام غرباء لا يهمهم من أمرها إلا الحصول على الأموال ، وكانوا يبدلون ويغيرون باستمرار ويستبدون بالأهالي ويعاملونهم بمنتهى القسوة بواسطة جنودهم من المماليك والانكشارية فحكمها حكام كثيرون منهم : آل نقلى[1] ، وقرقماز بن فريخ الظالم ، والحكام المعنيون ، وكانت الثورات فيها لا تنقطع ، فكثر اللصوص والأشقياء ، واضمحلت النهضة العلمية وتأخرت التجارة والصناعة ، وتخربت المزارع والقرى ، وتوالى الجدب والأوبئة فأقفرت نصف القرى والضياع من السكان . إلا أنها تمتعت بفترة من الأمن والاستقرار حينما جعلت مركزاً لامارة الركب الشامي في عهد الفقارين .

امارة ركب الحج

كان الخلفاء يكسون الكعبة المطهرة كلما احتاجت ، فيأخذون الكسوة معهم أو يرسلونها مع أحد أبنائهم أو وزرائهم ، وكانوا يرسلون الصدقات لفقراء مكة والمدينة من وقت لآخر بدون حراس . ولما ظهر القرامطة في عهد الفاطميين واختل الأمن في الحجاز ، صارت الكسوة والصدقات ترسل

---

(١) لم أعرف أصل آل نقلا والراجح أنهم مماليك أو أتراك قصورهم في حي القيسارية والحبلة ، اشتراها آل النمر كما سيتبين .

محروسة بقوة من الجند ، وصار الحجاج ينتظرون خروج الكسوة فيخرجون معها ، فسمي هذا الموكب بالركب وقد عين له أمير خاص وأصبحت الكسوة ترسل سنوياً ، وكذلك الصدقات ، وقد صار تنظيم الركب . وقد خصص السلطان قلاون أحد سلاطين المماليك الأتراك الصدقات الكثيرة والهبات الوافرة لأمراء البدو كي يحافظوا على الحجاج ، فكانت هذه السنة سبباً في تمرد البدو الدائم ووقوفهم في سبيل الحجاج الى أن يأخذوا الهبات . وكان الأفضل من هذا تأديبهم كلما عصوا وتمردوا .

ولما ظهر سلاطين آل عثمان خصص سلطانهم الخامس السلطان محمد شلبي أربعة آلاف ذهبة لتوزع على فقراء الحجاز . ولما استولى السلطان سليم على سوريا ومصر نظم ركباً ثانياً عرف بالركب الشامي ، وعرف الأول بالركب المصري ، وصار الركب الشامي يخرج ومعه حجاج الشمال فيلتقي بالركب المصري ويسير الاثنان معاً . وقد خصص السلطان سليم الأول ست ذهبات لكل شيخ من شيوخ عشائر الحجاز ولكل بدوي ذهبة ، ولكل شريف من الأشراف خمسماية ذهبة ، وخصص خمسة آلاف ذهبة لفقراء مكة المكرمة ، وألفي ذهبة لفقراء المدينة المنورة ، وقمحاً وأرزاً تقدر قيمته بمائتي ألف ذهبة توزع على الفقراء والبدو ، وصار الركبان يلتقيان على برك الخليل ويسيران من هناك عن طريق واد اتصلت الى الكرك ومعان وتبوك والعلاء الى المدينة المنورة ومنها الى مكة المكرمة ، وكذلك في العودة .

ولما استعرت الفتن في مصر والشام .وتولى امارة الركب المصري الأمير رضوان الفقاري خرج من مصر وجعل مركزه غزة ، ثم تولى امارة الركب الشامي أخوه الأمير بهرام الفقاري بعد ابن فريخ فجعل

مركزه نابلس وتولاه بعد موته مملوكه الأمير فروخ ، فدام حكم الفقاريين نحو نصف قرن .

آل فروخ

الأمير فروخ هو ابن عبد الله الشركسي ومملوك الأمير بهرام الفقاري تولى امارة الركب الشامي في أول القرن الحادي عشر وضم إليه حكم نابلس والقدس ، وقد جعل مركزه نابلس ، فبنى وكالة الفروخية غرب خان التجار ليسكن فيها رجال الركب الشامي وأصلح أحوال جبل نابلس بقدر الاستطاعة وقد دام أميراً للركب الشامي الى سنة ١٠٣٠ هـ ، وفي هذه السنة مات في مكة المكرمة .



وكالة الفروخية من الداخل ، وقد كانت مقراً لركب الحج الشامي في عهد آل فروخ أمراء الحج

وكان الأمير فروخ في السنة التي مات فيها مختلفاً مع ابنه الأمير محمد ، فوكل مكانه على نابلس مملوكه يوسف ، ولما علم الأمير محمد بموت أبيه وثب على مملوكه[1] يوسف فقتله ، وتولى الحكم مكان أبيه ، وحصل على مرسوم بامارة الركب الشامي بمساعدة الصدر الأعظم حسين باشا صديق أبيه .

(١) وقد رماه من شباك ديوان سراية نابلس الى الشارع فقتل ، ويسند هذه القصة بعض آل طوقان الى صالح باشا طوقان خطأ .

وقد أظهر بعد ذلك قوة وسطوة فهابه العربان حتى كانوا يخوفون به بعضهم ، فإذا قيل للواحد منهم جاء ابن فروخ اصطكت ركبتاه من الفزع ، وقد اشترك الأمير محمد فروخ برد الأمير فخر الدين المعنى عن جبل نابلس مرتين .

ولما ضمّ السلطان مراد الرابع حكم نابلس للأمير فخر الدين المعنى نقل الأمير محمد مركزه الى دمشق وبنى هناك داراً عرفت بدار فروخ وسمي بهذا الاسم من سكنوها بعدهم . وظلّ ابن فروخ في دمشق الى أن قتل الأمير فخر الدين المعنى سنة ١٠٤٣ هـ فعاد لنابلس وظل فيها الى أن مات سنة ١٠٤٧ هـ عن ولدين قاصرين وهما الأمير علي الذي مات سنة ١٠٦٣ هـ ، والأمير عساف الذي صار أميراً للركب الشامي سنة ١٠٦٨ هـ ، ثم نازعه عليها عبد الله باشا النمر وحسن باشا التركماني وولده موسى باشا ، فصار أميراً على لواء عجلون ، وبعد قتل[1] محمد باشا المذكور سنة ١٠٨١ هـ سافر الأمير عساف الى الآستانة ، للحصول على مرسوم بإمارة الركب من السلطان فمات في قونية ، وبموته انتهى[2] بيت آل فروخ .

مئذنة الجامع الكبير الصلاحي بنابلس التي بناها مصطفى بك الفقاري

---

(١) قتله حمد الرشيد أمير حوران وهو عائد من الحجاز . (٢) قبور آل فروخ جوار السرايا القديمة بنابلس استولى عليها آل طوقان فدفنوا فيها بعض أمرائهم .

آل بهرام

بعـد موت الأمير محمد فروخ تولى إمارة الركب الشامي سيده مصطفى بك ابن الأمير بهرام الفقاري وظل أميراً للركب الشامي الى أن توفي سنة ١٠٥١ هـ ، ومن آثاره في نابلس مئذنة الجامع الكبير الصلاحي والمارستان المجاور للجامع المذكور الذي دفن خارجه بأمر عمه الأمير رضوان[1] المذكور .

الاضطراب والفوضى

وبعـد موت الأمير مصطفى تولى الحكم في نابلس مماليك الأمير رضوان فساءت الأحوال وعم الاضطراب حتى سنة ١٠٦٦ هـ التي مات فيها الأمير رضوان ، فثارت نابلس وطردت المماليك ، واضطربت سوريا الجنوبية كلها ، فاضطرت الدولة الى إرسال حملة كبيرة وإيجاد إمارة مستقرة خرج بها عبد الله باشا النمر ، فوفق هو وأولاده الى ايجاد امارة مستقرة دامت مدة قرن ونصف .



---

(١) هو جد آل رضوان في غزة .

الباب الثالث

عصر بني النمر

الفصل الأول

تاريخهم وفروعهم

قبيلة النمر

قبيلة النمر تنتمي الى أسد ربيعة[1] العدنانية انضمت الى تغلب في حروبها مع اليمانيين وانضوت تحت لوائها بعد ذلك تقيم حيث تقيم وتظعن حينما تظعن ، ولما دخلت بكر الى الشمال ولحقتها تغلب نزلت النمر بين القبيلتين ، وامتدت من الموصل الى بلاد الأناضول ، وفي الفتح الإسلامي استنجد المثنى بن حارثة قائد جيش المسلمين بأنس بن هلال النمري فأنجده بجموع كثيرة من تغلب والنمر وأياد ، فاشتركوا في واقعة البويب وتكريت والموصل . واشترك فريق منهم بقيادة صهيب النمر الملقب بالرومي في فتح الشام وقدمات هناك ودفن في الميدان الاوسط بدمشق .

ولما أسس الحمدانيون التغلبيون دولتهم في الموصل وحلب اشتركت معهم النمر الى أن دالت هذه الدولة وقد نزحت في الحروب الصليبية الى الجنوب فنزل امراؤها في بادية مهاين وامتد باقيها حتى[2] حوران .

وتعد قبيلة النمر من القبائل العربية العريقة ، فقد صاهرهم الملك قيس بن زهير العبسي حينما تخلف فيهم بعد واقعة حفر الهباة ، وولد له

---

(١) راجع تسلسل القبائل العدنانية . (٢) ورد في آخر مقدمة ابن خلدون قطعة من الشعر لامرأة من النمر تستنجد القيس في حوران بعد أن قتل زوجها .

ولد سماه فضالة ، قدم على النبي صلى الله عليه وسلم فعقد له على من معه من قومه . وتزوج من النمر عبد المطلب جدّ النبي صلى الله عليه وسلم فولد له من النمرية سيدنا العباس وأخوه ضرار . ومن النمر سيدنا صهيب الصحابي المشهور الملقب بالرومي لنشأته في بلاد الروم . ومنها الحارث ابن حصير أحد رواة الحديث . ومنها زيد بن الكيس النسابة المشهور ومنها ابن القرية المشهور بالبلاغة معاصر الحجاج .

مكانة بنى النمر فى الشام

تفرعت قبيلة النمر كغيرها الى بطون وعمارات ، منها : سعد ، والجراح ، وعبد منات ، وأوس منات ، وتيم الله ؛ ولم يحافظ على اسم القبيلة إلا أمراؤها الذين كان لهم حصن على حدود الأتراك كان يسمى بحصن نمران[1] أي حصن النمر ، وفي الحروب الصليبية نزلوا في بادية مهاين ، وامتدت القبيلة بعد ذلك من حدود الأناضول الى حوران . ولمجاورتهم للتركمان في الشمال واتصالهم بهم اتفقوا معهم وأصبحوا قادة الحركة ضد المماليك في بلاد الشام ، ثم اتفقوا مع السلطان سليم فدخلوا دمشق وأصبحوا أمراء وعماد الدولة في سورية ، فدخلوا جيشها وتقدموا في مناصبها الى أن بلغ أحدهم منصب الصدارة العظمى كما مرّ .

وظلّ أمرهم في بلاد الشام سائراً على هذا المنوال الى آخر عهد الاقطاع . وقد ساروا مع الدولة العثمانية بإخلاص تام الى آخر عهدها وحكموا بقاعاً عديدة وتفرعوا الى بضع أسر سميت بألقابها .

❀❀❀

---

(١) هكذا يسمي بلغة الأكراد والتركمان ، لأن الألف والنون تقوم مقام آل في تلك اللغات الشرقية .

فروع أمراء النمر في الحواضر (١)

آل الدفتري (بدمشق) — آل المهايني ميدان دمشق — آل الصواف (بدمشق) — الإمامية — بنو هاني حوران — وعجلون

- آل المهايني:
  - آل عيسى
    - آل ياسين
    - آل عباس
  - آل عبد الوهاب
- الإمامية:
  - البشابشة (حسبان)
  - اليوسفيون
    - الجوربجية (نابلس)
    - الأقضاة (الكرك — وعجلون)
  - الأغوات (الكرك)

أنسابهم وألقابهم

بعد خروج أمراء النمر من مهاين صاروا يعرفون بالمهاينية ، ولا يزال فريق منهم يعرف بهذا الاسم ، وفريق عرف بالصواف لاتجارهم بالصوف ، وعرف فريق بالدفتري لأن جدهم كان دفتردار دمشق ، وهذا الفرع قد انقرض ، وفريق عرفوا ببني هانئ نسبة لجدهم هاني بك كما مرّ ، وفريق عرفوا بالإمامية لحراستهم طريق الحاج ، وقد تفرع هؤلاء الى عدة فروع وهم : الأغوات في الكرك الذين نسبوا للقب آبائهم ، والبشابشة الذين نسبوا للقب أبيهم عبد الله باشا ، وقد تولوا حراسة قلعة حسبان ، وفريق عرفوا بالأقضاة نسبة لجدهم القاضي الشيخ عمر ، والذين في نابلس عرفوا باليوسفيين نسبة لجدهم الأول الأمير

---

(١) الحواضر جمع حاضرة وهي المدينة ويقال لسكانها حضر .

يوسف ، وبالجربجية كما عرفوا في دمشق ، وقد لقبوا بالأغوات أيضاً . وقد عادوا للانتساب الى نسب القبيلة القديم ، إلا أنهم اضطربوا بين ألقابهم وأنسابهم فكان بعضهم ينسب للجوربجي وآخر لليوسفي وثالث للنمر مع الاحتفاظ بلقب آغا ، وقد لقب بعضهم بك ، ثم اقتصروا على لقب آغا ، ونسب النمر وهو الغالب والأصح .

الفصل الثاني

حملة الامامية للجنوب

سببها وخروجها

حكم المماليك الفقاريون الجنوب وأمّنوا طريق الحج والركبين المصري والشامي نصف قرن كامل ، وحينما كانت سوريا الوسطى تضطرب كانت سوريا الجنوبية آمنةً مستقرة ، ثم مات الأمراء الفقاريون الواحد تلوَ الآخر ، فصارت الفوضى تزداد يوماً فيوماً الى أن مات الأمير رضوان فعمّ الاضطراب ، وطرد جميع المماليك الفقاريين من جبل نابلس ، فاضطرت الدولة الى إرسال حملة كبيرة لإقرار الحالة في جنوب سوريا وتأمين طريق الحج ، فخرج بالحملة أمير عساكر الشام عبد الله باشا النمر عن طريق حوران والجولان وعجلون ، ودخلت جبل نابلس عن طريق بيسان وذلك في آخر سنة ١٠٦٦ .

عبد الله باشا النمر

كانت فرقة اليرلية[1] في دمشق تتكوّن من كتائب أربع : الأولى

(١) اليرلية أي الوطنيين .

من العرب وأمراؤها من النمر المهاينيين ، والثانية من التركمان وأمراؤها من ذرية غازي[1] باشا شهسوار ، والثالثة من الأكراد وأمراؤها من آل بيرم ، والرابعة من المماليك وأمراؤها من المماليك الفقاريين ، وكان أمراء بني النمر يفوقونهم جميعاً لأنهم فوق هذا أمراء عرب الشام في الغوطة وعجلون وحوران. وفي الوقت الذي صدرت فيه الإرادة السلطانية بخروج الحملة كان عبد الله باشا[2] النمر أميراً على عساكر الشام كلها وكان أولاده علي آغا ويوسف آغا وعثمان آغا ضباطاً للكتيبة اليرلية العرب فيها وكلٌ منهم برتبة جوربجي ، وكانوا من أنصار السنة والعلم فاغتنموا هذه الفرصة للاستيلاء على الجنوب ، ولأنهم عمروا المساجد والقلاع ، وأحيوا العلم والسنة ، وأمنوا طريق الحج ، فقد عرفوا بالإمامية ، وبهذا عرفت حملتهم وعساكرهم .

جموع الحملة

تكونت الحملة من فصيلة من اليرلية العرب بقيادة يوسف آغا وعثمان آغا ولدي عبد الله باشا أمير الحملة ، وفصيلة من اليرلية الاكراد بقيادة أحمد آغا بيرم ، وفصيلة من التركمان بقيادة مصطفى بك شهسوار ، وفصيلة من الانكشارية بقيادة جعفر بك الانكشاري ، وفصيلة من التركمان بقيادة الأمير عساف فروخ .

وانضمت الى الحملة جموع من عرب الغوطة وبادية الشام بقيادة علي

---

(١) من ذرية شهسوار المار الذكر صار والياً على دمشق فسكن فيها ، واشتغلت ذريته بالعلم والجندية . (٢) وهو ابن حسين باشا النمر أحد ولاة الشام اشتهر بالآغا الجربجي كأسرته وقد نال لقب باشا مؤخراً أي بعد الحملة ، وإنما اختير للحملة لمكانته الشعبية أكثر من رتبته الحكومية .

آغا ابن عبد الله باشا المذكور ، ومن عرب عجلون وحوران بقيادة أبناء هاني بك المهايني ، ومن عرب الجولان بقيادة الحاج محمود طوقان ، ومعهم أحلافهم من العيطة [1] والبشاتوة [2] . وانضم إليهم من عرب الغور العبيدات الجراحيون [3] . وكان مع الحملة فرحان بك دروزة الذي يقال انه من الفريحات في جبل عجلون .

خطة عبد الله باشا وأعماله

خولت الدولة عبد الله باشا وأولاده سلطة مطلقة ليوجدوا استقراراً في الجنوب إلا أن عبد الله باشا رأى وجوب استعمال الحكمة ، فاتفق مع أولاده على تجنب الصدام والعمل للاستقلال بامارة البلاد والتخلص من الفصائل المتمردة واستمالة الأهالي بالعدل والإنصاف . فلم يبحث عن مسببي الفوضى والاضطراب لأن الغرض منهما كان للتخلص من حكم المماليك الفقاريين ، فشكل حكومة إدارية في نابلس برئاسة ولده علي آغا ، وشكل مجلس الشرع الشريف برئاسة القاضي الشيخ عبد القادر العلمي ، ثم شكل حكومة في القدس وشكل كتائب عسكرية برلية ولاها لولديه يوسف آغا وعثمان آغا ، ثم ترك جبل نابلس للوالي الجديد علي باشا كيوان ولأولاده ، وخرج ببعض الفصائل التي انضمت إليها جرود من جبل نابلس ونزل في البلقاء ، فبنى قلعة وشكل حكومة ،

---

(١) العيطة منهم : الصدر والسخن والقصص وأبو شامة في نابلس ، وهم طائيون .
(٢) منهم آل البشتاوي وآل النابلسي في نابلس ، وقد سميت الأسرة الأخيرة بالنابلسي لنزول جدها الى مكة فاشتهر هناك بالنابلسي ، ولما عاد ولده أو حفيده لنابلس عرف بالنابلسي المكي ، فأنكره أبناء عمه ليغصبوا أملاكه . (٣) ومنهم آل الخماش وأبو الهدى والجوهري الآتي الكلام عليهم .

ثم رحل الى الكرك ، فصاهر العمرو[1] وعهد إليهم بحراسة طرق الحج ثم رحل الى معان ونزل فيها ، وبنى معان الجديدة وبنى القلاع ومنازل الحج حتى تبوك ، وأمن بذلك طريق الحج من دمشق الى العلاء فصار يسير بأمان . وقد اشتهر هو ورجاله بين البدو بالإمامية ، وظلت الأحوال سائرة على غاية ما يرام الى حوالي سنة ١٠٨٠ ﻫ التي مات فيها ، فاضطربت الأحوال بعده في المناطق الشرقية ، فخرج إليها ولده الأمير يوسف بحملة ثانية فهدأها كما سيتبين .

الفصل الثالث

استقلال الامامية بالامارة

الخطة الحكيمة

لم يرد عبد الله باشا وأولاده سلوك طرق العنف للتخلص من عناصر التمرد لا سيما الانكشارية ، فأخذوا يتحينون الفرص للتخلص منهم . وكانوا في نفس الوقت يعملون لاستمالة أهالي البلاد والتخفيف عنهم .

تخفيف الضرائب

تحرى علي آغا النمر متسلم نابلس الخانات ، فأثبت بتقرير رسمي لدى الحاكم[2] الشرعي أن خمساً وثمانين خانة قد تخربت وتركها أهلها نظراً لما حل بهم من الدمار في المدة الماضية ، وكان عدد الخانات كلها مائة وستاً وثمانين خانة ، وكان ذلك بمناسبة طلب مشير الشام قرشين

---

(١) هم أقوى عشائر الكرك إذ ذاك ، وهم من عمرو مضر أو ربيعة اعتمد عليهم لكثرتهم وقوتهم كما سيتبين . (٢) راجع فصل المبدي في باب الحكومة من الجزء الثاني .

عن كل خانة بموجب أمر سلطاني . وبناء على تقرير علي آغا المصدق من الحاكم الشرعي ، أعفي جبل نابلس من نصف الضرائب والأموال الأميرية المعتادة ، وذلك سنة ١٠٦٨ هـ .

اخراج الانكشارية

ازداد أهالي البلاد تمسكاً بالإمامية ، فشجعهم ذلك على التعهد بحراسة البلاد وحكمها بلا أنكشارية ولا مماليك ، فصدرت الأوامر لهم بالرجوع الى الشام ، ثم تلاهم الأكراد ، ولم يبق في البلاد إلا فصائل اليرلية من العرب والتركمان ، وكان هؤلاء متعربين وقد اختاروا سكنى السهول ، وبذلك تمكن بنو النمر من توطيد إمارتهم دون منافسة . وفي أوائل القرن الثاني عشر تمرد تركمان المرج ، فأبعدوا أيضاً كما سيأتي .

خروج امارة الركب الشامي والمماليك

بعد استقرار الحملة في جبل نابلس صار الأمير عساف فروخ أميراً للركب الشامي سنة ١٠٦٨ هـ ، إلا أن عبد الله باشا خشي من أن يكون وجود الأمير عساف سبباً في رجوع المماليك الفقاريين ، فعمل بالاتفاق مع حسن باشا التركماني على نزع امارة الركب من الأمير عساف ، فتولاها حسن باشا الذي جعل مركزه دمشق ، ولأن الأمير عساف عين مير لواء على عجلون ، فقد خرج[1] من نابلس ، وبخروجه

---

(١) ولم يعد الركب الشامي الى جبل نابلس إلا مرة في أوائل القرن الثاني عشر الهجري حينما صار أميره الشريف يحيى باشا البركات من آل أبي نمي أمراء مكة المكرمة ، ثم عين حاكماً على معرة النعمان فعاد الركب الشامي الى دمشق ، وكان أمراء آل العظم قد ظهروا ، فاستقر الركب في دمشق .

خرجت فصيلة المماليك وبعض الأكراد ، ثم خرجت باقي العناصر . فؤاد ذاك أهالي البلاد اغتباطاً إذ أصبحت البلاد كلها متفاهمة رغم وجود بعض أمراء من الأكراد والتركمان ، وقد تعاون الإمامية مع رؤساء وعشائر البلاد ، فأنهضوها وأصلحوها ، فدخلت في دور استقرار دام مدة قرن ونصف كانت فيهما من أسعد بلاد الدولة العثمانية[1] .

الفصل الرابع

رؤساء وعشائر العصر

« القضاة »

كان الشيخ عبد القادر العلمي[2] أول قضاة عصر آل النمر في نابلس ، وقد ساعدهم على توطيد مركزهم ، وصاهر الأمير يوسف وعاضده ، وولاه خلافة الصوفية فأكسبه بذلك عطفاً شعبياً كبيراً ، وكذلك حفيده الشيخ عمر الآتي ذكره . ثم ظهر القضاة التميميون[3] في القرن الثاني عشر ، فوقفوا مواقف كانت من أهم الأسباب في القضاء على التمرد . وكانت لهم مواقف إباء مجيدة ، فقد بلغت بأحدهم الجرأة الى حدّ التمرد على السلطان كما سيظهر . وقد تلاهم قضاة من آل البسطامي

---

(١) راجع الجزء الثاني . (٢) العلميون هم حسنيون من بلدة علم في بلاد المغرب وقد نزل جدهم الشيخ محمد العلمي في القدس في القرن العاشر الهجري فأحيا التصوف فيها ، وقد ظهر من ذريته علماء وقضاة أجلاء . (٣) هم من ذرية سيدنا تميم الداري الصحابي المشهور ، جاء جدهم الشيخ عبد الفتاح بن درويش التميمي قاضياً لنابلس فاستوطنها ، ومن ذريته آل التميمي بنابلس ، وستأتي تراجم قضاتهم في الجزء الثاني .

والخالدي[1] والخماش كانت ظروفهم مضطربة .

الأمراء الشافعيون

هم من ذرية القاضي جلال الدين يونس قاضي قضاة القدس والرملة ونابلس في عهد المماليك الشراكسة ، وأصله من مصر توالى من ذريته القضاة الشافعيون فعرفت ذريتهم بآل الشافعي ، وقد ظهر منهم في العهد العثماني أمراء فخام صاروا أمراء للركب المصري وحكاماً على لواء غزة بعد الأمير رضوان الى أن ظهر آل مكي . فظهر منهم : محمد باشا الشافعي ، وولده مصطفى باشا ، وابن أخيه حسين باشا ، وظهر منهم أيضاً بيكوات وجوربجية كثيرون ، وقد ظلوا أمراء اقطاعيين الى أواسط القرن الثاني عشر الهجري ، وكان آخر أمرائهم الرسميين صالح بك الشافعي ميرألاي كتيبة نابلس بعد اسماعيل آغا النمر ، وبعده اعتزلوا وعاشوا من اقطاعهم وأملاكهم وأوقافهم الكثيرة التي لا يزالون يملكون جانباً منها . وقد عاشوا مع أصهارهم آل النمر على تفاهم ووئام تام .

بيكوات التركمان

قرّب العثمانيون آل شهسوار ، وولوهم حكم الايالات في الروملي والأناضول والبلقان ، وقد عين أحدهم غازي باشا شهسوار والياً على ايالة الشام ، فاستوطن دمشق ، واشتغلت ذريته بالعلم والجندية ، ولما خرج عبد الله باشا النمر بالحملة كان فيها كتيبة من التركمان بقيادة الميرألاي مصطفى بك شهسوار الذي ظلّ ميرألاياً في نابلس واستوطنها ، فبنى قصراً جوار قصر الأمير يوسف النمر ، وقد تولى بعده ولده خليل بك

---

(١) نسبة لسيدنا خالد بن الوليد المخزومي رضي الله عنه ، سكنوا القدس ، وظهر منهم عدد كبير من القضاة الأجلاء بدرجة القاضي الكبير .

امارة ألاي نابلس ، وبعده انتقلت لآل النمر ، وظلّ أبناؤه وأحفاده زعماء اقطاعيين الي آخر عهد الاقطاع ، وكانوا من أخلص وأوفى الناس لآل النمر .

الاغوات التميميون

بعد الحرب الاهلية التي نشبت بين الصف التميمي والصف الكردي في الخليل سنة ٨٧٨ هـ تفرق التميميون في جهات شتى منها الكرك ونابلس ودير نظام ، وقد عرف الذين نزلوا في نابلس بآل سلطان ولما شكل الأمير يوسف النمر كتيبة نابلس البرلية دخل فيها مصطفى سلطان التميمي وصار زعيما يلقب باغا وجوربجي وتوالى الزعماء من ذريته ثم نافسوا آل النمر وعاضدتهم بعض الاسر الخليلية فثاروا في أواسط القرن الثاني عشر مرتين جلوا في الاخيرة منها عن جبل نابلس كما سيأتي .

الاسر والعشائر الخليلية

بعد الحرب الاهلية في الخليل المار ذكرها توالى جلاء الاسر والعشائر الخليلية من الفريقين الى جبل نابلس ومنها : التكروري ، والصاحب ، وكعكور ، والدودة ، وبعارة البقرة ، وسالم اليحي من التميميين ويلحق بهم من صفهم الشتيوات ، وأبو الرووس ، وكلبونه والحامد [1] ، والزاغة ، والعانول . ومن الصف الكردي آل شاهين [2] والخليلي [3] ، وقادرى عيناشي ، والمصري [4] ، وزكريا ، والسائح ،

---

(١) الحامد والزاغة والعانول يرجعون الى أصل واحد (٢) آل شاهين ينسبهم البعض لبني مخزوم وقيل انهم اتوا من الكرك (٣) هم من عشيرة الحمامرة (٤) وهم الذين تفرع منهم ياسين ورزق وندرق وسعادة

والرطروط[١] والقنصير ، والبحش[٢] وعشيرة الدويكات[٣] .

وقد نزح عن بيت جبرين الحلواني وعايش والشرنيم وقد كان لهذه الاسر اثر في حوادث المدينة .

« شيوخ النواحي »

كان شيوخ نواحي جبل نابلس من بقايا عشائر العهد الماضي المتباغضين المتمردين ، ومنهم عشيرة المشاقي مشايخ الجبل الشمالي ومركزهم ياصيد وعشيرة[٤] الرشيدات شيوخ بلاد حارثه ومركزهم « صير » ، والمهابط ومركزهم جيتين ، والعشيرة الثالية في القراوية الشرقية ومركزهم « عرابه » والمناطشة في القراوية الغربية ومركزهم « شويكة » ثم « قاقون » ، وعشيرة شبيطه في بني صعب ومركزهم في رأس العين ، وعشيرة العتوم[٥] في جماعين ومركزهم عزون المعروفة اليوم بعزون ابن عتمه او عزون الحرابه ، وعشيرة بني شمسة في المشاريق ومركزهم بيتا والعطاعطة في وادي الشعير ومركزهم رامين . وقد ظلت هذه العشائر تثور وتتمرد الى أن قضت على بعضها وضعفت فحل محلها غيرها كما سيأتي في الباب الرابع .

---

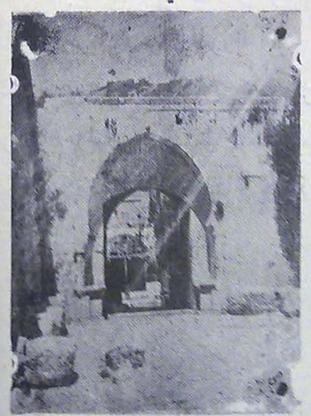
(١) وهم من حامولة الحنانية (٢) وهم من حامولة العويض في الخليل (٣) راجع عشائر جبل نابلس في الباب الرابع (٤) وهم يمانيون من الضيغم الزبيدي من بقايا اليمنيين في جبل نابلس ومن اقدم عشائر الاقطاع (٥) والراجح انهم من نسل آل عبد القادر المار ذكرهم .

الفصل الخامس

الأمير يوسف النمر

نشأته وثروته

الأمير يوسف هو ابن عبد الله باشا النمر المار الذكر ، وأمه بنت الصدر الأعظم نصوح باشا النمر المارّ الذكر ، وحفيده السلطان أحمد[1] الأول ، علمه والده في دمشق ، ثم أدخله في جند اليرلية ، فصار بلوكباشياً[2] بلقب آغا ورتبة جوربجي ، ثم صار ميرألاياً بلقب بك ، فعرف بيوسف بك في أخريات حياته . وكان والده في أخريات حياته قد أشرك معه في حكم المناطق الشرقية ولديه علي آغا وعثمان آغا ، وترك جبل نابلس لولده الأمير يوسف بك وحفيديه علي آغا وصالح آغا ، وكان الأمير يوسف أشجع اخوته وأكثرهم ثروةً ، إذ ورث من أمه ثروةً كبيرة ، كما ورث ثروة أخرى من زوجاته وإحداهن بنت الصدر الأعظم سياغوش باشا والأخرى بنت الأمير رضوان الفقاري ، والثالثة بنت القاضي الشيخ عبد القادر العلمي ، وبهذه



بوابة قصر الأمير يوسف النمر
المعروف بدار الآغا الكبيرة

---

(١) ولان جدة آل النمر اليوسفيين حفيدة السلطان أحمد ، فقد منعوا تزويج بناتهم من غير أمرئهم ولا يزالون . (٢) كانت هذه الرتبة كبيرة ذكرها المرادي .

الثروة اشتغل بالتجارة ، وأسس الإمارة ، واشترى أملاكاً كثيرة من دور وبساتين وأراض في نابلس وقراها ، وقد اشترى قرية بيت سلوم جوار عزون ابن عتمه .

تأسيس الإمارة

كان الأمير يوسف مصمماً على سكنى نابلس ، فحالما نزلت الحملة واستقرت اشترى داراً حولها إلى قصر اقطاعي[1] جميل في الجهة الشمالية[2] الشرقية من مدينة نابلس أوفاه جميع ما يجب أن يكون فيه حسب طراز ذلك العهد من الدواوين والغرف والمقاصير ، فصار هذا القصر قاعدة الحكم ومقر إمارة جبل نابلس مدة تزيد على القرنين .

وقد بنى الأمراء والضباط والزعماء والتجار دورهم في البقعة التي بنى فيها قصره ومنهم آل مرعي ، والاخرص ، والنابلسي ، وشهسوار ، وشاهين ، والمصري ، ومنكو ، والبابا ، وبعارة ، وأمين العربن ، وبكري ، والطوباشي ، والششتري وغيرهم من الأمر ، وقد نقل مجلس الشرع الشريف إلى هذا الحي أيضاً . وقد انتشر البناء في هذه البقعة ووسع السور[3] وزيدت البوابات .

وكان الأمير يوسف فوق هذا عالماً ، فبعد اتصاله بصهره الشيخ عبد القادر العلمي أخذ عنه طريقة التصوف فأحبه الشعب وصار أميراً

---

(١) راجع بحث القصر في فصل الاماكن الخاصة في باب أحوال المجتمع في الجزء الثاني . (٢) وقد سمي هذا الحي بالحبلة لانه كان مقسما الى بساتين تعرف بالحواكير المحاطة بأحجار غير مبنية تسمى الحبلة . (٣) كانت نابلس محاطة بسور بسيط فيه أربع عشرة بوابة لاخذ المكوس (الجمرك) .

عسكريا ورئيساً روحياً . وكان محباً للعمران والتقدم والنهوض ، ففي الوقت الذي كان يعمل فيه لتأسيس الإمارة ، كان يبذر بذور النهضة العامة ، ويختط خطط العمران ، فهو مؤسس إمارة بني النمر ومنهض جبل نابلس ، على أن أعماله لم تقتصر على جبل نابلس اذ ان موت أبيه وثورة الكرك والبلقاء واضطراب منطقته معان وعجز الإمامية هناك عن تسكينها كل ذلك حمله على الخروج بحملة أخرى وفق فيها كل التوفيق فعدّ بعد ذلك أمير سوريا الجنوبية وكافل قلعة الكرك وحامي طريق الحج كما سيأتي .

النهضة العسكرية

بعد خروج الانكشارية والمماليك والأكراد قام الأمير يوسف بتشكيل كتيبة من النابلسيين فيها الفرسان والمشاة وقد ساعده والده في تشكيلها . وبتوزيع الاقطاع على الفرسان الذين عرفوا بالسباهية ، أصبح منهم الزعماء والعرفاء الذين لقبوا بيك ، وآغا ، وجوربجي ، وبشه . فانتظم في هذه الكتائب عدد من أبناء الأسر الكبيرة الذين نالوا فيها مراكز طيبة ومنهم : مصطفى آغا جوربجي سلطان التميمي ، وناصر جوربجي ومراد بك وحسين بك أبناء محمد باشا الشافعي ، وصالح بك المصري ، وعثمان بشه بن كمال[1] بطوطه ، وفخر الدين بك ابن الحاج علي قمحية[2] ، وحسن آغا جوربجي بن أبي بكر الأخرمي ، وحسن آغا جوربجي ابن الشيخ بكري النابلسي ، ومراد بك بن ابراهيم

---

(١) نسبة إلى جدهم ابن بطوطة السائح المغربي المشهور وقد تفرعوا الى دياب وبطبوط ، والمغربي ، وكمال . (٢) يرجع نسبهم لبني سليم الحجازيين ولهم أقارب في مصر ومنهم تفرع آل الداري بنابلس .

مرعي[1] ، وعلي بك ابي زعرور . وقد احترفت الجندية أسر كثيرة فيما بعد منها : عسقلان ، والبشناوي ، وخريم ، وجبيري باشي ، والرطروط وأبي سمرة ، وأبي شلبك ، والمعري ، وابي زعرور ، والخلة ، والطوباسي وباكير ، والبيت ، والحلبي ، والششتري ، وبعاره ، والكنا[2] وشهوار ومخلوف فكان منهم الزعيم ، والشاويش ، والسباهي ، والتابع ، وقد كانت هذه الكتيبة الوطنية التي عرفت بالاي سباهية نابلس سبباً في الحيلولة دون وجود الانكشارية في جبل نابلس حتى نهاية عهد الاقطاع . وقد تولى إمارتها الأمير يوسف بنفسه ، ثم ولاها فيما بعد لخليل بك شهوار ، ثم انتقلت لحفيده محمد آغا واستقرت في آل النمر حتى نهاية عهد الإقطاع كما سيأتي .

النهضة الاقتصادية[3]

كان مما نهر عليه الأمير يوسف انهاض البلاد اقتصادياً فأنشأ المصبنة التي عرفت باليوسفية نسبة اليه وأمن طرق التجارة واتصل بأصهاره وأقاربه في القدس ودمشق ووكل الوكلاء . وقد حذت حذوه أسر كثيرة سيأتي الكلام عليها فتحسنت الأحوال التجارية ، وقد عمر العمارات وشجر البساتين وسهر على الاقطاع فتحسنت الحالة الزراعية . وأتى بمهرة الصناع من حلب وحماة ودمشق وأنزلهم في نابلس ، فازدهرت الصناعة وتحسنت اقتصاديات البلاد كلها . ولتحسن الصلة بين نابلس والمقاطعات الشرقية ، فقد أصبحت نابلس تصدر كثيراً من مصنوعاتها اليها وتستورد

---

(١) آل مرعي أسرة حلبية اشتغلت بالعلم والجندية كان منهم كتاب مجلس الشرع ووكلاء لاميرالاي نابلس ولمتسلمي آل نمر . (٢) وكانت أسرة الكنا تلقب بالبيك وقد انقرضت من عهد قريب . (٣) راجع باب التجارة في الجزء الثاني .

منها كثيراً من المواد اللازمة لها . واستمرت الحركة الاقتصادية في تحسن يغذيها أولاده وأحفاده حتى بلغت بعد قرن الغاية المنشودة في التقدم وأصبح جبل نابلس من أغنى بقاع المعمور وازدحمت نابلس بالكنوز .

النهضة العلمية (١)

مضى على جبل نابلس نحو قرن ونصف كان فيهما مسرحاً للفوضى فتقهقرت الحركة العلمية ثم اضمحلت ، فلما نزل فيه آل النمر بحملتهم وجدوا أن مدارس العلم قد درست وضاعت أوقافها وقد تناقص علماء نابلس ولم يبق منهم إلا الشيخ أبو بكر الاخرمي ، فاتفق معه الأمير يوسف النمر ومعه صهره الشيخ عبد القادر العلمي على القيام بنهضة علمية فقبضوا الأوقاف وحضوا على العلم وتولى الشيخ أبو بكر الاخرمي التدريس في الجامع الحنبلي فجلس على حلقته الأمير يوسف النمر بنفسه وأولاده الثلاثة صالح آغا وعلي آغا وعمر آغا واقتدى به سائر الأمراء وتحركت أسر العلم ، فصارت تحض أبناءها على العلم وترسلهم الى القدس ودمشق ومصر فازدهرت الحركة العلمية وتقدمت فظهر في القرن الثاني عشر عدد كبير من العلماء (٢) الأعلام .

الاضطراب والثورة في المناطق الشرقية

كانت قبيلة العمرو خارجة من الحجاز قبل الحملة بقليل ولما تولت أمر حراسة طرق الحج في البلقاء والكرك طغت واستبدت حتى كانت تجبر البدو على قطع الشوك وجعله طرحه يدوسونها حتى تدمى أرجلهم

---

(١) راجع باب العلم في الجزء الثاني . (٢) راجع تراجم العلماء في الجزء الثاني في باب العلم

فثارت عليها عشائر الكرك ووقعت حرب أهلية امتدت إلى البلقاء ومعان دارت فيها الدائرة على العمرو وباغت التميمية رجال الحكومة والحامية في القلعة من رجال عبد الله باشا فذبحوهم عن آخرهم . وكان عبد الله باشا قد مات قبل ذلك وتعطلت طريق الحج وامتد التمرد حتى حوران فقتل أمير الحج موسى باشا التركمان سنة ١٠٨١ وعجز علي آغا وعثمن آغا ولدا عبد الله باشا النمر عن إخضاع التمرد ولم يمدهم والي الشام بشيء فاستنجدوا بأخيهم الأمير يوسف في نابلس .

حملة الجورجي الى البلقاء والكرك

أصبحت كتيبة الأمير يوسف النمر قوية متماسكة ، وانضمت إليها جموع كثيرة من عشائر جبل نابلس البواسل ، ومن التركمان وبقايا الأكراد ، فدخل البلقاء وأخمد ثورتها ، وضم إليه ما استطاع من عربانها ، وتقدم بهم نحو الكرك . ولما قرب من مدينة الكرك لاقاه التميمية بجموعهم ، فغلبهم وهربوا تاركين في الساحة منهم ثلاثين قتيلاً ، فدخل الكرك دخول الظافر ونزل في قلعتها . وقد ضرب ببسالته المثل فصار يقال سيف يوسف جورجي ولا يزال ، وقد عرفت حملته بحملة الجورجي . وملأت سطوته قلوب العشائر الشرقية رعباً ، فأخذت تتوافد عليه مقدمةً له الطاعة ، وكانت هذه الحملة أول عمل قامت به الكتيبة النابلسية ، فأكسبها ذلك شهرةً واسعة .

اجلاء بعض عشائر الكرك والبلقاء

وبعد أن استقرت الأحوال قرب الأمير يوسف إليه عقلاء العشائر وأخذ بمساعدتهم يجلي العشائر التي ثبت أنها أصل الثورة ، فأجلى التميمية

الى الخليل ، فعرفوا بالمجالي ، وأجلى الجرادات أكبر عشائر العمرو الى جبل الخليل وجبل نابلس . ثم تحوّل نحو البلقاء فأجلى بني غازي[1] والحواترة وغيرهم الى ناحية جماعين في جبل نابلس ، وأجلى عشيرة قمير الى جورة عمرة ، فنزلوا في كفر قدوم ، وأجلى الشقران الى لواء اللجون ، وقد أجلى غيرهم وأسكن عدداً من عشائر جبل نابلس من عرب وتركمان ودويكات في منطقتي الكرك والبلقاء ، وأصبح الإجلاء الى جبل نابلس ، ومنه عادة جارية مدة قرن كامل ، ولهذا فإنها توجد قرابة وصلة بين كثير من عشائر جبل نابلس والكرك والبلقاء ، كما أن أسماء بعض القرى والبقاع في الجهتين واحدة.

التنظيم الجديد

رأى الأمير يوسف أن من الصعب حكم المناطق الشرقية ما دام المركز العام في معان . فنقله الى الكرك لأنها تقع بين البلقاء ومعان ، وأتى بالإمامية[2] وأمرائهم من الأغوات[3] والبشابشة ومعهم بنو حميدة[4] الى الكرك فأسس علي آغا الحكومة وعثمان آغا كتيبة عسكرية بمساعدة أخيه الأمير يوسف وأسس الشيخ عمر ابن الأمير يوسف مجلس الشرع[5] وصارت حكومة الكرك تسيطر على مناطق شرق الأردن كلها من عجلون الى العقبة ، وظلت كذلك الى أواخر القرن الثاني عشر . وقد

---

(١) راجع عشائر جبل نابلس في الباب الآتي . (٢) عرف رجال عبد الله باشا جميعاً بالإمامية في المناطق الشرقية . (٣) عرف علي آغا وعثمان وذريتهما فيما بعد بالاغوات وعرف اخوتهم الصغار وذريتهم فيما بعد بالبشابشة نسبة الى لقب أبيهم عبد الله باشا . (٤) يقال ان منهم اسرة النبط بنابلس . (٥) عرفت ذريته بالاقضاة ومنهم فريق في جبل عجلون .

سكن الأغوات قلعة الكرك[1] ، وتولى إخوتهم البشابشة حماية قلعة حسبان . وقد أصبح الأمير يوسف كافلاً لقلعة الكرك ، ولقب بأمير الأمراء .

تغيير طريق الحج

كان من رأي الأمير يوسف تغيير طريق الحج فوافقه والي الشام على ذلك ، وبعد أن كان الركب يسير عن طريق معان الى قلب الحجاز صار يسير من الكرك الى الشوبك فالعقبة ، ثم يسير عن طريق ساحل الحجاز الى الوجه والينبع ، وبهذا أصبح الطريق أكثر أماناً من ذي قبل ، وقد دام على هذا السير نحو قرنين كاملين .

باقي أعماله وذريته

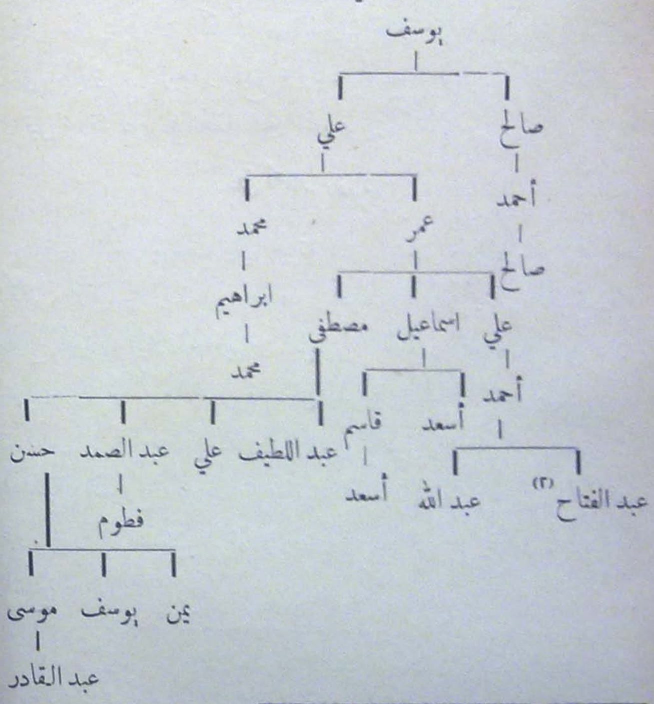
قضى الأمير يوسف باقي حياته التي انتهت حوالي سنة ١٠٩٧ هـ متنقلاً بين نابلس والقدس والسلط والكرك ومعان ينظم الكتائب ، ويصلح أحوال البلاد ، ويؤمن طريق الحج . وقد حسن العلاقات التجارية بين نابلس والقدس والمناطق الشرقية ، فكان البدو يستوردون من نابلس ما يحتاجون إليه من الملابس الصوفية والقطنية والمصنوعات الحديدية والسروج وغيرها ، ويأتون لنابلس بالقلي والسمن والصوف وغيره ، وصار سكان شرق الأردن وغرب الأردن يتبادلون السكنى والسلع .

---

(١) وفي أواخر القرن الثاني عشر بدأ الشميمية يعودون الى الكرك تدريجياً فرتبوا مؤامرة مع العشائر الحاسدة للاغوات و باغتوهم في القلعة يوم العيد وقتلوا عدداً منهم وأخرجوا الاطفال والنساء واستولوا عليها وقد رحل الاغوات بعد ذلك الى خربة سمره وانضم اليهم الامامية جميعاً واصهارهم من العمرو وبني حميده فحافظوا على كيانهم ولا يزالون

وقد رسّخ الأمير يوسف قدم بني النمر في الجنوب ، وعرفت ذريته فيما بعد في جبل نابلس بالأغوات الجوربجية ثم باليوسفيين الى أن عادوا للانتساب الى النمر مع بقاء لقب آغا . ولقد وفقوا الى إيجاد امارة[١] مستقرة مستوفية لكافة الشروط والتقاليد ، وقد مات الأمير يوسف محترماً محبوباً من الجميع بعد أن أوجد في سوريا الجنوبية نهضة حقيقية .

تسلسل بني النمر في نابلس



---

(١) راجع باب الامارة في الجزء الثاني . (٢) ان آل النمر الباقين هم من ذرية ذرية عبد الفتاح وعبد الله وعبد القادر والباقون ماتوا بلا خلف .

الفصل السادس

البليغ المفرد علي جوربجي النمر

نشأته وصفاته

علي آغا جوربجي هو أكبر أبناء الأمير يوسف النمر وأمه السيدة علمية بنت الشيخ عبد القادر العلمي .

نشأ نشأة الفتوة[١] مشبعاً بروح الفروسية كأبيه وأعمامه ؛ ولما كبر طلب العلم على حلقة الشيخ أبي بكر الأخرمي وسار على خطة أبيه في التصوف فنبغ وفاق الأقران حتى خوطب بالبليغ المفرد . ثم أدخله والده في ألاي السباهية وأعطاه اقطاعه ثم صار متسلماً على نابلس بعد انتقال عمه علي آغا الى معان وقد تعاون مع أمراء آل الشافعي وآل شهسوار على حكم جبل نابلس فأحسن القيام به ، ولما كبر أخوه الشيخ صالح وأولادهما أحمد آغا ومحمد آغا وعمر آغا ساعدوه في الحكم ثم ضم اليهم حكم القدس واللد والرملة فترك الجربجي الحكم لهم واعتزل .

وكان علي آغا مثال الزهد والنبل والشجاعة والكرم مع الحكمة في الحكم والسياسة فاشتهر فضله عند العام والخاص واحترمه العلماء وأجلوه وقد أعجب به الشيخ عبد الغني النابلسي الدمشقي[٢] كبير علماء عصره فنزل ضيفاً عليه حينما زار القدس سنة ١١٠١ هـ وأثنى عليه ثناء عاطراً في رحلته القدسية فقال : «وقد نزلنا في بيت متسلم تلك البلاد النابلسية

---

(١) راجع فصلي الفتوة والفروسية في باب الامارة من الجزء الثاني . (٢) آل النابلسي بدمشق أصلهم من قرية جماعين في جبل نابلس ، رحلوا الى دمشق في الحروب الصليبية .

والأماكن الشريفة الانسية ، وهو صاحب الأخلاق الرضية والسلالة العلمية مفخر الأعيان وانسان العين بالنسبة الى نوع الانسان جناب علي الجربجي من أعيان الجربجية التي في دمشق المحمية ابن المرحوم مفخر الأمراء المعتبرين الأمير يوسف كافل قلعة الكرك سابقاً فقابلنا بصدره الرحيب ووجهه الذي هو وجه الحبيب فمكثنا عنده خمسة أيام في عيش هني وقدر سني وروض جني ، فتصافحنا بكفوف الأرواح والسرور ودخل علينا الإخوان والأحباب وتفتح لنا من بشاير القبول آيات » وقد قال فيه الأبيات الآتية :

زرت في بلدتنا نابلس ... أهل أصل في العلا منغرس
أهل إكرام وجود وتقى ... ما لهم غير الهدى من حرس
عندهم انست نور الآي ... مثل موسى طالباً للقبس
دوحة الوادي له الظل الذي ... ينعش الغارس قبل الغرس
نسل عز وفخار وعلا ... كل سار من نداه يحتسي
عليّ الاسم والقدر وما ... هو إلا ياء فيه ياء نسي
زاده الله كمالا في الورى ... وحباه بالمقام الأقدس
وله أوهب أعلا دولة ... جودها كالوابل المنبجس
وعن الشر حمى ساحته ... بين من يحسن فعلا ويسي
ما زها الروض بزهر فايح ... وتبدى في ثياب السندس

وقال في مكان آخر : « وتذكرنا بسيرنا من دمشق الشام الى نابلس المحروسة ، ونزولنا بالساحة العلية على قدم الاعزاز والإكرام فقلنا في ذلك :

قد سرت من عند ابراهيم آغاتنا [1]   بجلق الشام نجل المجد والكرم
الى علي ابن بحر الجود يوسف   يوم الندا يده السمحاء كالديم

وهذا من الشيخ عبد الغني الصوفي الكبير لا يكون مجرد مجاملة ، لأنه لم يكتبه لغير الجربجي إذ كان علي آغا الجربجي عالماً صوفياً وأميراً خطيراً ، وقد أصبح قطب الرحى في الجنوب ومرجع الولاة ، وموضع ثقتهم ، ولم يكن علمه وتصوفه مع الضعف فقد كان ثرياً كبيراً وحاكماً قوياً قديراً ، وفق للقضاء على التمرد والعصيان والى حل مشاكل خطيرة دخلت البلاد بعدها في عصر ذهبي زاهر كان كله عهد خير وبركة .

طرد التركمان

ضعفت صلة تركمان المرج بأمرائهم آل شهسوار في نابلس وانفرط عقدهم ، ففسدوا وكثر أذاهم وتسلطهم على القرى المحيطة بالمرج فقطعوا الطرقات حتى بلغت بهم الجرأة الى الاعتداء على جمال وذخائر متسلم لواء اللجون حسين بك الشافعي الذاهبة من جينين الى عكا بحراسة رجاله . فطلب حسين بك علي آغا النمر متسلم نابلس الى جينين وكتبا تقريراً لدى الحاكم الشرعي عدّدا فيه فظائع التركمان وعدوانهم على القرى وقطعهم الطرقات بشهادة شهود العيان ، وأرسلا التقرير الى والي دمشق ، فصدرت الأوامر بطرد التركمان من جبل نابلس ، فقام بطردهم علي آغا وحسين بك والشيخ علي الماميط شيخ جينين ، فأجلوهم الى جهات حيفا وطبريا ، ولا يزالون يعرفون بعرب التركمان ، وهم آخر

---

(١) ابراهيم آغا هو ابن سعيد آغا جد آل المهايني بدمشق وهو سبب الصلة بين الشيخ عبد الغني النابلسي وعلي آغا الجربجي ابن عمه .

العناصر الغريبة ، وكان إبعادهم آخر مادة في خطة عبد الله باشا النمر وأولاده ، وقد حدث ذلك في سنة ١١٠٦ هـ .

غارة نصوح باشا الطاغية

بعد خروج الركب من نابلس واستقراره في دمشق ، صار أميره يمر عن عجلون والبلقاء وينزل في جماعية[(١)] حسبان حيث يلتقي بباشا[(٢)] الدورة الذي يمر عن الجهة الغربية ، فيجمع الأموال الأميرية المطلوبة من صفد وجبل نابلس وجبل القدس وجبل الخليل ، وكانت عادة باشا الدورة النزول في مراكز الألوية[(٣)] وهي : جنين ونابلس من جبل نابلس ، وهناك يحاسب المتسلم[(٤)] وشيوخ النواحي . وتسمى هذه المراكز بالمنازل . وفي سنة ١١٢١ هـ خالف باشا الدورة نصوح باشا هذه العادة وأتى الى القرى رأساً وصار يطلب من شيوخها الأموال الكثيرة ، فعصوا وخطف بضع[(٥)] بنات من بنات قرى لواء اللجون ، وعاد مسرعاً الى دمشق .

اغتيال نصوح باشا

هاج جبل نابلس جميعه حينما بلغه ما فعله نصوح باشا ، إلا أن الجوربجي سكن الهياج واعداً باغتيال نصوح باشا إذا عاد . وبقيت البلاد تنتظر مرور نصوح باشا ، إلا أنه لم يمر بالدورة إلا سنة ١١٢٦ هـ

---

(١) هي قطعة أرض يملكها آل النابلسي اليوم . (٢) باشا الدورة يقال له أمير الجردة أيضاً وهو نائب أمير الركب ، فإذا مات أمير الركب حل محله بموجب مرسوم احتياطي من السلطان ، كما سيظهر في الجزء الثاني في آخر باب الامارة . (٣) كان القسم الشمالي في أكثر الاحيان يعتبر لواء مستقلاً يسمى لواء اللجون ومركزه جنين .
(٤) راجع بحث شيوخ النواحي في باب الامارة من الجزء الثاني . (٥) ولم تكن البنات المخطوفات سبعماية كما يقول بعض المؤرخين ، لأن اختطاف هذا العدد من جبل نابلس في ذلك العهد يحتاج الى جيوش .

فمر عن جبل نابلس خلسةً ونزل على بركة الرباط في الرملة ، وأرسل يطلب أمراء وشيوخ جبل نابلس اليه ، فاجتمعوا في رأس العين عند الشيخ شبيطي شيخ بني صعب واتفقوا على عدم الذهاب اليه ، ولما بلغه الخبر جاء بنفسه ونزل ضيفاً على الشبيطي ، ولما أراد العودة خرج معه الشبيطي لوداعه فقتله الباشا في الطريق . وفي تلك الاثناء كانت المؤامرة قد تمت بين أحمد آغا بن صالح آغا النمر متسلم اللد وبين فدائية عمه الحاج علي آغا الجوربجي وأهل البنات على اغتيال نصوح باشا . ولما كان يتجول في ناحية بركة الرباط بعيداً عن جنوده وثب عليه فدائية نابلس فقتلوه وهجمت عربان نابلس والرملة ونهبت جردة الحج وكل ما كان فيها من الذخائر ، فشرد جنود الجردة الى القدس .

التحقيق في مقتل نصوح

كانت القدس لواءً ، تتبعها الرملة واللد ، وكان حاكمها يعرف بالمتصرف[1] ، ولما وصل جنود الركب الشامي الى القدس وبلغ المتصرف ما حلّ بهم وبأميرهم جنّ جنونه فجرّد الجرود[2] والجموع وبطش بعربان الرملة وبني صعب . وكاد يقع صدام بين جبل القدس وجبل نابلس ، فأنذر علي آغا الجوربجي متصرف القدس بالكف ، وطلب من والي الشام التحقيق ، وأطلعه على الواقع وسبب هياج جبل نابلس ، ففوض الوالي علي الجوربجي النمر المذكور بالتحقيق ، فأرسل من طرفه ولده عمر آغا الذي قام بالتحقيق بمساعدة ابن عمه أحمد آغا متسلم اللد . فأظهر التحقيق أن الذين قتلوا نصوح باشا هم أهل البنات اللواتي اختطفهن نصوح باشا في غارته ، وأرسلوا بعد التحقيق الى والي الشام .

(١) كانت هذه الرتبة معروفة . (٢) الجرود أي جموع العساكر أو المحاربين .

العفو عن قتلة نصوح

ولما وصل المتهمون إلى الوالي طلبوا التحقيق مع البنات أنفسهن وكانت اليعبدية [1] أجملهن في الاستانة عند زوجة نصوح باشا وكانت تتردد معها على حرم السلطان فأعجبن بجمالها وتعرفن عليها . ولما طلب التحقيق معها استدعاها السلطان وحقق معها ولما تأكد الخبر أصدر الامر بإعادة البنات وبالعفو عن قتلة نصوح باشا فعفي عنهم وكان في هذا المصير عبرة لمن تلوا نصوح باشا من الولاة وامراء الدورة .

عزل متصرف القدس وتعيين عمر آغا

على أثر التحقيق بالحادث تبين أن متصرف القدس خرج عن حدود التأديب فعزل ، وقد الغيت متصرفية القدس وأصبحت هي والرملة واللد سناجق أي ألوية تابعة للوالي رأساً واحتفظ ولاة آل العظم من ذلك الحين بإمارة اللواء لأنفسهم ولم يتجاسر أحد على طلبها منهم وقد عين عمر آغا النمر متسلماً على الرملة ثم على القدس ، وبذلك بدأ حكم آل النمر للقدس من ذلك الحين حتى أواسط القرن التالي أي نحو قرن كامل فشملها عصرهم الذهبي .

اعتزال الجوربجي ووفاته

لما تقدم علي جوربجي النمر في السن ، ترك حكم نابلس لأخيه الشيخ صالح ولولده محمد آغا وبقي حكم القدس بيد ولده عمر آغا واعتزل إلا أن الثورة التي حصلت بعد ذلك اضطرته على الخروج من عزلته والاشراف على حكم البلاد إلى أن استقرت الأحوال وازدهرت البلاد

---

(١) وهي من قرية يعبد .

ودخلت في عصر ذهبي طويل مات الجوربجي في أوائله قرير العين حوالي سنة ١١٥٠ هـ بعد أن تمتع كل عمره بمكانة كبرى عند الشعب والولاة، فهو العالم الصوفي الكبير والسياسي المحنك والحاكم القدير، طارد المتمردين ومذل الطغاة والفاتك بالجبابرة. تركه والده في جبل نابلس وحيدا فبحكمته وسماحته وحسن خلقه استطاع أن يحتفظ بالإمارة والحكم بمساعدة أصدقائه ثم أخيه وأبنائهما فمات وحوله عدد من أمراء أسرته وكلهم حكام ازدهرت البلاد في عهدهم وأصبحت في اسعد حال، وكفاه فخراً أن يمدحه الشيخ عبد الغني النابلسي العالم الصوفي الكبير وقد وفق لتربية حكام حكماء[1] أصلحوا البلاد ووحدوها ورفعوا مستواها الأخلاقي الى أسمى الدرجات.

الفصل السابع

الحاج[2] محمد اغا جربجي النمر

نشأته وامارته

درب الحاج[3] علي جربجي المار الذكر ولديه محمد آغا وعمر آغا على الحكم وأشركهما معه في غرة شبابهما فجعل الأول عسكرياً والثاني

(١) راجع فصل رقي المجتمع في البـاب الأخير من الجزء الثاني، وكذلك مباحث الفروسية والفتوة من باب الامارة. (٢) أصبح الوصول الى الحجاز عسيراً لاختلال الأمن هناك، فصار من يحج يلقب بالحاج ويعتبر لقبه لقباً دينياً كلقب شيخ فيضمه الولاة لألقابهم كما سيظهر، وقد أبقيت هذا اللقب لمحمد آغا تمييزاً له عن حفيده وعن منافسه وسميه ابن سلطان. (٣) الحاج علي جربجي وعلي آغا جربجي هو نفس المتسلم المار الذكر.

إدارياً . وكان الأول شغوفاً بالفتوة فنشأ فتى فارساً شجاعاً كريماً ، فتدرب على ألعاب الفتوة والتمارين الحربية السائدة في ذلك العهد وأعطاه أبوه اقطاعه واقطاع جده الأمير يوسف وأدخله ألاي السباهية فصار زعيماً على زعامة بيت وزن . وفي سنة ١١٣٩ هـ انتخبه الزعماء والسباهية أميراً لألاي نابلس وبذلك انتهى عهد أمراء الأكراد والتركمان وهذه أمنية الجريجي وهي استرداد الامارة العسكرية لأسرته ، وقد اشتهر محمد آغا كأبيه وأجداده بالجريجي ولقب بالآغا لقب أسرته ولقب بالبيك لقب أمير الألاي .

اعادة تنظيم الألاي

كثر الأشقياء في جبل نابلس ممن اعتادوا قطع الطرق وحرق الشجر والعدوان على الناس ، وكان هؤلاء يحتمون بالشيوخ والزعماء والسباهية المتمردين الذين كان يعجز أمراء الأكراد والتركمان عن إخضاعهم . فلما تولى الحاج محمد آغا النمر امارة الألاي صمم على تجديده وقطع دابر الأشقياء فصار يبدل الأقطاع (١) القديم ويعطيه الى سباهية جديدين ويتوب الأشقياء في القرى ويضمهم الى السباهية بعد أن يأخذ عليهم عهداً باتباع تعاليم الفتوة وروح الفروسية . وقد قام بهذا بمساعدة والده فأصلح أحوال البلاد وبدل روحها (٢) كما سيتبين من مباحث الفتوة والفروسية في الجزء الثاني .

ثورة ابن سلطان

كانت أعمال محمد آغا النمر سبباً في تحرشه واصطدامه بالشيوخ

---

(١) راجع فصل الاقطاع في باب الحكومة من الجزء الثاني . (٢) راجع باب الامارة في الجزء الثاني .

والزعماء والسباهية المتمردين الذين صار يضرب على أيديهم ويوقفهم عند حدهم وقد ابتهج جبل نابلس جميعه بخطة محمد آغا فعاضده الجميع بكل اخلاص وكان محمد آغا سلطان التميمي أحد زعماء السباهية في ذلك العهد يطمع بإمارة الألاي فأضمر الكيد لمحمد آغا النمر ولما شرع بخطته الإصلاحية ترأس المتمردين ودعاهم الى الثورة فاشتد التمرد في المدينة والقرى .

وفي ذلك الحين كان متسلم نابلس الشيخ صالح آغا النمر ابن الأمير يوسف ، وكان الحاج علي الجربجي نازلا في القدس يساعد ولده عمر آغا على حكمها . وكان وكيل المتسلم بنابلس مصطفى آغا شاباً صغيراً فأغرى ذلك المتمردين على الثورة والتمرد . فثار ابن سلطان وانقادت اليه أكثر الأسر الخليلية في المدينة . وامتدت الثورة للقرى والبدو .

عصيان القرى والبدو

كان المشاقيون يقتطعون بضع قرى في الجبل الشمالي منها : عصيرة وياصيد ، وزواته ، وطلوزة ، وطمون ، وطوباس . وكان الرشيدات يقتطعون بضع قرى اخرى وراء اقطاع المشاقيين وهي : الكفير ، وسريس وصير ، وخربة أبي علي ، وعقابة ، ومسلية ، وتياسير . وكانت العداوة قوية بينهم وبين المشاقيين ، وكان هؤلاء في نهضة وتقدم فباغتوا الرشيدات وذبحوهم عن آخرهم ، ولم ينج منهم الا امرأة مع طفلها لجأت به الى الشيخ جرار في صانور . واستولى المشاقيون على اقطاعهم بعد ذلك فاستفحل أمرهم في الجبل الشمالي وصاروا يهاجمون الشقران وشيخهم جرار .

وكان الشقران بعد رحيلهم من البلقاء يتولون في بعض الأحيان حكم اللجون فنافسهم النزاليون شيوخ الشعراوية فضايقوهم وأخرجوهم من من الشعراوية فنزلوا بلاد حارثة ونزل شيخهم في صانور، مع الحقد على النزاليين والاتصال بآل النمر .

وكان الأمير يوسف النمر قد أنزل الجرادات في بيت سلوم ملكه الخاص فتخوف منهم العتوم وأخرجوهم منها، فنزلوا في كفر الديك، فأخرجهم شيخها الأجلق . فنزلوا في عين الصورتين جوار تل[١] وظلوا ينتظرون سنوح الفرصة الى أن حصلت هذه الثورة فاستنجدوا بعرب الجبارات النازلين اذ ذاك في جهات غزة فقلبوا حدو الخيل ومروا عن عزون وكفر الديك دون أن يشعر بهم احد ليلاً، فلم يفطن العتوم والاجلق للمكيدة فباغتوهما في الضحى وهم مشغولون بالحصاد، فتشرد سكان كفر الديك[٢] وذبح العتوم عن آخرهم ولم تنج منهم الا امرأة وطفلها نزلت[٣] في نابلس ورجلان كانا متغيبين فنزل أحدهما في سوق بناحية المعراض من جبل عجلون والآخر في الصنمين من حوران[٤] .

واستغل البدو هذه الفوضى فغزوا حوران، فاستنجد عرب حوران بالوالي وهذا استنجد بمحمد آغا النمر فأصبح امام آل النمر اخضاع المدينة والقرى والبدو .

تكاثرت الظباء على خراش فما يدري خراش ما يصيد

---

(١) هي قرية في الجهة الجنوبية الغربية من مدينة نابلس . (٢) ومنهم آل ملحس في نابلس . (٣) ومنه آل عنمة بنابلس وهم على الراجح من آل عبد القادر شيوخ جماعين القدماء . (٤) ولهم هناك ذرية معروفة .

تبديل المتسلم

لما بلغ والي الشام اسماعيل باشا العظم ما حل بجبل نابلس جاء بنفسه ونزل في جينين فتوافد عليه وجهاء نابلس، وشيوخ النواحي وأخبروه بأنهم طائعون وان ما حصل إنما هو من ضعف المتسلم الشيخ صالح فسحبه أخذه معه الى دمشق موقتاً وعين مكانه ابن أخيه عمر آغا النمر ووكل الحاج محمد آغا النمر عن أخيه عمر آغا الى حين حضوره . وقد استسلم فريق من الثوار فأعطاهم الوالي مراسيم الأمان ليتمكنوا من الوصول الى دمشق وفيما يلي مرسوما التعيين والأمان :

كتاب الوالي للحاج محمد آغا النمر

قدوة الأقران مير ألاي بيك جوربجي زاده محمد آغا زيد قدره تحيط علماً انه في وصول مرسومنا هذا اليك تفتح سراي مدينة نابلس وتتقيد في المتسلمية وكالة الى أن يصل الى المدينة المزبورة قائمقامنا[1] بالقدس الشريف الحاج عمر آغا وتفتح عينك لأمور الضبط والربط والحفظ والحراسة مع تناول ما بالمدينة عايد لطرف الميري من احتساب وغيره من الأقلام[2] من حين طلوع الشيخ صالح من نابلس حسب اليومية وتحفظ احتساب ذلك واعتمده في غرة ربيع الأول سنة ١١٤١ هـ

الحاج اسماعيل
محافظ الشام ومير الحاج

مرسوم الأمان للثوار

قدوة الأماجد والأعيان المتسلمين من طرفنا بسنجق نابلس والقدس

---

(١) صار يعرف متسلم القدس بقائمقام الوالي بعد الغاء رتبة المتصرف (٢) راجع فصل الميري في باب الحكومة من الجزء الثاني

الشريف وغزة[١] عمر آغا ومصطفى آغا وحسين آغا زيد قدرهم .

نعرفكم أن الشيخ شهاب الدين أخو صاحب العرضحال وأولاده الشيخ كمال ومحمد وعثمان وعلي أعطيناهم من طرفنا رأي الله وأمان الله ورأينا وأذنا لهم بالمجيء الى الشام ففي دخولهم ومرورهم عن السناجق لا أحد يتعرض لهم ولا يمانعهم اعلموا ذلك واعتمدوه من غير خلاف .

في ١١ رجب سنة ١١٤١ هـ الحاج اسماعيل باشا

محافظ الشام وامير الحاج الشريف

محاولة اغتيال عمر آغا

بعد استقرار عمر آغا النمر في نابلس أخذ يعالج الأمور بالحكمة ويستميل الثوار فيستسلمون وقد عقد محاكمة ادارية في بيته ليصل الى النتيجة فلجأ بعض المتهمين الى محمد آغا سلطان رأس التمرد ورفض ارسالهم للتحقيق ولما ألح عمر آغا في طلبهم هجم ابن سلطان برجاله عليه وهو في مجلس التحقيق يريد اغتياله فقتل من رجال عمر آغا ثلاثة وجرح آخرون ثم لاذوا بالفرار . فأوقف عمر آغا المحاكمات والتحقيقات ووقع محضراً من وجهاء البلد بما حصل أرفقه بكتاب منه وأرسلها للوالي ليطلق يده ويد أخيه وليمده بما يجب في هذا الظرف ، فأجاب الوالي بالمرسوم الآتي :

جواب الوالي النابلسي

قدوة النواب والمتشرعين نايب الشرع الشريف بنابلس أفندي[٢]

(١) كانت العادة الاكتفاء بذكر لقب الموظف ورتبه دون اسرته كما يتبين .

(٢) راجع باب الحكومة في الجزء الثاني فان فيه التفصيل عن هؤلاء جميعاً وعن الاقطاع والزعامة والسباهية والتيمار مع الشروح الدقيقة .

زيد علمه ، ومفخر الفضلا المفتي بها زيد فضله ، والعلماء الكرام زيد علمهم ، وعين السادات قايمقام نقيب الأشراف زيدت سيادته ، وقدوة الأماثل والأقران ميرألاي السنجق ، والزعما[1] وأرباب التيمارات زيد قدرهم ، ونخر أمثالهم وجوه ناس المدينة الرقومة وأعيان رعاياها ؛ بعد التحية نعرفكم أنه ورد علينا محضركم مع عرض حال من قايمقامنا بالسنجق الحاج عمر آغا وفهمنا مـا ذكرتم وما تضمناه من أنه اقتضى سماع دعاوى على أناس صدر منهم شقاوة وفساد ولما طلبوا لذلك وجدوا فارين عند محمد ابن سلطان من أهل المدينة فأرسل اليه بطلبهم محضر المحكمة وترجمان السرايا فمنعهم من التوجه الى سماع الدعوة الشرعية ، ولم يكتف بذلك حتى جمع أعوانه من أهل الشقاوة والفساد وتسلحوا بآلات الحرب وأتوا صايلين وهجموا على دار الحكم وأشهروا المحاربة وضرب البارود وقتلوا ثلاثة أنفار وجرحوا كم نفر ، فلا يخفى أن هذا سعي بالفساد كبير سيما اذا صادفـه الاقدام على قتل النفس التي حرّم الله وخرج الشقي المذكور بهذه الفعال ومن تابعه وأعانه ظاهراً وباطناً وأغواه فهو داخل فيما دخل فيه يجازى انشاء الله بمـا يجازى في أيام خلافة مولانا سلطان المسلمين قمع الله ببقاء دولته الكفرة أعداء الدين والطغاة المفسدين ، بناءً على ذلك أصدرنا الى قايمقامنـا الحاج عمر آغا المومى اليه بيور لدينا يتضمن مباشرة الخروج من حق الشقي المذكور ولكم هذا المرسوم انشاء الله تعالى مع وصوله اليكم وتحققكم الأحوال تكونوا مع قايمقامنا المذكور جميعكم قلباً ولساناً بهمتكم معـه يداً

---

(١) راجع باب الحكومة في الجزء الثاني أيضاً .

واحدة في دفع هذا الخارج عن الطاعة المخالف بفعله وبغيه أهل السنة والجماعة وكل من لم يكن مع قايمقامنا المذكور وخالف الشرع الشريف ونحا عن طريق الجمهور يجب علينا الخروج من حقه في الحال فتفكروا عاقبة وخامة هذه الأحوال والحاصل تقدم من كبيركم وصغيركم حركات تعرفونها ولكونكم اطمأنيتم لطرفنا وتأملتم المرحمة ورجوتم العفو منا أغضينا عن حركاتكم وعفونا عنها مع المقدرة . وبحمد الله لم نلتفت لشيء حتى أن دعاوى شرعية عرضت علينا لم نسمعها وخرجنا راضين عنكم وما أقمنا بايالة الشام لا تروا انشاء الله تعالى أمراً يسوءكم وتأمنوا على أنفسكم ومالكم ونشاهدوا ثمرة الطاعة والأمان والراحة وأما إذا طاوعتم محمد المذكور ووافقتموه في هذه الشقاوة نعلم أن الشقاوة فيكم طبع خامس وان أرجعنا الله[1] بالسلامة يتعين علينا مقابلتكم بما تستحقوه وتجدوا غير ما مضى وأنتم بصلاح أمركم أدرى وهذا التحرير منا نصح لكم وبالله التوفيق في ١١ ل[2] سنة ١١٤١ هـ .

الحاج اسماعيل

محافظ الشام حالاً

التضييق على ابن سلطان

كانت الأسر الخليلية المنتمية الى الصف الكردي ميالة لآل النمر فهددوا بها الأسر المنتمية للصف التميمي فخضعت ثم استمالوها بواسطة القاضي الشيخ عمر العلمي والنقيب السيد عمر الاخرمي . وبعد ذلك ضيق الحاج محمد آغا النمر برجاله الخناق على ابن سلطان الذي تحصن في

---

(١) كان في طريقه الى الحجاز . (٢) ل أي شوال — راجع مخاطبات الامراء في باب الامارة من الجزء الثاني .

قصره وما زال محمد آغا يستميل أنصاره وأعوانه ويقيم عليه الارصاد في الأزقة والمسالك الوعرة المحيطة بآل سلطان الى أن اضطره على الهرب منها دون أن تسفك الدماء داخل المدينة وبعد خروجه من نابلس خرجت في اثره الخيل فوجد نازلاً في طمون أقطاع المشاقية المتمردين الذين صاروا يهاجمون الشقران ويحاولون الاستيلاء على باقي القسم الشمالي .

القضاء على المشاقية

اتفق محمد آغا النمر مع الشقران للقضاء على المشاقية فباغتوا شيخهم وهو يبني قصراً له في ياصيد سخر فيه الرجال والنساء فقتلوه وقتلوا من دافع عنه من رجاله وعشيرته وقضوا على المشاقيين فلم تقم لهم بعد ذلك قائمة . وأعيد اقطاع آل الرشيد فيما بعد للشاب الشيخ أحمد الباقي منهم فأهدى لآل النمر قرية مسلية التي ظلت من اقطاعهم حتى نهاية عهد الاقطاع ، واقتسم محمد آغا النمر[1] والشيخ جرار شيخ الشقران اقطاع المشاقية بينهما .

القضاء على النزالية

لما بلغ ابن سلطان خبر القضاء على المشاقية في ياصيد فرّ هارباً الى عرابه ونزل على النزالية هناك ، فخرج الحاج محمد آغا النمر بكتيبته وجموعه وانضم اليه الشيخ جرار بجموعه وهاجموا عرابه يطلبون ابن سلطان ولما رفض الشيخ النزالي تسليمه حل به وبعشيرته ما حل بالمشاقية واقتسم آل النمر والشقران اقطاعه وضم لآل النمر اقطاع دير الغضون

---

(١) فاخذ ال النمر عصيره من ذلك الحين وامتد نفوذ جرار حتى طوباس فعرفت المنطقة الشمالية من ناحية نابلس بشاريق الجرار من ذلك الحين . وبعض الروايات والتواريخ تنص على ان هذه الموقعة سابقة لهذا التاريخ إلا ان الواقع كما هو .

والسيلة الحارثية وباقر المغربية الذي ما زال تحت يدهم الى آخر عهد الاقطاع .

تغريب الجرادات

بعد هدوء المنطقة الشمالية التفت محمد آغا الى المنطقة الجنوبية التي اضطربت على أثر مقتل العتوم والأجلق وأصبحت تهاجم الجرادات ، فجمع شيوخ البلاد فحكموا بإجلاء الجرادات وسكان عين الصورتين مفرقين . فنزل منهم آل جيري باشي ، والعبوة ، وعناب الحصني[1] ، وهواش ، وعوكل والبيت في نابلس . ونزل فريق في دير الغصون ، عرفوا بالصورة نسبة لعين الصورتين ، وفريق آخر نزلوا في السيلة الحارثية . وما زالوا يعرفون بالجرادات الى الآن . وقد عرف شيوخهم بأولاد صالح السليمان . وقد وقع نزاع بينهم على المشيخة في آخر عهد الاقطاع فنزل الشيخ أسعد الطاهر منهم في نابلس وعرفت ذريته بآل الطاهر ولا تزال .

اخضاع البدو

بعد أن تم لمحمد آغا القضاء على المتمردين في جبل نابلس جمع كل ما أمكنه من الجرود والجموع ونزل بهم الى غور بيسان وأحاط بالبدو هناك فأدبهم وأخذ عليهم العهود بأن لا يعودوا لغزو حوران وبذلك انتهت الثورة وشمل الهدوء جميع جبل نابلس وما جاوره .

رجوع ابن سلطان وصلحه

كان صالح باشا طوقان متصرفاً على القدس حينما قتل نصوح باشا وقد عزل[2] بذيول الحادثة وحل عمر آغا النمر محله فكان هذا أول

---

(١) وقد نزح فريق منهم الى دمشق فعرفوا بالحصني ولا يزالون . (٢) ذكر المرادي في تراجمه قصيدة للسيد عبد الغني النابلسي يهدد فيها أهالي بعلبك بأعمال صالح باشا في —

صدام بين آل النمر وآل طوقان ، وظلّ صالح باشا حاقداً على آل النمر ، ولما تحرك ابن سلطان شجعه وشجع حركة التمرد ، ولهذا فالوالي يقول في كتابه « وقد أخبرنا من يوثق به أن هذا الحالة أجبرتم وأكرهتم عليها » وفي كتابه المدروج هنا يقول « ومن تابعه وأغاثه ظاهراً وباطناً وأغواه » ، ولما اشتدت الثورة وظهر العصيان خذل صالح باشا ابن سلطان ، ولما قتل الشيخ النزالي هرب ابن سلطان وسلم نفسه لوالي الشام ، وادعى بأن صالح باشا طوقان هو الذي دفعه على الثورة وبعد هدوء الثورة وحوالي سنة ١١٤٤ هـ عفا عنه والي الشام وأطلقه فعاد لنابلس وطلب الصلح مع آل النمر بوجه[1] على رأسه القاضي الشيخ محمد التميمي ، والمفتي الشيخ مصطفى التميمي ، فقبل آل النمر الصلح وعفوا عما حصل على شرط أن لا يثير آل سلطان فتنة أخرى في حكمهم .

وقوع الفتنة بين آل سلطان وآل طوقان

لما فضح محمد آغا سلطان المؤامرة التي تمت بينه وبين صالح باشا طوقان على آل النمر ، طلب الوالي الأخير الى دمشق ، فأنكر ما نسبه ابن سلطان اليه ، وقد أعجب الوالي به فعينه مير لواء على بعلبك فأغاظ هذا الأمر ابن سلطان كثيراً ، ولما عاد لنابلس بدأ النفور بين آل سلطان وآل طوقان ، ولما شرع الشيخ ابراهيم بك طوقان ببناء القصر الاقطاعي عارضه آل سلطان بحجة غصبه الدار التي يقيم القصر

فلسطين وبطشه بعربانها جاء فيها :

أما عندكم علم بشدة بأسه ... وعن قتله العربان لم لا سألتم

بنى في فلسطين الرؤوس صوامعاً ... فهل هذه الاخبار ضلت عنكم

(١) راجع القانون العشائري في باب الامارة من الجزء الثاني .



بوابة قصر آل سلطان وقد جدد بناءها الشيخ حسين عبد الهادي سنة ١٢٥٠ وهي المعروفة في نابلس بدار سعيد الحسين

على أنقاضها من امرأة[١] من أقاربهم ، فانتصر باقي آل طوقان للشيخ ابراهيم بك ، وانتصرت عشائر أخرى لآل سلطان ، فاتسعت الفتنة وانقسمت البلد الى فريقين : فريق يناصر آل سلطان ؛ وفريق يناصر آل طوقان .

اجلاء آل سلطان

كان الواجب على آل سلطان مراجعة مجلس الشرع الشريف ، وعدم إثارة الفتنة ، ولأنهم لم يفعلوا فقد عُدّ هذا العمل منهم إخلالاً بشروط الصلح مع آل النمر حكام البلاد الذين اشترطوا في صلحهم معهم الهدوء فدعا آل النمر أمراء ووجهاء نابلس بما فيهم الوجه الذي حصل[٢] الصلح على يده ، فقرروا إجلاء آل سلطان عن جبل نابلس جميعه .

ولما لم يذعن آل سلطان لذلك أحاط الحاج محمد آغا النمر قصرهم

(١) كان احمد اغا طوقان يصلح جانبا في دار ابيه ابراهيم اغا جربجي فاشار ابن اخيه الشيخ ابراهيم على البناء برأي فلم يقبله عمه احمد اغا فاقسم ان لا ينام إلا في دار له خاصة فاعطى امرأة زيادة عن قيمة الدار واشتراها ونام بها فبر بقسمه وعلى انقاضها بنى القصر إلا ان آل سلطان بغضاً بابيه ادعوا أنه غصبها . (٢) إلا ان القضاة التميميين احقدوها لآل طوقان لتشددهم بطلب اجلاء ال سلطان فنابوا عن ال سلطان في عداوتهم الى اخر عهد الاقطاع وما بعده كما سيأتي .

برجاله ، ولما لم يسلموا ؛ اعتلى رجال محمد آغا اسطحة القصر وصاروا يهدمون العقود ، وبعد هدم ستة عقود استجارت النساء فأوقف الهدم وأذعن آل سلطان وجلوا الى خليل الرحمن . وقد برهن آل النمر أنهم إنما صالحوا آل سلطان عن مقدرة وتجنباً للانتقام ، فصبروا الى أن أجلوهم جميعاً[1] الى جانب أبناء عمهم مجالي الكرك ، قبل نحو نصف قرن .

انجاد المهاينية

استعرت في دمشق الفتنة بين الجند اليرلية والجند الانكشارية في أواسط القرن الثاني عشر ، فذهب ضحيتها أسعد باشا العظم وأكثر التركمان ، فاستنجد المهاينية ببني عمهم في نابلس ، فأنجدهم محمد آغا النمر بآلاي نابلس وجموع جبل نابلس من القرى والبدو ، فأنقذ اليرلية العرب وأمراءهم المهاينية وأوقف الانكشارية عند حدهم ، فتعدت شهرته الى دمشق .

سائر أعمال محمد آغا وذريته

لقد هيأت ثورة ابن سلطان لمحمد آغا الأسباب للقضاء على المتمردين فجدد الاقطاع والشيوخ ، وأوجد نظام الفتوة وصفات الفروسية في المدينة والقرى ، وقضى على جميع الأشقياء هو وابن أخيه مصطفى آغا بالحكمة والتأديب ، ورفع المستوى[2] الأخلاقي الى حدٍ عظيم فرتعت

(١) وقد عاد ايواز بشه سلطان بعد ذلك بنصف قرن وسكن قصر اجداده ثم باعه ولده يوسف اغا سلطان للشيخ حسين عبد الهادي وهذا اسكنه لولده سعيد أفندي الحسين ولا تزال ذريته فيه وهو المجاور لجامع الساطون في حارة الياسمينة . (٢) راجع فصل الصفات الفروسية في باب الامارة ، وفصل رقي المجتمع في باب أحوال المجتمع من الجزء الثاني .

البلاد بعد ذلك في عصر ذهبي زاهر مات في منتصفه حوالي سنة ١١٧٠ ﻫ وقد ورث بطولته ولده إبراهيم آغا ، وحفيده محمد آغا اللذان أصبحا هم ورجالهم سيوف آل النمر ينقذونهم من المآزق الحرجة ، وقد رفعوا رأس نابلس عاليًا ، وأظهروها بأسمى وأقوى مظاهر القوة .

الفصل الثامن

الصدر الأمجد عمر آغا اليوسفي النمر

سياسة وحنكة

هو ابن الحاج علي آغا جوربجي النمر ، أشركه معه في المتسلمية من صغره ودربه على حل المشاكل ، فوقف في أول شبابه على عرف البلاد وعاداتها ، فشب إداريًا محنكًا ، وقد ترك الانتساب للجوربجي اللقب العسكري ، وانتسب لجده الأمير يوسف فاشتهر باليوسفي ، وصار الأمراء العسكريون من آل النمر يشتهرون بالجربجية ، والأمراء الإداريون يشتهرون باليوسفيين ، ومنهم من يجمع النسبين ، ثم عادوا للانتساب الى نسب القبيلة القديم فوحدوا نسبهم جميعًا ، ومنهم من كان يجمع الثلاثة معًا فيقال فلان آغا جوربجي[1] اليوسفي النمر .

وقد سر الجربجي من نبوغ ولده عمر آغا ، فاعتزل وصار يشرف على الحكم إشرافًا ، ولما طلب منه التحقيق في مقتل نصوح باشا عهد به لولده عمر آغا فظهر اسمه وسر منه والي الشام ، فعينه متسلمًا على الرملة

(١) راجع الوثائق التجارية في فصل المعاملات التجارية في باب التجارة من الجزء الثاني .

وبعد إلغاء متصرفية القدس عين قائمقاماً على القدس ، فاظهر من الحنكة والدراية ما أدهش ولاة الشام ، ولما ثار جبل نابلس عين لإخماد الثورة فوفق لذلك كما مر بمساعدة أخيه محمد آغا ، ولما كبرت سنه عهد بحكم القدس لولده مصطفى آغا وبحكم نابلس لولده اسماعيل آغا ثم لحفيده قاسم آغا .

وكان عمر آغا اليوسفي سياسياً حكيماً مسالماً ، يعمل على جمع كلمة البلاد ، فقد استمال كثيراً من الأسر بسياسة المصاهرة ، فصاهر بنفسه أولا أمراء أسرتـه الجعافرة ، وطوقان ، وأمين الدين العمري ، وآل الشافعي ، وجدّد مصاهرة العلمية في القدس ، واستمال أسراً أخرى باشتراكها في حكم القدس ونابلس فعين صالح بك الشافعي مير ألاياً لألاي نابلس ، وبعد وقوع الفتنة بين الجيايسة عين مصطفى بك ابن الشيخ ابراهيم بك طوقان شيخاً على بني صعب ، وولى علي بك بن مصطفى بك جيري باشي ميرألاياً لألاي القدس ، وحسين بك كنعان من نابلس ولاه إحدى زعامات ألاي القدس . وقد استمال أسراً وعشائر أخرى بالصفح مع المقدرة وبالإحسان فقد صالح آل سلطان ، واستمال بعد ذلك الأسر والعشائر الخليلية بنابلس وأدخل قسماً كبيراً منهم في ألاي نابلس ، وصفح عن كثيرين ممن اشتركوا بالثورة ، واستمال شيوخ القرى والنواحي بعد القضاء على الشيوخ المتمردين ، فتوثقت العلاقات في عهده بين آل النمر والشقران والرشيدات بعد القضاء على المشاقية والنزالية وكذلك بينهم وبين بني غازي في جماعين بعد تفريق الجرادات ومع ذلك فقد أعطى الجرادات اقطاع آل النمر في دير الغصون والسيلة الحارثية وأعطى الذين نزلوا في نابلس بعض الأراضي والأملاك فظلوا جميعاً من أخلص أصدقاء آل النمر ، وسيظهر تفادي آل هواش في عصر موسى بك .

وكان اليوسفي كسائر امراء أسرة آبائه واجداده سلفياً يبغض الحزبية فعامل الجميع معاملة متساوية فالتفوا حول بيته . وكان أعرف من حكموا نابلس بعقلية النابلسيين فساسهم كما يجب ان يساسوا فأجلوه واحترموه وقد ادهش بسياسته ومقدرته[1] ولاة الشام ، ففوضوا اليه حكم الألوية الجنوبية كلها ، واصبحت تدار بإشرافه ولا يعين حكامها إلا برأيه وصار الوزراء وأمراء الحج يخاطبونه بالأخ العزيز وفي المكاتبات الشعبية كان يخاطب بالصدر الامجد .

وقد قام اليوسفي بكثير من المشاريع والاعمال وعم الامن في عهده جميع البلاد التي يحكمها او يشرف عليها لا سيما القدس ونابلس واللد والرملة وقد عظم نفوذه في البلاد المجاورة فسارت القوافل بأمان في طول البلاد وعرضها فبلغت متاجر نابلس قلب الأناضول ، وبلاد المغرب ، والسودان ، واليمن ، والحجاز ، والبحرين ، والهند ، وبغداد ، وبلاد الموصل ، والأكراد ؛ وازدحمت أسواق نابلس التجارية بالبضائع والمكاتب التجارية ، وازدحمت صناديق أهلها بالكنوز والحلي واللؤلؤ والمرجان ورتعت نابلس والقدس في عهده وعهد أمراء أسرته بعصر ذهبي زاهر دام أكثر القرن الثاني عشر . وقد كان أخوه محمد آغا لا يقل عنه وكذلك ولداهما مصطفى آغا وابراهيم آغا الآتي ذكرهما .

حكم في القدس والمقاطعات المجاورة

لم يكن حكم القدس كحكم نابلس فإن احتاج الأمير إذ ذاك في حكم نابلس الى الحكمة والعصبية والمعرفة بعقلية النابلسيين ونفسيتهم

---

(١) وقد ساعد اليوسفي الحظ باضطراب ولاية الشام وعصيان ظاهر العمر وفتنة اليرلية والانكشارية ولو أراد الاستقلال عن والي الشام لفعل كما سيظهر في الباب الآتي .

فإنه يحتاج فوق هذا في حكم القدس الى الوقوف على عادات وأحوال أتباع الأديان الأخرى لا سيما طوائف النصارى وصلتهم ببعضهم ، ويحتاج الى القوة والمقدرة الكافية للحيلولة دون العدوان على زوار النصارى الأوروبيين وعلى إقرار الأمن في المواسم والأعياد ، ولهذا فقد نزل الحاج علي الجربجي في القدس ليساعد ولده عمر آغا الحاكم الشاب على حكمها ، وقد كان لآل النمر في القدس أخوال محترمون وهم آل العلمي ، فساعدهم ذلك في حكمها ، وقد كان اليوسفي على جانب عظيم من المقدرة فجدد ألاي القدس بمساعدة آل الدزدار[1] العسلي واستمال الأسر والعشائر الكبيرة واضطر شيوخ القرى على التعهد بالمحافظة على زوار النصارى حين مرورهم من جوار قراهم . وقد وفق لحل مشا كل الطوائف المسيحية بكل حكمة فسروا منه ووثقوا بـه حتى كانت الهدايا والصر[2] تأتي تحت يده وتوزع بمعرفته لا سيما صر الروم أكبر طوائف ذلك العهد . وقد قطع دابر اللصوص والأشقياء وأصبح الأمن في جبل القدس كجبل نابلس وارف الظلال معدوم النظير في ذلك العهد المضطرب وقد ولى حكم المقاطعات المجاورة لأمراء يثق بهم من أهلها ومن أمراء القدس ونابلس ، فكانت غزة ويافا والخليل واللد والرملة تدار بإشرافه وتسير على خطته وقد اتصل بأبناء عمه في الكرك ، وكان لتأمين طريق الحج يتدخل في البلقاء فشمل حكمه سوريا الجنوبية كلها وقد قام بمشاريع عمرانية وأعمال خيرية عامة حسنت مرافق البلاد وأسعدتها .

---

(١) الدزدار كلمة فارسية معناها المحافظ لانهم كانوا يحافظون على قلعة القدس .

(٢) الصر هو المال المعدود المصرور وكان هذا الصر والهدايا يأتي هبات لنصارى القدس من البطاركة والملوك .

المشاريع العمرانية والأعمال الخيرية

كان عمر آغا عمرانياً محباً للخير قام بمشاريع عمرانية وأعمال خيرية في جميع البقاع التي حكمها أو أشرف على حكمها . وقد قام بكثير منها من ماله الخاص ، فعمر في سور القدس باب الأسباط وباب السور ومقام الشيخ محمد العلمي وجامعه في الطور . وكان ماء القريون في نابلس يجري من واد عميق تنصب عليه الجسور للمرور من جهة الى جهة ، فقام بردمه ، ورفع مجرى الماء فاستفادت[1] منه مساجد البلد كلها بعد أن كانت لا تنتفع منه بشيء إذ كانت تأخذ من ماء رأس العين وعين العسل البعيد المكشوف . وقد أصلح الجانب الشرقي والشمالي من الجامع الكبير ، وأجرى سبل الماء والعيون في أنحاء نابلس كلها ، وقد أصلح الطرق والجسور والمدارس ، وضبط أوقاف المساجد في البلاد التي يحكمها أو يشرف عليها ، وأعمر المساجد والخانات ، وحض على إيقاف الأوقاف ، وحسن أحوال أهل العلم ، وأخذ العهود على شيوخ النواحي بالمحافظة على الأمن في نواحيهم ، وأخذ العهود على حكام وأمراء البلاد المجاورة للمحافظة على القوافل التجارية في ذهابها وإيابها . وقد قطع الغزو بين البدو ، وأخذ عليهم العهود بعدم العدوان على الخارج ، فساعده هذا على أخذ العهود على بدو الخارج في حوران والجولان والجهات المجاورة بالمحافظة على القوافل التجارية فازدهرت التجارة أيما ازدهار . وكان لأعماله الخيرية ، لا سيما المحافظة على الأوقاف ، وإصلاح المساجد وإصلاح أحوال أهل العلم فضل كبير في نضوج النهضة العلمية التي

---

(١) وقد جر الى داره من ماء القريون فاوجد الفسقية والشادروان الذي يعطي ارقى نموذج في البناء ؛ راجع فن البناء في باب العلم من الجزء الثاني .

غرسها جده الأمير يوسف . وكان لسهر الأمراء العسكريين وسائر الحكام في باقي المقاطعات فضل كبير على الأمن الذي ضرب به المثل وحمل كثيراً من التجار ومهرة الصناع على المجيء الى القدس ونابلس ، لا سيما نصارى الشام والقدس فأتت أسر كثيرة بطلبه أو برغبتهم ، من الحجاز والشام ومصر والعراق ، فازدحمت نابلس والقدس بالسكان من الصناع والتجار ، ورتعت في عصر ذهبي جعل امارة اليوسفي كواحة في بطن صحراء ، فكانت جنة بينما البلاد المجاورة تعج فيها الفتن العظيمة : ففي مصر فتن المماليك ، وفي دمشق فتنة اليرلية والانكشارية ، وفي الحجاز يذبح البدو الحجاج ، وقد بلغ بهم ذبح أمير الركب بالذات وظل ملقى بلا دفن ثلاثة أيام .

العصر الذهبي

بدأ الاستقرار في جبل نابلس بعد قتل نصوح باشا الذي كان سبباً في حصول آل النمر على القوة والثقة ، ثم انضمت إليهم الامارة العسكرية وحكم القدس ، فازدادوا قوةً على قوة ، وقضوا في الثورة على الشيوخ والزعماء المتمردين ، وقبضوا على ناصية الحكم ، وأصلحوا الأحوال ، وقضوا على الشقاوة فبدلوها بالفتوة ، وقضوا على التمرد وبدلوه بصفات الفروسية ، وساعدوا العلماء ، وأمنوا طرق التجارة ، فنمت البلاد وازدهرت واندمجت فأصبحت كأنها أسرة واحدة خالية من عناصر الفساد ، ترتع في أمن وسعة ، فنضجت في هذا العهد النهضة التي قام بها الأمير يوسف مادةً ومعنى .

باتت نابلس مقر الامارة في سوريا الجنوبية كلها ، وأصبحت مركزاً

كبيراً كحلب وبغداد والموصل ودمشق ، فكان يفد إليها الطلاب من كل صوب لتلقي دروس العلم عن فحول علمائها [١] وأساتذتها الكبار : الشرابي ، والطوقاني ، والتميمي ، والقدومي ، والبسطامي ، والحنبلي الجعفري ، وهاشم الجعفري ، والجوهري ، والخماش ، والعقرباوي ، واللبدي ، وابن مكية ، والباقاني ، وعالمها الكبير السفاريني .

وكان أصحاب المسائل يفدون إليها لاستفتاء مفاتيها الكبار ابن مكية ، والسفاريني ، والتميمي .

وكان يفد اليها الأشراف والسادات [٢] من صيدا وبعلبك وبيروت لتسجيل أسمائهم وأنسابهم ، وأخذ التوصيات اللازمة للحكام من قائمقام نقيب الأشراف السيد عمر الأخرمي .

ويفد إليها الصوفيون للأخذ عن خلفائهم وكبرائهم الحاج علي جوربجي النمر ، والشيخ عبد الغني مكية ، ثم السيد مصطفى البكري الدمشقي الذي كان نازلاً فيها ، وعمن تولوا خلافة الصوفية بعده .

وكان التجار يأتون اليها من مختلف الجهات لتنظيم علاقاتهم مع تجارها [٣] وخواجاتها الكبار من آل العمر ، والبشناوي ، وعبد الرزاق طوقان ، وشويكة ، ومرواد ، ويعيش .

وكانت القوافل تصدر [٤] منها مثقلة بمنسوجاتها القطنية والصوفية ، ومصنوعاتها النحاسية والفضية والحديدية وصابونها الممتاز ، وبمنتوجاتها من النيلة ، والحبوب ، والفواكه المجففة ، فتتجه الى مختلف الجهات ، ثم

---

(١) راجع تراجم علماء هذا العهد في باب العلم من الجزء الثاني . (٢) راجع فصل الأشراف في باب الحكومة من الجزء الثاني . (٣) راجع فصل التجار في باب التجارة من الجزء الثاني . (٤) راجع فصل المتاجر والواردات والصادرات في باب التجارة من الجزء الثاني .

نعود مثقلة بحاجاتها من الأسلحة المزركشة بالذهب والفضة ، والمرصعة بالأحجار الكريمة ، ومن الملابس الكشميرية والحريرية ومن الحلي والذهب والمرجان ، ومن السجاد والخيول الأصيلة .

وفي هذا العصر السعيد اختزنت نابلس قوتها النفسية وكنوزها الذهبية وعلومها وفضائلها ، فكانت تدهش زائرها بقصورها الاقطاعية ومساجدها ومدارسها ومكتباتها ، وحلقات علمائها ، وكتيبتها العربية بفرسانها وفتيانها . وإن كان الزائر من ذوي المكانة حضر مجالس علمائها الأعلام فازداد دهشة من مباحثاتهم في الأمور العلمية الدقيقة ، وحضر مجالس أمرائها من النمر والشافعي وطوقان وشهسوار ، فسحره أسلوبهم الرقيق ونبلهم الممتاز . وحضر مجالس خواجاتها[1] الكبار ، فأصغى الى مباحثاتهم عن المتاجر والصادرات والواردات ، وعلاقاتهم بالخارج . وباحثوه عن بلاده وما تنتج وما تحتاج ، وقد يجرهم الحديث الى البحث عن غيرها ، فيجد عندهم من العلم عن البلدان[2] والأقطار النائية ما لا يجده عند غيرهم . وان صادفت زيارته نزول باشا الدورة في منزله بنابلس شاهد مواكب شيوخ النواحي والبدو بخيولهم العربية وملابسهم المزركشة التي تلفت الأنظار برونقها وبهائها .

وإن دخلت زوجته المقاصير[3] شاهدت الستات[4] نساء الأمراء والخواجات وبناتهن وحولهن الجواري والخادمات يعنين بالبيوت ويسهرن على تربية أولادهن تربية الفتوة العالية ، ويقطعن الوقت بأشغالهن اليدوية الحريرية

---

(١) الخواجه لقب شيخ التجار في ذلك العهد . (٢) راجع بحث معرفة البلدان من باب العلم في الجزء الثاني . (٣) راجع أحوال المجتمع في الجزء الثاني . (٤) الستات بدلاً من السيدات ، هكذا كان الاصطلاح — راجع مبحث الألقاب .

والقطنية لزركشة البيوت وتزيينها بفاخر الأثاث والرياش . وان سررن منها أطلعنها على حليهن الثمين من الذهب والفضة واللؤلؤ والمرجان والخواتم المرصعة بالزمرد والياقوت ، وعلى السلاح ذي القبضات الذهبية والحمائل المزركشة ، وعلى التحف الثمينة من الكؤوس والأواني الذهبية والفضية والمقالم والعلب (١) الصغيرة الثمينة ، وتشاهد في سقف المقصورة الثريات والمصابيح المزركشة ، وعلى الجدران المصاحف الشريفة ذات الأغلفة المزركشة ، وتحتها الأسلحة الحربية .

وحينما تجوّل الزائر شاهد الخانات (٢) ، وأماكن القوافل ، والمعامل ، والمصانع ، والمصابن ، والمخازن المزدحمة بالمتاجر ؛ وشاهد الخيول المطهمة والفرسان والفدائية الذين بارزوا — قبل ذلك وبعده — أبسل رجال عصرهم ؛ شاهد عمراناً وسؤدداً ، وإمارة عربيـة مزركشة بالألقاب العثمانية تتمتع بالعزة والمنعة القومية الكاملة . هكذا كانت نابلس يوم فقدت (٣) أميرها الكبير عمر آغا اليوسفي وولده مصطفى آغا النمر ، فطمع فيها الطامعون وتوالت عليها السنون :

لكل شيء إذا ما تمّ نقصان ... فلا يغرّ بطيب العيش إنسانُ
هي الأمور كما شاهدتها دولٌ ... من سرّه زمنٌ ساءته أزمان



---

(١) المقالم جمع مقلمة أي محل وضع الأقلام ، والعلب جمع علبة ومنها مـا يكون للنشوق ومنها ما يكون للعطور . (٢) جمع خان وهي الفنادق اليوم ، وكانت تسمى الوكالات أيضاً فيكون الطابق الأول للخيل والثاني والثالث للمتاجر ونزول التجار والمسافرين . (٣) مات عمر آغا النمر حوالي سنة ١١٨٠ وقد مات ولده مصطفى آغا النمر في السنة التالية .

الفصل التاسع

أحفاد الجوربجي (١)

الحاج مصطفى آغا النمر

هو أكبر أبناء عمر آغا اليوسفي النمر ونائبه في الامارة والحكم في نابلس والقدس ، درّبه والده على الحكم صغيراً وأنابه عنه في حكم القدس سنة ١١٤١ هـ حينما نقل الى نابلس لإخماد ثورة ابن سلطان ، وظلّ يحكم القدس الى سنة ١١٤٣ هـ ، فعاد اليها أبوه وعين هو لنابلس ، وكان لا يزال صغيراً ، وكان عمه الحاج محمد آغا لا يزال مشغولاً بإخماد باقي الثورة وتعقيب أشقياء الخارج ، فاستهان بـه النابلسيون ، فكثرت اللصوصية ، وتمرد شبان نابلس ، وفقد الأمن ، فصار ينزل الى الحراسة بنفسه ويكمن برجاله في الأزقة ، فقبض على الأشقياء الواحد تلو الآخر ، وقد أظهر من الأساليب العجيبة في القبض عليهم وبتأديبهم ما حدا بالعامة للاعتقاد بممارسته السحر ، وقالوا إنه يحبس الجان في القماقم (٢) ، الى غير ذلك من الأفكار والإشاعات التي راجت بين العامة

---

(١) نسبة لجدهم علي آغا الجوربجي . (٢) هـذا مثل قديم ضربه أبو بكر الصيرفي عن موقف أبي الحسن الأشعري من المعتزلة فقال « كان المعتزلة قد رفعوا رؤوسهم حتى أظهر الله تعالى الأشعري فحجزهم في أقماع السماسم » فذهب مثلاً وحول الى القماقم ، وهي الأنابيب المسدودة من طرفها والمفتوحة من الطرف الاخر ، وقد قيل هذا عن مصطفى آغا بمناسبة قبضه على أبناء ريحان السبعة وأبيهم الذين أخلوا بالامن في نابلس والقدس ، وأفلتوا من السجن مراراً فقبض عليهم أخيراً وسجنوا الى أن ماتوا في بيت صغير مكبلين بالاصفاد ، وكان مصيرهم عبرة لجميع الاشقياء فتابوا وأنابوا .

وتنوقلت الى عصرنا الحاضر ، وقد أوجد نظام الفتوة بين شبان نابلس فشغلوا بـه عن التمرد والشقاوة ، وأصبحت اللصوصية عاراً كبيراً ، فاستتب الأمن الى حدٍ عظيم .

ولما كبر أخوه اسماعيل آغا ترك له حكم نابلس وتولى هو حكم القدس حيث كبر سنّ والده فاوجد في القدس من الأمن مـا أوجد في نابلس ، إذ أن بعض أشقياء نابلس انتقلوا اليها . وجدد العهود لحماية الزوار النصارى على القرى الآتية : بيت اكسا ، وبيت أونية ، وبيت حانيا ، والبيرة . وقد كان لأبيه كالظل وكانت كل أعماله بمشورته ، فقضى عمره حاكماً عادلاً وأميراً فروسياً محبوباً ، وقـد كان نزّاعاً الى البداوة شغوفاً بنظم الفتوة وأساليبها ، فـكان يعرف ما تقصد العجماوات والطيور والوحوش في أصواتها مما يعده علماء الغربَ اليوم من الابتكار والنبوغ ، وقد انتسب للنمر نسب القبيلة القديم ولم ينتسب للجربجي واليوسفي ، وقد تغلب هذا النسب فيما بعد على العائلة كلها .

وقد مات مصطفى آغا حوالي سنة ١١٨٣ هـ عن أولاد أربعة وهم : حسن آغا وعبد اللطيف آغا وعبد الصمد آغا وعلي آغا ، وقد كان الاول خير مثال لأبيه وجده تخلفهما كما سيتبين .

اسماعيل آغا النمر

هو ابن عمر آغا النمر كان ينوب عن عمه محمد آغا في امارة الألاي فشهد إحدى الحروب العثمانية الروسية فأنعمت عليه الدولة باقطاع خاص في بساتين نابلس الذي كان يسمى بالمالكانة أي الملك الخاص ، وبعـد موت عمه تولى امارة الألاي ، ولما نقل أخوه الى القدس تولى متسلمية نابلس مكانه تاركاً امارة الألاي لصالح بك الشافعي . وقد ظل متسلماً

على نابلس الى حوالي سنة ١١٧٧ ﻫ ثم مات وتولى مكانه ولده قاسم آغا الذي هاجم ظاهر العمر نابلس في عهده .

ابراهيم آغا جوربجي النمر

هو ابن الحاج محمد آغا الجوربجي المار الذكر كان وكيلاً لمير ألاي صالح بك الشافعي ، ثم صار أميراً للالاي بعد موته ، ولما مات عمه عمر آغا وابن عمه مصطفى آغا تولى حكم القدس تاركاً امارة الالاي لحسن آغا ابن مصطفى آغا ، وفي هذا الظرف هاجم ظاهر العمر نابلس فاشترك ابراهيم آغا النمر في رده ، وقد أعطي رتبة أمير الأمراء مع لقب باشا فرفضه لخلافه مع الوالي عثمان باشا ومع مصطفى باشا طوقان وقد قضى عمره في عداء مع البيكات من آل طوقان فجره ذلك للتمرد على أوامر السلطان والصدر أعظم كما سيأتي .

الحاج علي آغا اليوسفي النمر

هو ثالث أبناء عمر آغا وأصغرهم ، كان ثرياً حكيماً وكان قاضياً عشائرياً وأحد الخبراء في المسائل الشرعية ، وكان مساعداً لابن عمه قاسم آغا ، وقد أنجد الجزار في عكا حينما هاجمه الافرنسيون . فعين أميراً لجردة الحج ثم متسلماً على القدس الى أن مات سنة ١٢٢٦ ﻫ عن ولده أحمد آغا الآتي ذكره .

الباب الرابع

الهجوم الخارجي و التنافس الداخلي

الفصل الأول

أحوال الولايات المجاورة

أحوال ولاية مصر

بعد زوال دولة المماليك بقي بيدهم الضياع والاقطاع وظلوا اصحاب النفوذ و كل ما كان للدولة في مصر بضعة آلاف من الانكشارية ووال ينزل في القلعة ، ليستلم الاموال المطلوبة وكثيراً ما قتله المماليك اذا تدخل في شؤونهم او حاول اصلاحهم . وكانوا في كل وقت يحاولون الاستقلال عن الدولة إلا ان انقسامهم كان يحول دون ذلك وقد انقسموا بعد الفتح العثماني الى فرقتين احداهما برئاسة احد أمرائهم قاسم بيك سميت بالقاسمية والأخرى برئاسة ذو الفقار بك سميت بالفقارية وقد ظلت هاتان الفرقتان في نزاع الى ان فازت الفقارية على القاسمية سنة ١١٤٢ ﻫ وبعد فوزها انقسمت الى عدد من الفرق كل منها تطلب السيادة والنفوذ برئاسة احد بيكات المماليك الكبار وفي سنة ١١٨٠ ﻫ فازت فرقة علي بك الكبير على جميع الفرق فقبضت على ناصية الحكم في مصر واتفق رئيسها علي بك مع دولة الروسيا واعلن استقلاله بمصر . وفي سنة ١١٨٤ ﻫ ارسل مملوكه ابو الذهب الى الحجاز فاستولى عليها وصمم علي بك على ارجاع دولة المماليك فحاول الاستيلاء على سوريا ، إلا ان هذه المحاولة

قضت عليه ؛ لأن قائده أبو الذهب انقلب ضده مع الدولة العثمانية كما سيتبين .

احوال ولاية الشام

استقر آل العظم (١) في دمشق في القرن الثاني عشر الهجري وصار الولاة يعينون منهم في غالب الاحيان . والراجح ان اولهم اسماعيل باشا العظم الذي مر ذكره في ثورة ابن سلطان . ثم ظهر بعده اسعد باشا العظم الذي وقعت في عهده الفتنة بين اليرلية والانكشارية فذهب ضحيتها وكانت سبباً في تمرد حكام الألوية على والي الشام وظهر بعده سليمان باشا العظم الذي سمه ظاهر العمر . وقد ظهر بعد هذا سعد الدين باشا العظم الذي قتل في قونية فظهر بعده محمد باشا العظم الآتي ذكره . وقد كان حكمهم مضطرباً لضعف الدولة العثمانية ودسائس دولة الروسيا .

احوال جبل لبنان

نزل الشهابيون (٢) في وادي التيم في عهد الايوبيين فصاهروا المعنيين امراء لبنان .

وفي سنة ١١١٨ هـ مات الامير احمد المعنى آخر الامراء المعنيين فورث امارة لبنان بعده حفيده من جهة الأم الأمير ملحم الشهابي و كان هذا قيسياً متطرفاً فرأى وجوب القضاء على الحزب اليمني في لبنان لأنه سبب ضعف المعنيين من قبل فقضى مدة حكمه في حرب مع هذا الحزب وقد تولى الإمارة بعده ولده الامير منصور الذي سار على سياسته مدة اربع وعشرين سنة تنازل في نهايتها لابن اخيه الأمير يوسف الذي ولاه الامارة

---

(١) اختلف المؤرخون في اصل آل العظم فمنهم من قال انهم اتراك ومنهم من قال انهم اكراد . (٢) هم من بني مخزوم من قريش .

رسمياً عثمان باشا الكرجي والي دمشق واستعان به لمحاربة جبل نابلس فخذل بخذلانه فانقلب عليه وحاربه فغلبه وكان سبب عزله ، وفي عهد الامير يوسف ظهر امر الجزار وظاهر العمر ، فخرج من يد الشهابيين الساحل جميعه وما زالوا بعد ذلك في نزاع مع الامراء الثانويين رغم تدينهم باديانهم ومذاهبهم الى ان فقدوا نفوذهم فقداً تاماً . وقد قسم لبنان بعد ذلك الى شمالي وأمراوءه آل أبي اللمع المسيحيون ، والى جنوبي وامراوءه آل أرسلان التنوخيون .

ظاهر العمر الزيداني

يقال ان رجلاً من بني زيد في جبل القدس وقيل من قرية بلاطة في جبل نابلس نزل هو واخوانه في صفد واتصل بالشهابيين فاحبوه ووثقوا به فولوه حكم صفد وقد اشتهر بالزيداني والقبلاوي [1] ثم حكمها بعده ولده ظاهر العمر الذي اغتنم فرصة انشغال الشهابيين في النزاع الحزبي وانشغال ولاة الشام بالفتنة اليرلية فعصى في صفد واستولى على عكا وحيفا والناصرة وجبل عجلون . واتفق مع علي بك الكبير امير المماليك ومع حليفته الروسيا فاستفحل امره . ولما هاجمه والي الشام سليمان باشا العظم قتل اخوه فانسحب الى عرب عنزه ودس السم على الوالي المذكور فقتل به . وعاد بعد ذلك الى اسوإ مما كان فهاجم دمشق هو وأبو الذهب قائد المماليك ثم هاجم جبل نابلس وما زال متمرداً الى ان قضي عليه وعلى اولاده سنة ١١٩٠ هـ كما سيتبين .

عثمان باشا الكرجي

هو مملوك سعد الدين باشا العظم كان متسلماً على حماة يعرف بعثمان اغا فلما نقل سعد الدين باشا المذكور الى سيواس اخذه معه ولما قتل سعد الدين باشا في قونية طلب عثمان آغا هذا الى استانبول للمحاسبة فاعجب

(١) نسبة الى جهة القبلة .

به الوزراء وعينوه واليًا على ايالة مصر على شرط اخضاع ظاهر العمر والمماليك .
وكان والي الشام إذ ذاك محمد باشا العظم مع الركب الشامي في الحجاز
فامد مصطفى بك طوقان وساعده على مقاومة الظاهر ، فنجح برده
ومقاومته وكان عثمان باشا هذا يطمع بولاية الشام فتآمر هو ومصطفى
بك طوقان على عزل محمد باشا العظم فنجحا إلا ان الدائرة دارت عليهما
فعزل عثمان باشا وعاد محمد باشا لولاية الشام كما سيتبين .

الفصل الثاني

أحوال أمراء وشيوخ جبل نابلس

آل النمر

نظراً لأهمية القدس وصعوبة حكمها أصبحت تهم آل النمر بعد انضمامها اليهم بالدرجة الأولى ، وصار كبراؤهم ينزلون فيها ، فقد نزل فيها الحاج علي الجربجي وولده عمر آغا ، ثم عمر آغا وولده مصطفى آغا ، وبعد موتهما نزل فيها كبيرهم إذ ذاك ابراهيم آغا وولده محمد آغا ، وبقي في نابلس شبان أكبرهم قاسم آغا حفيد عمر آغا . وكان بيكات الطوقان في نهضة فطمعوا بحكم نابلس وساعدهم على ذلك هجوم ظاهر العمر عليها ومجيء عثمان باشا الكرجي لولاية الشام ، ثم موت قاسم آغا النمر متسلم نابلس الشاب . فاضطر آل النمر الى إشراك آل جرار في حكم نابلس والاتفاق مع ظاهر العمر للتخلص من البيكات ، ثم أعادوا مشيخة بني صعب للجيايسة ، ولما عاد البيكات لحكم نابلس تركوا حكم القدس وصمدوا لهم وجهاً لوجه فوقع الصدام الذي لا مفر منه والذي أطمع الشيوخ

بالحكم والامارة ، فجر هذا الى الحروب والثورات وتدخل الولاة ، ففقد جبل نابلس استقلاله الذاتي ، وانحدر من قمة المجد والنهوض الى هاوية الانحطاط والتقهقر . سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلاً .

آل طوقان

اختلف في اسم طوقان فمن قائل : إنهم شيوخ الموالي من الفضل الطائيين كانوا يضعون طوقين في أعناقهم تمييزاً لهم عن عشيرة الموالي النازلين بينها ، ومن قائل إن الطوقين من الدولة العثمانية[1] رتبة حسب الأصول المتبعة ، وعلى كل حال فلا خلاف في أن طوقان نسبة الى طوقين .

كان الطوقان في الجولان فجاؤوا مع حملة عبد الله باشا النمر الى نابلس ، وأول من يعرف من أجدادهم عبد الله الذي يقال إنه دفن في مادبا في قرية تسمى بقبر عبد الله ثم ولده ابراهيم الذي مات عن ولدين ، وهما : عفيف والحاج محمود ، ومنهما آل طوقان جميعاً كما يتبين من الفروع الآتية وهي :

١ — آل خليفة — خلّف عفيف بن ابراهيم ولداً اسمه خليفة وقد عرفت ذريته فيما بعد بآل خليفة ولا تزال ؛

٢ — خضر ورحال — أما الحاج محمود فقد خلف أربعة أولاد ، وهم : رحال ، وعلي ، وعبد الرحمن ، وإبراهيم ، فعرف فريق من ذرية الأول بآل رحال الذين فقدوا نسبتهم

---

(١) كانت قبيلة الموالي تعيش بين قبيلتي اسماجلي والحريري على حدود الاناضول وكانت اول عشيرة عربية اتفقت مع الاتراك العثمانيين والراجح ان الدولة العثمانية اعطت امراءهم من الفضل رتبة امير الامراء وطوقين فعرفوا بطوقان اي ذوي الطوقين .

لطوقان ، وقد تفرع منهم فرع عرفوا بآل خضر الذين انقرضوا في القرن الحاضر ؛

٣ – آل سعيد – أما علي ابن الحاج محمود فقد عرف بالشيخ علي لأنه كان يشتغل بالمسائل الشرعية والدعاوى ، وقد مات قبل والده الحاج محمود عن ولدين وهما : حسن ومحمد اللذان وهب اليهما جدهما داراً ومالاً ، وقد مات الأول بلا عقب ، ومات الثاني عن ولدٍ اسمه سعيد عرفت ذريته بآل سعيد الذين صار منهم ضباط على جنود موسى فقتل بعضهم في عصره والآخرون انقرضوا .

٤ – عبد الرزاق والعثمان – أما عبد الرحمن ابن الحاج محمود فقد أدخله والده في جردة الحج حين نزول الأمير عساف في نابلس فصار ضابطاً بلقب بشه ، ثم صار ولده يوسف ميرألاياً بلقب بك فكان أول من لقب بهذا اللقب من آل طوقان ، ولقبت به ذريته الى آخر القرن الثاني عشر ، فتركوه ولقبوا بالخواجه لاشتغالهم بالتجارة ، وقد تفرع منهم العثمان والخواجه ؛

٥ – الخواجه – توالت مشيخة التجار في فرع من آل عبد الرزاق طوقان فعرفوا بآل الخواجه نسبة للقب الذي اعتيد استعماله لشيوخ التجار ، وقد تركوا نسبتهم لطوقان ؛

٦ – الأغوات – وأدخل الحاج محمود ولده ابراهيم في جردة الركب الشامي فصار زعيماً بلقب آغا جربجي وكذلك لقب أولاده فيما بعد وهم ثلاثة أحمد آغا ومصطفى آغا وصالح آغا ؛

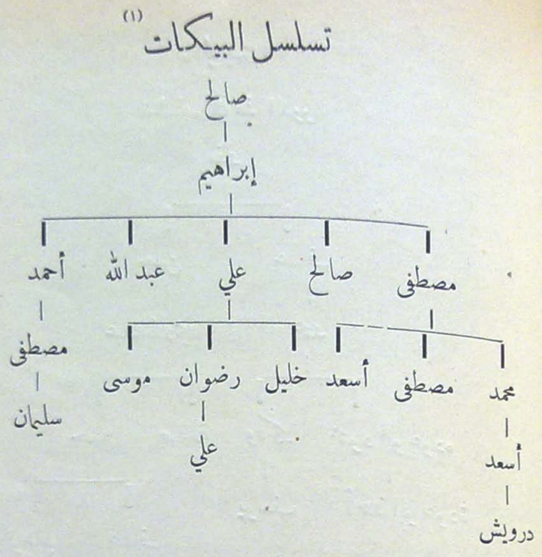
٧ — البيكات — اشتغل أحمد آغا ومصطفى آغا بالتجارة والأملاك ، وسارت ذريتهما فيما بعد كذلك وعرفوا بالأغوات ؛ أما صالح اغا فانه التحق بامير الحج فعينه متسلماً لاحدى النواحي ثم متصرفاً على القدس فصار يعرف بصالح باشا ، ثم فصل على اثر الغاء المتصرفية بعد قتل نصوح باشا ونهب جردته فعاد للاشتغال بالتجارة في نابلس ولما اتهمه ابن سلطان بالتحريض على الثورة وتبرأ منها ، واعجب به والي الشام فعينه مير لوا على بعلبك التي لما ثارت عليه واديها وبطش فيها ، عظمت سطوته وخشيه والي الشام سليمان باشا العظم فسمه سنة ١١٥٥ هـ ، ولما شعر بالسم أسرع بالمجيء الى نابلس فمات فيها ودفن في مقبرة آل فروخ جوار السراية القديمة .



بوابة قصر الشيخ ابراهيم بك بن صالح باشا طوقان وقد ظهرت فيها الخوخه أي الباب الصغير ؛ وتعرف في نابلس بدار البيك

وقد لقب ابناء صالح باشا بالبيكات ، وكذلك عرفت ذريتهم من بعدهم ولما تألق نجمهم اختفى جميع بيكات نابلس الكثيرون واصبح هذا اللقب خاصاً بهم فاذا قيل البيكات عرف هذا الفريق من آل طوقان .

تسلسل البيكات (١)



وقد خلف صالح باشا ولداً اسمه ابراهيم بك ، فاشتغل بالعلم واصبح يعرف بالشيخ ابراهيم بك فاحرز مكانة بين علماء نابلس الذين ولوه (٢) رئاستهم وقد امده والده بالاموال ، فبنى القصر الاقطاعي الكبير ، وعمر جامع العين .

وقد خلف الشيخ إبراهيم خمسة اولاد وهم : مصطفى بك واحمد بك وعلي بك وصالح بك وعبد الله بك . ولما وقعت الفتنة بين الجيايسة حصل الاول على مشيخة بني صعب بمساعدة عمر آغا النمر ، وكان ذلك حوالي سنة ١١٨٠ ه وهو بدء حكم البيكات في جبل نابلس ، وفي هذا العهد لما هاجم ظاهر العمر نابلس رده مصطفى بك فظهر امره كما سيأتي .

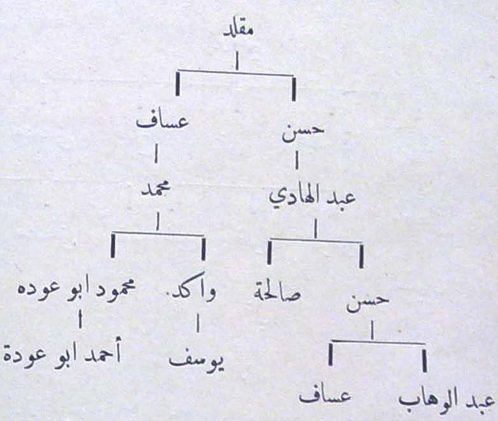
---

(١) فالحكام والمتسلمون الذين حكموا نابلس في القرن الثالث عشر والذين مثلوا الدور السياسي في عهد الاقطاع من آل طوقان هم المذكورون في هذا التسلسل ومن ذريتهم الذين مثلوا دور الانتقال ولم يشارك فيه أحد من آل طوقان بخيره وشره كما سيظهر .

(٢) راجع تراجم العلماء في باب العلم من الجزء الثاني .

« الجيايسة »

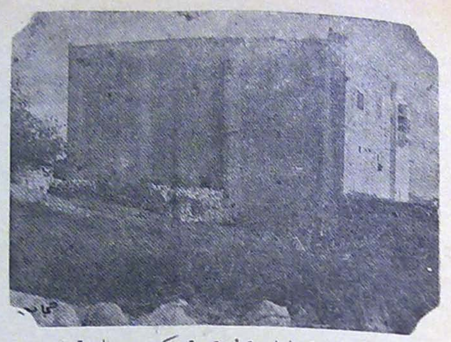
تسلسلهم في هذا الدور



بعد قضاء المماليك على شيوخ جيوس في آخر القرن التاسع خرجوا من جيوس ونزلوا في قرية كور الحصينة واعتزلوا وعاشوا عيشة هادئة وبعد ان قتل الشيخ الشبيطي في رأس العين سنة ١١٢٤ هـ اجتمع شيوخ بني صعب وانتخبوا الشيخ مقلد الجيوسي ، وبعد موته انتقلت المشيخة لولديه الشيخ حسن والشيخ عساف ، وفي سنة ١١٤٢ هـ تنازل الشيخ حسن لأخيه الشيخ عساف وبعد موتهما وقع الخلاف بين اولادهما فادعاها الشيخ عبد الهادي ابن



المنظر الأمامي لقلعة الجيايسة في قرية كور من ناحية بني صعب



المنظر الخلفي لقلعة الجيايسة في قرية كور من ناحية بني صعب

الشيخ حسن وادعاها الشيخ محمد ابن الشيخ عساف، واخيراً لجأ محمد الى العنف فقتل الشيخ عبد الهادي . ولما كبر الشيخ حسن بن عبد الهادي قتل ابن عمه الشيخ محمد فاتسعت الفتنة واختلفت عشائر بني صعب فعين مصطفى بك طوقان شيخاً على بني صعب ، واستمر النزاع بعد ذلك من اجل مشيخة بني صعب بين آل طوقان والجيايسة ، وقد اشتهر الجيايسة بالكرم والنظافة وكثافة الحجاب ولذلك يقول يوسف اغا الجرار في قصيدته (١) :

الجيوسي أسد في يوم الطراد   حامي الزينات سور المحصنات

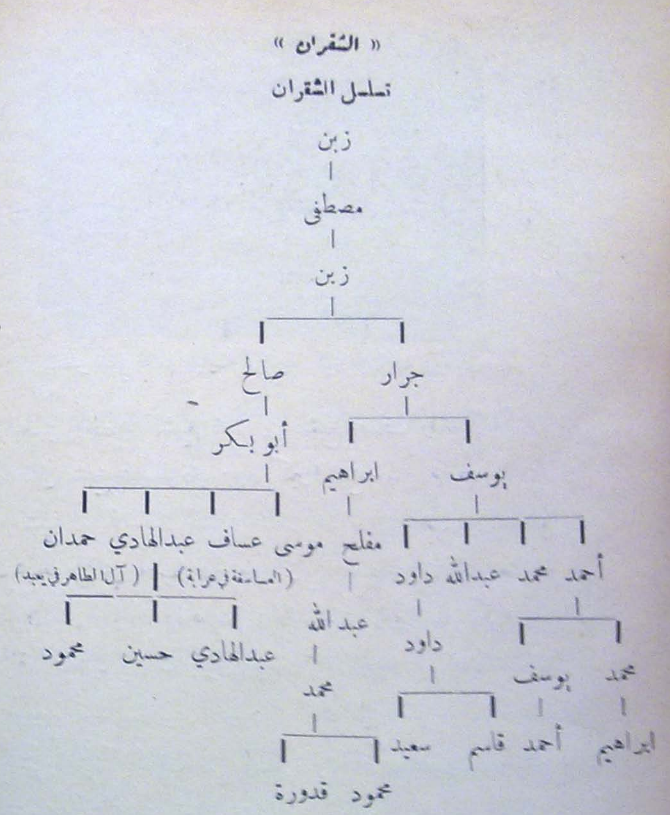
واشتهروا ايضاً بالمحافظة على الصهارة وهم كآل النمر يتمسكون بعادة عدم تزويج بناتهم من غير اسرتهم .

❁❁❁

(١) راجع القصيدة في فصل الشعر من باب اللغة في الجزء الثاني .

« الشقران »

تسلسل الشقران



الشقران هم من المعبر الغساني الأزدي كانوا في القسطل من البلقاء ، ولما ثارت الكرك سنة ١٠٨٠ هـ امتدت الثورة اليهم فانتقلوا مع شيخهم الشيخ زبن الى مرج ابن عامر وصار شيخهم أميراً على اللجون ، وبعد موته نزل ولده الشيخ مصطفى في عرابة ، وبعد موت هذا ضايق النزالية أولاده فنزلوا في بلاد حارثة واصطدموا هناك بالمشاقية بعد أن لجأ إليهم

الشاب الرشيدي ، ثم اتفق شيخهم الشيخ جرار مع محمد آغا النمر المار الذكر فقضوا على المشاقية والنزالية وبقي الشيخ جرار في بلاد حارثة ، ونزل أبو بكر الصالح في عرابة ، وبعد أبي بكر صار ولده عبد الهادي شيخاً وهو جدّ آل عبد الهادي الآتي ذكرهم .

بنو غازي وعشائر الجنوب

« تسلسل بني غازي »

- غازي
  - عثمان
    - ريان
      - محمد
        - سليمان
        - صادق
    - موسى
      - أبو بكر
  - مدينة
  - عوض
  - علي
  - قاسم
    - أحمد
      - قاسم
        - عثمان
        - محمود
        - أحمد
        - محمد
        - يوسف
  - فارس
    - الشايب
      - أحمد
        - الخفش
  - أبو اعمر

على أثر الثورات والفتن التي حصلت في الكرك والبلقاء سنة ١٠٨٠ أجليت عشائر كثيرة الى ناحية جماعين أشهرها بنو غازي الذين تفرعت منهم أسر كثيرة منها : عثمان ، ومدينة ، وعوض ، وعلي ، وقاسم ، وأبو اعمر ، وفارس ؛ وأصل بني غازي من بني حسن في شرق الأردن ، وقيل من الحجاز .

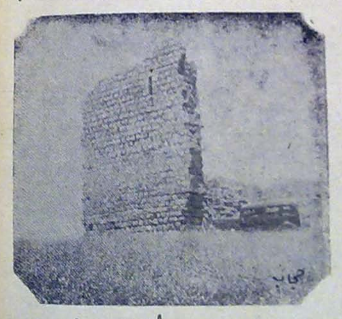
وبعد القضاء على العتوم شيوخ جماعين ساد بنو غازي في ناحية جماعين كلها ، وقد ظهر منهم فرعان كبيران بلغا درجة الامارة وهما : آل القاسم

الذين نزلوا فيما بعد في نابلس وآل ريان الذين نزلوا في مجدل يابا .

وممن نزحوا مع بني غازي من البلقاء الحواترة الذين نزلوا في سلفيت وتفرع منهم : الدحادلة ، واشتيه ، والمناصرة ، وشيوخ الجميع آل عفان الذين عرفوا بعفانة ولا يزالون .

وممن نزحوا أيضاً بنو نمرة الذين نزلوا في سلفيت وبنو خلف الذين نزلوا في رنتيس وآل قمير[1] الذين نزلوا في كفر قدوم ، وتفرعوا الى عبيد الذين منهم : آل صوفان بيت العلم المشهور[2] والى جمعه الذين منهم آل حمدان العودة الشيوخ الآتي ذكرهم .

وقد نزلت في قرية حجة عشيرة جبارة التي دحرت حامولة الصملة الى اجليل وحلت محلها ، وأصل عشيرة جبارة من بلاد المغرب تنسب إلى الشيخ عبد السلام المشيشي ، وقد أصبحت ذات شأن في أواخر عهد الاقطاع وعصر موسى بك ، وقد تفرع منها : آل بيدس والسعيد في يافا .



القسم الباقي من برج المطاعطة في سهل قاقون الذي راقب منه محمد آغا النمر والمطاعطة والصملة حركات نابليون وجيشه وكمنوا له في جواره

عشائر وادي الشعير

المطاعطة[1] — هم أقدم شيوخ وادي الشعير ، كان مركزهم رامين ثم رحلوا

---

(١) وقد نزل ناصر أخو قمير في عنبتا ، ونزل نصير الاخ الثاني في دير البلح فعرفت ذريته بعرب النصيرات ولا تزال . (٢) راجع تراجم علماء جبل نابلس في الجزء الثاني .
(٣) وليس بينهم وبين العطوط بنابلس قرابة لان هذا متفرع من العامول .

الى شويكة وبني صعب للمحافظة على برجهم ومدخل واديهم من هجوم الافرنسيين ؛

الإحفاة — هم من قبيلة عتيبة في الحجاز ، نزلوا في برقة من وادي الشعير الشرقي وانتشروا في القرى المجاورة لها وهي : برقة ، ودير شرف ، وسبسطية ، والناقورة ، وبيت أمرين ، وسيلة الظهر وبزارية ، ونصف اجبيل ، واجنسنية . وقد تفرعوا الى : صلاح ، وأبي اعمر ، ودغلس ، والحاج ؛

آل سيف — هم من آل سيفا أمراء طرابلس الشام ، نزلوا في برقة بعد أن ضايقهم المعنيون في القرن الحادي عشر ، ولما كثروا وقعت بينهم وبين الاحفاة دماء فخرجت منهم فروع ثلاثة وهم : آل داود ، وموسى ، وعيسى . ونزلوا في وادي الشعير الغربي فنزل الأول في ذنابة وعرفت ذريته بآل سيف ولا تزال ، ونزل آل موسى وآل عيسى في شوفه و كفر اللبد وعرفت ذريتهم بالبرقاوي نسبة الى برقة ، وقد بقي فرع منهم فيها ، أصبح لهم شأن كبير في حوادث جبل نابلس من بداية عصر موسى بك الى آخر عهد الاقطاع ؛

آل اعمر — هم عشيرة في عنبتا ، نزل جدهم الشيخ ابراهيم المحمد في نابلس فعرفت ذريته بآل العنبتاوي ؛

الجيتاوية — هم عشيرة أخرى في عنبتا ، تفرعوا الى الفقهاء ، والحمد لله ، ونصار ، والقبج ، ومزيد ، ونور .

✽✽✽

عشائر المشاريق

ال الحاج محمد — الحاج قيل إنه من أعيان المدينة المنورة ، وقيل إنه من شيوخ اقضاة عين جنة في جبل عجلون ، نزل في أواسط القرن الثاني الهجري ضيفاً على آل النمر في نابلس فاختار السكن في قرية [١] بيتا ، فساعدوه على ذلك فظهر أمره في مشاريق نابلس كلها ، وبعد حادثة العتوم مشائخ جماعين أصبح الحاج محمد شيخاً على المشاريق كلها ، ولما حاول بنو غازي شيوخ جماعين بعد العتوم مدّ نفوذهم الى المشاريق عارضهم ، فصالحهم آل النمر وشيوخ البلاد بحيث تكون طريق القدس فاصلاً فتكون المشيخة على القرى التي تقع شرقها للحاج محمد ، والتي تقع غربها لبني غازي قرية تيمة فإنها اعتبرت تابعة لناحية جماعين . وقد خلف الحاج محمد أربعة أولاد وهم : (١) الشيخ سعادة الذي نزل في قريوت وعرفت ذريته بآل سعادة . (٢) والشيخ أحمد الذي نزل في بيت فوريك وعرفت ذريته بآل أحمد . (٣) وكنعان الذي عرفت ذريته فيما بعد بآل عبد الجليل ، وقد نزلوا في جوريش وقصره وبيت دجن . (٤) ومنصور وقد بقي في بيتا وعرفت ذريته بآل ناصر وبعد أن وقعت الفتنة بينهم وبين ابن شمسه انتشروا في تلفيت وجالود والمغير وبيت دجن . وقد اشتهر آل الحاج

---

(١) كانت بيتا تابعة لزعامة اودله من اقطاع آل النمر كما سيظهر في فصل الاقطاع من الجزء الثاني .

محمد عموماً بالكرم والبسالة ، واشتهرت نساؤهم بالحجاب الكثيف والحياء والنظافة والإخلاص والتعقل فصاهرتهم العشائر الكبيرة في جبل نابلس ؛

بنو شمسة – هم عشيرة قديمة استوطنت بيتا واحرصرين وتفرعت الى العديلي ، والحمايل ، وبلوط ، والرماتي ، وذياب . ولما وقعت المنافسة بين آل النمر وآل طوقان حصل خليل بك للشيخ مصطفى العديلي على أمر بمشيخة المشاريق ليقضي على نفوذ الشيخ سعادة الحاج محمد فاستمالهم ؛

الدويكات – أصلهم من جبل الخليل نزلوا في بيتا وانتشروا في عسكر ، وبلاطه ، وروجيب ، ورحل منهم فرع الى البلقاء ، ونزلت منهم أسر في نابلس وهم : آل بدران ، وأبي شرخ ، وأبي عودة ، والجردانة . وكان لهم تأثير في مجرى الحوادث ، كما سيأتي .

الفصل الثالث

عشائر البدو (١)

« عباد »

ربما كانت هذه العشيرة من بقايا نصارى الحيرة الذين عرفوا بهذا الاسم ؛ أو من بقايا الطائيين الذين نزحوا عن جبل نابلس بعد أن ضويقوا في القرن الحادي عشر الهجري . وتقسم عباد الى أربع عشرة عشيرة تسمى

(١) اكتفيت بذكر من اشتركوا في الحوادث لا سيما الحرب الاهلية .

بهذا الاسم وترجع الى أنساب متعددة ، وقد أصبحت ذات شأن في القرن الثاني عشر ، ثم ظهرت عشيرة العدوان القوية فكونت عباد حلفاً ضدها من الصقر ، والبشتاتوة ، وفلاحي الغور .

« الصقر »

ينسبهم بعض المؤرخين الى المقداد بن الأسود الكندي الحضرمي ، وهم يقسمون الى صقر ، وشاهين ، والمقداد ؛ ثم انضم اليهم السردية والمهادوة وحالفوا عباد في البلقاء والمنادي في فلسطين ، ومنازلهم في سهول بيسان وغوره .

« المهيدات »

هم من بقايا جذام القحطانية ، عظم أمرهم في البلقاء فصاروا يسخرون البدو والفلاحين هناك في أشغالهم ومصالحهم الخاصة ، ولما نزلت عندهم عشيرة العدوان ثارت واستمالت البدو ، فوقعت الحرب بينهم وقتل فيها عدد من الفريقين وغلب بنتيجتها الأمير ضمان شيخ المهيدات ، فلجأ الى ابن عسرة شيخ البلاونة[1] في غور[2] أبي عبيدة ، فتبعه العدوان وقتلوا ابن عسرة وابن الأمير ضمان ، فاضطر البلاونة على ترك الغور والرحيل الى عجلون . ورحل الأمير ضمان ومن بقي معه الى غور بيسان عند الصقر .

وخشي آل النمر اتساع الفتنة ووقوع حرب بين بدو جبل نابلس وبدو البلقاء ، فاستقدموا الأمير ضمان الى نابلس فجاء ونزل بين نابلس[3] وقرية عسكر . ولما وفد آل النمر للسلام عليه في الصباح وجدوه في

---

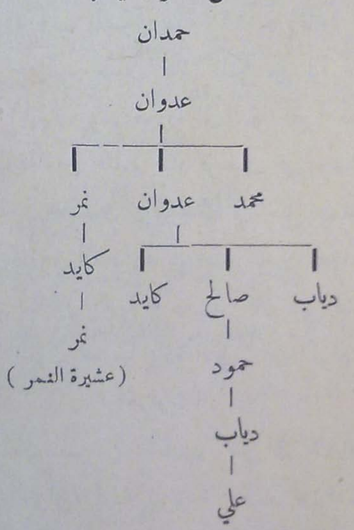
(١) هم من قبيلة بلى الحجازية . (٢) هو القسم الشمالي من الضفة الشرقية لغور الاردن وهو وقف لسيدنا أبي عبيدة الجراح المدفون هناك . (٣) وقد نزل في الارض المعروفة بقلاع الوقية .

حالة تجمد من البرد ، فقال لهم العبيد : قرقش الأمير من البرد ، فعرف بعد ذلك بالأمير قرقش ، وعرفت ذريته بعد ذلك بآل قرقش ولا تزال .

وبقي باقي عربانه عند الصقر فعرفوا فيما بعد بالمهادوة ، وقد أصلح آل النمر بينهم وبين العدوان ، وبذلك بدأت صلتهم بهم من ذلك الحين . وقد أنجدوهم في الحرب الأهلية ، فكان لنجدتهم أثر كبير في مجرى الحوادث .

« العدوان »

تسلسل العدوان في البلقاء



هم من قبيلة عدوان [1] القديمة نزلوا على المهيدات في البلقاء وبعد أن تغلبوا عليهم كما مر أصبحوا أصحاب السيادة في الغور جميعه . فكونت عباد ضدهم الحلف المار الذكر فتحالفوا مع بني صخر الذين عادوا الى البلقاء في ذلك الحين .

(١) راجع تسلسل القبائل العدنانية فرع مضر .

وقد عظمت سطوة العدوان في الغور والبلقاء فلقب أميرهم بسلطان البلقاء ، وقد اشتهر أمراؤهم بالسطوة والبسالة الفائقة فخضعت لهم عشائر الغور ودفعت أكثرها لهم الخاوة[١] .

« الصخر »

هم من جذام القحطانية كانوا يسكنون جهة العلا في الحجاز فنزحوا الى بلاد الكرك ، ولما ضايقتهم عشائرها انتقلوا الى البلقاء فضايقتهم العدوان ، فارتحلوا الى جهات غزة واتحدوا هناك مع عشيرة الوحيدات ونهبوا وإياهم جردة الركب المصري سنة ١١٩٧ هـ وقتلوا أميرها موسى باشا المعراوي ، فخرج إليهم حسين[٢] باشا المكي مير لوا غزة فقتل منهم عدداً كبيراً ونهب إبلهم وخيولهم فعادوا الى البلقاء فقراء ضعفاء . وكانت عشيرة العدوان متضايقة من حلف عباد فرحبت بهم وحالفتهم ، وقد انضم لحلفهم الغزاوية في فلسطين والفريحات في جبل عجلون . وفي هذا الوقت خرجت قبيلة عنزة من نجد فردها بنو صخر الذين عدوا سوراً للبلقاء ، وصار شيخهم يلقب بسلطان البرية ، وقد كان لبني صخر صلة قوية بنابلس لأنهم كانوا يأتون لمصابنها بمادة القلي[٣] من البوادي .

« الغزاوية »

يقال إنهم ينسبون لعمر بن الخطاب رضي الله عنه وهم من التياها الغزيين ، وقد سموا بالغزاوية نسبة لغزة ، وقد نزلوا حول بيسان[٤] وحالفوا العدوان ضد الصقر .

---

(١) الخاوة هي ترضية يدفعها الضعيف لرد غارة القوي عنه . (٢) وتعرف ذريته بآل مكي في غزة ويلقبون بالبيكات . (٣) هو نبات يحرق ويؤتى به محروقاً فيحل ويخلط مع الزيت فيصنع منه الصابون بعد جهد وقد سدت مسده مادة القلي التي تصنع في اوربا اليوم . (٤) ومنهم آل فطاير بنابلس .

« الهنادي »

كانوا ينزلون في مديرية البحيرة من القطر المصري فتمردوا وتسلط عليهم أحمد بك البشناقي (١) وقتل منهم خلقاً كثيراً ، واضطروا على الجلاء الى بلاد الشام فاستقروا في شفا عمر وتحالفوا مع الصقر .

« المساعيد »

هم من وادي الحرير في الحجاز نزلوا في جهات الكرك ثم رحلوا على أثر فتنة وقعت هناك وخدلوا في غور نابلس المعروف بغور الفارعة ولم يظهر لهم شأن الى أن ظهر الأمير بركات أحد أمرائهم فرفض خاوة العدوان ، وانقلب مع عباد وقد كان له أثر في الحرب الأهلية كما سيأتي .

الفصل الرابع

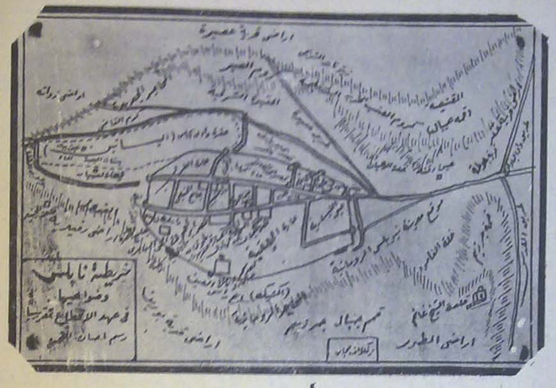
هجوم ظاهر العمر ونتائجه

اصطدام الظاهر بمصطفى بك

بعد أن اتفق ظاهر العمر مع علي بك الكبير أمير مماليك مصر ، استولى على بني صعب والساحل حتى مصر ، فاصطدم بمصطفى بك طوقان شيخ بني صعب الذي أمده والي الشام بالسلاح والعتاد والأموال ، وكلفه بعرقلة مساعي ظاهر العمر ؛ إلا أن ظاهر العمر أصبح قوياً جداً إذ أمدته حليفته روسيا بالمدافع والأسلحة الجديدة والأموال والخيول ، فلم يثبت مصطفى بك أمامه بل اضطر على الانسحاب الى نابلس ، فتبعه

(١) هو مملوك صالح بك المملوك أحد رؤساء المماليك ، وسيأتي الكلام عليه في هذا الباب .

الظاهر بخيوله ورجاله ومدافعه ساخطاً ناقماً ، وذلك في أواخر سنة ١١٨٥ هـ



« مصوّر مدينة نابلس »

استعداد نابلس لرد الظاهر

لما بلغ ابراهيم آغا النمر ما حصل أسرع بالمجيء من القدس واتفق مع البيكات على الدفاع عن نابلس بكل قواهم ، فحشدوا فيها جميع سكان القرى المجاورة وهي : بورين ، وعورتا ، وعسكر ، وبلاطة ، وروجيب ، وأودلة ، وحواره ، ورفيديا وغيرها ، وقسموا البلد الى قسمين جاعلين خان التجار حداً فاصلاً بينهما ، فتولى آل النمر الدفاع والمحافظة على القسم الشرقي وفيه ثلاث حارات(١) وهي : الحبلة ، والقيسارية ، والعقبة ؛ وتولى البيكات الدفاع والمحافظة على القسم الغربي وفيه ثلاث حارات وهي : الغرب ، والقريون ، والياسمينة . وقد بلغ عدد السلاح الناري في نابلس اثني عشر ألف(٢) بارودة ، وكانت نابلس في عصرها

(١) الحارة هي الحي ويقال لها المحلة ، وقد صارت هذه القسمة حزبية بين آل النمر وآل طوقان كما سيأتي . (٢) البارودة هي البندقية .

الذهبي تزدحم بالكنوز والسكان فصمموا على الدفاع عنها دفاع المستميت .

وصول الظاهر ومفاوضته

لاقى الظاهر مشقةً كبيرة في الوصول الى نابلس لأنه كان يهاجم في الطريق من قرويي جبل نابلس ولم تكن الطرق سهلة فلاقى مشقة كبيرة في نقل المدافع والذخائر ، فكان هـذا كافياً لاستعداد نابلس وحشدها الرجال واصلاح البوابات والأسوار .

ولما وصل الظاهر نزل في كرم القاضي من سفوح عيبال تحت المحاجر الشمالية وأرسل يطلب تسليم مصطفى بك ويهدد نابلس ، فخرج اليه احمد بك أخو مصطفى بك بالهدايا ، فاتفقا على ايفاد وفدٍ من قبل الظاهر لمفاوضة نابلس .

استعدت نابلس لاستقبال الوفد استقبالاً حربياً ، فنصب آل النمر سلاحهم من باب خان التجار الشرقي الى البوابة الشرقية ؛ ونصب آل طوقان سلاحهم من باب خان التجار الغربي الى داخل دارهم ، وكان البارود في كلتا الجهتين على أربعة صفوف ، واحتشد في قصر آل طوقان نحو ألف بواردي .

وفي الوقت المعين جاء أحمد بك وصحبته الوفد المكون من الشيخ كريم بن أيوب والشيخ ناصيف المتوالي ومعهما ستون فارساً . فاستقبلوا بحفاوة كبيرة ثم اجتمعوا بامراء نابلس ووجهائها وعرضوا عليهم شروط الظاهر وهي تسليم جميع السلاح وخروج مصطفى بك وأحمد بك الى الظاهر كي يلبسهما[1] الأول متسلماً على نابلس والثاني متسلماً على القدس بدلاً

(١) كانت العادة أن الوالي حينما يعين متسلماً على بلد يلبسه فروة والمتسلم بدوره يقدم له هدية من المال .

من آل النمر متسلمي والي الشام فيهما أي أنه يريد ارغامهما على عصيان الدولة والانقياد اليه . فرفضت نابلس هذه الشروط بلا تردد واتفقوا على خروج أحمد بك اليه ليفاوضه على شروط جديدة .

كبرياء الظاهر ودهاء أحمد بك

خرج أحمد بك براسين من الخيل الجياد للظاهر الذي لما بلغه رفض نابلس للشروط احتدّ وغضب وألح بتسليم مصطفى بك صاغراً وتسليم جميع السلاح الموجود في نابلس واذعان نابلس إليه وإلا فانه يهدمها بمدافعه . ولما سمع ذلك أحمد بك تظاهر بالقبول ليتمكن من التفلت وأعلم الظاهر بأنه يود الرجوع الى نابلس ليأتيه بأخيه مصطفى بك فصدق الظاهر كلامه وسمح له بالرجوع إلا أنه لم يكد يبلغ حدود البلد حتى استنجد فأنجدته رجال نابلس وأغار من ساعته على رجال الظاهر وقت الغروب وبذلك بلغه الرفض عملياً . قال ابراهيم الدنفي السامري كاتب سراي نابلس عن ذلك في كراسه [1] : « أرسلوا أحمد بك وراسين خيل ولما وصلوا لعنده حكى حكي غير ما احكوا مراسلية ضاهر يبين عن باطن أذاه وقد حتم على حضور مصطفى بك لعنده لازم ضروري فعمل أحمد بك رجولة تامة وأخبره بأن نحن يا شيخ مرادنا نكون كعيالك ونتحد في حبالك بل مرادنا ثقة منك ونأخذ الأمن وأنا بدخل احضر معي مصطفى بك لطرفك نخلف له وخال في عقل ضاهر أن الامر صحيح لا خلاف فيه ولبس أحمد بك فروة ومشى من عنده ولما انفصل عن منزله نادى على من معه الشوباش [2] . »

---

(١) راجع المصادر قسم المخطوطات . (٢) راجع بحث الشوباش في فصل الفتوة من باب الامارة في الجزء الثاني .

هجوم الظاهر على نابلس

لم يحدث شيء في اليوم الثاني بين الفريقين وفي اليوم الثالث هجم رجال الظاهر على بوابة نابلس الغربية فتلقاهم النابلسيون برباطة جأش وردوهم سبع مرات قتل فيها نحو ماية رجل من رجال الظاهر وعدد كبير من الخيل . ولم يقتل من النابلسيين سوى ثلاثة .

وفي اليوم التالي باغت النابلسيون رجاله على عين دفنة في الجهة الشرقية وقتلوا عدداً منهم ومنعوهم السقاية واستاقوا ابلهم .

تخريب القرى

بعد أن تكبد ظاهر العمر هذه الخسارة ترك نابلس وتحول نحو القرى يهدم بيوتها ويتلف زروعها ليضطر النابلسيين في المدينة ومن معهم من أهل القرى على الخروج اليه لكي يتمكن من مباغتة المدينة بعد أن تضعف فيها قوة الدفاع إلا أن النابلسيين فطنوا لمكيدته وآثر القرويون المخلصون الدفاع عن امهم نابلس على الدفاع عن قراهم وزروعهم شأن أبناء جبل نابلس في حبهم وإخلاصهم لأمهم نابلس التي يفدونها بنفوسهم في كل حين .

واقعة الزاركية[1]

بعد بضعة أيام قضاها الظاهر في بورين وقضاها رجاله في تخريب القرى فاجأ نابلس من الجهة الغربية الجنوبية فحط رجاله في قرية رفيديا ونصب مدافعه فوقها متجهة نحو نابلس ، وسار رجاله تحت حمايتها فهدمت القسم العلوي من مأذنة جامع الخضرة وبعض المباني فتمكن رجاله من الوصول إلى جدران جامع الخضرة والبساتين المحيطة به ولما شعر بهم

(١) هي مقبرة نابلس الغربية .

النابلسيون خرجوا اليهم من جهة رأس العين والجهة الشمالية فقطعوا عليهم الخط وضايقوهم في الزاركية بين القبور فاستولى عليهم الذعر وفروا هاربين بعد أن تركوا في الساحة مئات القتلى والجرحى وعدداً من الاعلام والمدافع وكثيراً من العتاد . قال ابراهيم الدنفي كاتب السراي في كراسه : « زحفوا على طرف المدينة من جهة[1] الغروز والزاركية ونصبوا المدافع وكانوا[2] علينا كون بليغ في المدافع والبارود وأول الكون كان الوجه لهم ودخلوا طرف بستان بقيع معجنة وبلغوا حيطان الخضرة وكانت ساعتين ثلاثة والعياذ بالله كلها غضب فأعان الله تعالى وحملت عليهم الجرود وخرجوا لهم كالقرود ودخلوا عليهم هجم وصار يرجموهم بالبارود رجم وقد كسروهم وأخذوا أيضاً بيارقهم ومدافعهم والجباخانات وكانت قدرة الله تدافعهم وسقط منهم في اليوم المذكور فوق الألف قتيل ومن جمعنا نفرين فقط . وفي ضحوة النهار كوموا البارود وانحل الكون ودخلوا جميعاً في فرح وسرور وحظ وحبور » .

متاركة الظاهر ورحيله

بعد أن نال الظاهر ما ناله في واقعة الزاركية عاد ونزل في كرم القاضي الذي نزل فيه في أول وصوله وقد علم بعد ذلك بأن آل النمر هم حكام البلد فأرسل يطلب مفاوضتهم على يد أحد العلماء فأرسلوا له الشيخ لطفي من علماء نابلس فعقد معه متاركة بأن لا يتعرض لنابلس ولا تتعرض نابلس اليه « اي لا تيجونا ولا نيجيكم » حسب الاصطلاح

---

(١) هي الأراضي الواقعة غرب المقبرة الغربية ملك آل سويسة ، وهي حي الساسرين الجديد اليوم . (٢) أي حاربونا حرباً عظيمة — لأن الكون في اصطلاحهم هي الحرب الكبيرة — راجع عرف الصفوف في الجزء الثاني .

الدارج في ذلك الوقت وعلى هذا الشرط عاد الظاهر برجاله الى عكا وقد سار الأمر على هذا الى السنة التالية ، وقد نزل ولده ضيفاً على مصطفى بك طوقان مظهراً عدم الرضا من أبيه ، ولم يعد يتعرض لنابلس .

انجاد يافا ومحاولة اغتيال الظاهر

كان أبو الذهب [1] في سنة ١١٨٥ هـ هاجم دمشق الشام وأصبح بإمكانه الاستيلاء عليها وقد ساعده الظاهر بكل قواه إلا أن صديقه اسماعيل بك الذي كان ميالاً للدولة العثمانية حذره من العاقبة ، وأقنعه بوجوب الاتفاق والتفاهم مع الدولة ، فتجنب فتح دمشق ، ولما عاتبه سيده علي بك الكبير اتهم ظاهر العمر وأولاده بالتقصير . فكتب علي بك بذلك للظاهر ، فأرسل هذا ولده إليه يفهمه الواقع ، فوقعت الحرب بين علي بك وقائده أبي الذهب فغلب علي بك واندحر وهرب من وجه أبي الذهب الى ظاهر العمر ، ولما بلغ الظاهر ذلك خرج ببعض رجاله ليستقبل ضيفه علي بك ، فذعرت يافا واستنجدت بمصطفى بك طوقان فأنجدها بأخيه أحمد بك ومعه جموع كثيرة ، ورابط هو بين الرملة والمجدل لعلي بك والظاهر يريد قتلهما والتعرض لهما ، ولما بلغهما ذلك تجنبا الاصطدام به وانسلا سراً الى عكا .

ضرب يافا وبسالة بحارتها

أغاظ ظاهر العمر استنجاد يافا بنابلس ، فأرسل (بر كندة) أي قطعة من الأسطول الروسي الذي كان يسير بإشارته في البحر الأبيض المتوسط — وسلطت مدافعها على يافا فنزل اليها بحارة يافا البواسل ووصلوها واستولوا

(١) سمي بأبي الذهب لكثرة ما أنفق من الذهب حينما عين أميراً .

عليها بعد أن قتلوا عدداً من رجالها المعروفين (بالجنكشن) وأغرقوا عدداً آخر وأسروا الباقين وأتوا بهم الى أحمد بك طوقان محافظ بلدتهم إذ ذاك .

قتل الأسرى وجلب الشر لنابلس

لما بلغ مصطفى بك طوقان الخبر طلب الأسرى وقتلهم في نابلس ليحرج موقف ظاهر العمر مع أحلافه الروس ولكي يرسل رؤوسهم للوالي والسلطان . قال ابراهيم الدنفي : « ضربوا البركندة ومسكوها مسك اليد ، وغرق منها عشرة أنفار وهرب منها والبقية دخلوا بهم ليافا ، وفي الحال أرسلوا وعرضوا ذلك لجناب أفندينا بمكتوبة من جناب أخيه حضرة أحمد بك المتسلم فأرسل يطلبهم منه مع التفنكجية وحضروهم وساعة حضورهم قطعوا رؤوسهم » . ولما بلغ ظاهر العمر ذلك جنّ جنونه وعده عدواناً فظيعاً وأقسم أن لا يرجع عن نابلس هذه المرة ما لم يسق حصانه من عين الست (1) وصار ينهب قوافل نابلس ويقطع الطرق المؤدية لها .

التآمر على محمد باشا وآل النمر

كانت الدولة عينت عثمان باشا الكرجي والياً على مصر على أن يخضع ظاهر العمر ومماليك مصر ، وخولته سلطة كافية وأمدته بكل ما يلزم له ، فنزل دمشق وأمد مصطفى بك طوقان كما مرّ . وكان عثمان باشا يطمع بولاية الشام ، ومصطفى بك يطمع بتسلمية نابلس ، فتآمرا على محمد باشا العظم والي الشام وعلى آل النمر حكامه في نابلس ونسبا القصور لمحمد باشا العظم الذي كان في الحجاز مع الركب الشامي

---

(1) هي العين المجاورة للسراية القديمة والكائنة في جدار مقبرة آل فروخ المدفون فيها صالح باشا جد مصطفى باشا طوقان المذكور .

ونسبا الدفاع المجيد لهما و كتبا بذلك الى السلطان فصدرت الأوامر السلطانية بعزل محمد باشا العظم وتولية عثمان باشا الكرجي مكانه على ولاية الشام وتعيين مصطفى بك طوقان أمير أمراء (مير ميران) بلقب باشا على ألوية يافا وغزة والرملة ونابلس . وترضية لآل النمر حصلا على رتبة أمير الأمراء (مير ميران) ولقب باشا لإبراهيم آغا النمر متسلم القدس .

الخلاف بين الأغوات والبيكات

ورث قاسم آغا النمر المالكانة عن أبيه[1] إسماعيل آغا ، فلما صار مصطفى باشا طوقان متسلماً ومير لوا لنابلس حصل على براءة بالمالكانة بحجة أنها من متعلقات المتسلمية ، وكان قاسم آغا المذكور قد مات في هذه البرهة عن ولدين قاصرين ، فتولى الدفاع عنهما ابراهيم آغا النمر حاكم القدس ، وحسن آغا النمر مير ألاي نابلس ، فوقع الخلاف بين البيكات والأغوات وعثمان باشا الكرجي ، فرفض ابراهيم آغا الرتبة واللقب الكبير ، ورفض الاعتراف بعثمان باشا ، وظل على اتصال بمحمد باشا العظم الذي شجعه على الاتفاق مع ظاهر العمر والعمل على مضايقة مصطفى باشا طوقان . فانقلب الأغوات على البيكات ، وفوض ابراهيم آغا الشيخ يوسف الجرار بمخابرة ظاهر العمر والاتفاق معه .

انقلاب نابلس على مصطفى باشا

لم يرض النابلسيون عن غصب متسلمية نابلس والمالكانه من ال النمر ونسبة البيكات الدفاع عن نابلس لانفسهم فقط ولم يرضهم ايضاً التعرض لظاهر العمر ومحاولة الفتك به ، فأخذوا ينفرون من هـذه الأعمال ، وزاد الطين بلة قتل الأسرى في مدينة نابلس ، و كان قاضيها إذ ذاك

---

(١) راجع مبحث إسماعيل آغا النمر في فصل أحفاد الجربجي من الباب السابق .

الشيخ موسى التميمي ببعض البيكات كما مر ، و كان قوياً شديداً فأثار الرأي العام ضدهم ، لأن قتل الأسرى ممنوع شرعاً ، وكان الأغنياء والتجار قد تضايقوا من تكاليف مصطفى باشا التي كبدهم إياها حينما أعطي الرتبة والباشاوية ؛ قال ابراهيم الدنفي عن رسل عثمان باشا : « ومكثوا في طرفه ستين يوماً كل يوم يصرف عليهم مقدار مايتين غرش مأكل وعليق ، وبعد ذلك جمع التجار وألزمهم بفرض دراهم ، وجمع لهم خمسة آلاف[1] قرش قدمها لهم ولمن معهم ومشاهم »[2] . وقد نهبت قوافلهم وبضائعهم على غير فائدة تعود لهم ولبلدهم ، وقد ضايق الجميع غصب عثمان باشا الكرجي ولاية الشام من أسياده آل العظم كما صرح بذلك المرادي الذي عده ناكر الجميل . وقد اجتمعت هذه العوامل المثيرة وكلها ضد عرف أهل ذلك العصر الاقطاعي النبيل ، وهي غصب عثمان باشا الولاية من آل العظم ، وغصب مصطفى باشا طوقان المتسلمية والمكانة من آل النمر ، و كبيرهم عمر آغا ساعده للحصول على مشيخة بني صعب ثم قتل الأسرى وإلزام التجار وقطع الطرق عن نابلس ونهب متاجرها بسبب طمع مصطفى باشا طوقان في الحصول على الرتب والألقاب ، هذه العوامل المجتمعة في مدة سنة ، قلبت جبل نابلس كله ضد البيكات ، وألحوا جميعاً بتأييد محمد باشا العظم ومصالحة ظاهر العمر ، وخذلان مصطفى باشا وصديقه عثمان باشا .

* * *

---

(١) كانت الذهبية في ذلك العهد ثلاثة قروش وثلاثين بارة اي خمس ظلطات — راجع بحث العملة في بابي الميري والتجارة من الجزء الثاني . (٢) راجع فصل المتاجر والثروات في باب التجارة من الجزء الثاني .

دخول الظاهر العمر انابلس

لما رابط مصطفى باشا طوقان للظاهر[١]، لم يرد التعرض لنابلس بل اكتفى بالتعرض ليافا التي استنجدت بالبيكات ، ولما طلب مصطفى باشا الأسرى وقتلهم في نابلس ، عد ظاهر العمر هذا العمل موجباً للسخط والنقمة على نابلس فأقسم أن لا بد من دخولها . وفي الوقت الذي بلغ فيه ظاهر العمر هذا الحد كان يجمع جيشاً لعلي بك الكبير ليسترد به مصر فخوله لدخول نابلس ، ولكن نابلس في ذلك الوقت انقلبت وقراها ضد مصطفى باشا كامر ، فلما حط ظاهر العمر بجيشه على اللجون وباقة الغربية ، وصل إليه الشيخ يوسف الجرار رسول جبل نابلس ، يدعوه لضيافة آل النمر والاتفاق معهم .

لا شك أن ظاهر العمر طار قلبه فرحاً لهذا الخبر الذي ما لبث بعد أن تأكد صحته أن سار مع الشيخ يوسف الجرار وعدد من فرسانه وتوجه لنابلس فاستقبل بحفاوة ، وبعد أن سقى حصانه من عين الست حل ضيفاً في قصر آل النمر واتفق معهم ضد مصطفى باشا وعثمان باشا ثم عاد لجيشه الذي أرسله مع علي بك واحد أولاده لاسترداد مصر من أبي الذهب وذلك سنة ١١٨٦ هـ .

انسحاب البيكات

لما بلغ مصطفى باشا طوقان اتفاق آل النمر مع ظاهر العمر وانقلاب الرأي العام ضده ، انسحب هو واخوته وعائلته من نابلس الى يافا ، فانضم اليهم أخوه أحمد بك ونزلوا في البحر الى صيدا ، ومن هناك

---

(١) يقول ابراهيم السامري الدنفي ان ظاهر العمر صار يتعرض لقوافل نابلس بعد المناركة وهذا من مخاتلات هذا الكاتب الذي انما كتب كراسه حسبما يرضي مصطفى باشا .

ساروا ونزلوا على الشهابيين في راشيا ، ثم ذهب مصطفى باشا الى دمشق واجتمع بصديقه عثمان باشا الذي زوده بالشهادات اللازمة التي ذهب بها الى السلطان في العاصمة فعينه والياً على مصر وأعطاه المعدات اللازمة لأبي الذهب كي يهاجم ظاهر العمر الذي عاد فاستولى على الساحل جميعه بما فيه الرملة وغزة ويافا .



منظر لقلعة صانور من الداخل (١)

تحصين جبل نابلس واستعداده

غلب علي بك الكبير ووقع أسيراً جريحاً بيد قائده أبو الذهب الذي سمه ليتخلص منه ، ثم أخذ يعد العدة للانتقام من ظاهر العمر الذي سبب له هـذه المتاعب، وساعد خصمه ، وفي نفس الوقت تشجع والي الشام عثمان باشا على الهجوم على ظاهر العمر وجبل نابلس إذ باتفاق آل النمر مع ظاهر العمر أصبحت سوريا الجنوبية كلها خارجةً على الدولة ، لأن

(١) لم يبق من سور القلعة القديمة شيء والقسم الباقي هو السور الذي بني بناء عاديا بعد ان هدمه عبد الله باشا الجزاري سنة ١٢٤٦ هـ .

آل النمر بيدهم جبلا القدس ونابلس ، وقد استولى ظاهر العمر على جبل عجلون وساحل فلسطين كله .

وقد بلغ ظاهر العمر وآل النمر استعداد والي الشام وأمير لبنان للهجوم من الشمال ، واستعداد أبو الذهب للهجوم من الجنوب وقد بلغهم تعيين مصطفى باشا والياً على مصر فأخذوا يستعدون للمقاومة النهائية .

نادى ابراهيم آغا النمر في جبل نابلس وجبل القدس حاضاً على الاستعداد وبناء الحصون بأسرع ما يمكن بالشيد والزيت[1] ، فتوالت الامدادات وثارت النخوة من جبل الخليل الى صفد ، فبني السور والقلعة حول صانور ، وبنى العطاعطة برجهم في السهل أمام مدخل وادي الشعير وبنوا[2] شونة في كفر اللبد . وبنى الجيايسة برج قلعة في كور وأخرى في صوفين وبنت عشيرة شبيطة شونة في عزون ، وأُصلحت قلعة رأس العين وبنيت قلعة جينين ، وبنيت حصون أُخرى حول عرابة وأُم الفحم وباقة ، وتبارت عشائر جبل نابلس في بناء الحصون في الشمال والغرب وكذلك في جبل القدس ، وكلها على المرتفعات المطلة على السهول ومداخل الأودية فانقضت سنة ١١٨٧ هـ كلها باستعداد في مصر والشام وجبل نابلس .

ولما بلغ جبل نابلس زحف الجيوش تسابق رجاله الى الحصون ومداخل الأودية للدفاع المجيد ضد جيوش الشام ومصر ولبنان ، وإذ كان الخطر أعظمه من الشمال رابط ابراهيم آغا النمر والشيخ يوسف الجرار في الشمال لصد جيشي الشام ولبنان .

* * *

---

(١) راجع فن البناء في الجزء الثاني (٢) الشونة هي الحصن الصغير .

خذلان جيش مصر

في سنة ١١٨٨ هـ زحف أبو الذهب بجيش مصر[1] على فلسطين ، فاستولى على غزة سلماً وقاومته يافا ، فقتل من أهاليها خلقاً كثيراً بالغ المؤرخون فيه وقالوا انه أقام من جماجمهم تلالاً ، وكان ظاهر العمر مصمماً على الخديعة فأخلى عكا وصفد وانسحب الى جبل عامل ، فدخل أبو الذهب عكا دون مقاومة ، وقد ظل رجال جبل نابلس مرابطين في الحصون والأبراج ومداخل الأودية يضايقون جيش مصر ويهاجمونه أثناء مروره ، وقد مكث أبو الذهب في عكا ينتظر أخبار والي الشام . وفي تلك الأثناء وفق ظاهر العمر بواسطة جواسيسه الى إغراء أحد رجال أبي الذهب لقاء أربعة آلاف ذهبة فدس عليه السم فقتله به بعد ثلاثة أيام من استيلائه على عكا . فقتل كما قتل سيده علي بك . أما جيشه فقد فزع وادعى رجاله أنه مات من شدة الفرح ، وبذلك أمنوا الفتنة ، وصمم الجيش على أخذ الجثة الى مصر لئلا تحرق اذا دفنت في عكا ، فغسلوها بالعطور وحملوها الى مصر وعادوا عن ساحل جبل نابلس يجرون اذيال الخيبة وقد استولى عليهم الذعر من رجال جبل نابلس الذين كانوا يباغتونهم أثناء انسحابهم .

خذلان جيش الشام ولبنان

صادف تنازل الأمير منصور الشهابي عن امارة لبنان لابن اخيه الأمير يوسف تولية عثمان باشا الكرجي على ولاية الشام ، فتقدم اليه الأمير يوسف طالباً تأييده فأيده ، ولما صمم عثمان باشا الكرجي المذكور على مهاجمة جبل نابلس طلب مساعدة الأمير يوسف . ولما زحف جيش

(١) وقد بقي مصطفى باشا طوقان في مصر ولم يأت مع ابي الذهب .

الشام وجيش لبنان الى الجنوب وجدا صفد قد أخلاها الظاهر فتوجها جنوباً حيث اصطدما بجموع جبل نابلس في المرج بقيادة ابراهيم آغا النمر والشيخ يوسف الجرار اللذين انسحبا أمامهما الى الداخل وحاصرا في صانور الى أن قضي على ابي الذهب . وفي تلك الاثناء جفت آبار صانور فاستغاث ابراهيم آغا النمر الامير الصوفي (١) فأتت غيمة وقفت على صانور فأمطرتها وملأت آبارها فتشجع المحصورون على المقاومة وفي تلك الاثناء وصلت نجدات الحصون الغربية بعد انسحاب جيش مصر وباغتت جيش الشام ولبنان فأصبحا محصورين بعد أن كانا محاصرين وأصبحا بين هجوم النجدات من الخارج وهجوم الجموع التي في القلعة فاضطرا على الانسحاب بعد أن تكبدا خسارة عظيمة ولاقيا الاهوال في الأودية والسهول فقال شاعر لبنان يصف الصعوبة والهول :

جينا ابلاد جدعا ما وصلها عرب وادروز والدولة تصلها
عربستان يارب نصلها بحق البيت والعشره الصحابه

وقال شاعر جبل نابلس :

صانور يا قفة النور ياست كل القرايا
مكتوب في عالم الغيب يارب تحمي الولايا (٢)

وقد كان لهذا الفوز الذي أحرزه جبل نابلس دوي عظيم فاق فوزه على ظاهر العمر قبل ذلك بسنتين وقد أعجب النابلسيون ببسالة

(١) راجع مبحث التصوف في باب العلم من الجزء الثاني .

(٢) الولايا جمع ولية وهي المرأة — راجع الرقي اللغوي في الباب السابع من الجزء الثاني

أميريهم فلقبوا ابراهيم آغا النمر بسلطان جبل نابلس ولقبوا الشيخ يوسف الجرار بسلطان البر .

نجاة جبل نابلس والقضاء على الظاهر

عاد ظاهر العمر إلى عكا وصفد واسترد الساحل كله وقد كان لفشل الامير يوسف الشهابي تحت أسوار صانور تأثير كبير على نفسه ، وبدسائس محمد باشا العظم وظاهر العمر اتفق مع الشيخ ناصيف المتوالي شيخ جبل عامل وانقلبا على والي الشام عثمان باشا الكرجي فالتقى جيش الشام بجيش لبنان وجبل عامل في سهول البقاع فغلب عثمان باشا وكان محمد باشا العظم قد حرك دمشق ضده فهرب ملتجئاً إلى حماه ونهب الدروزُ والمتاولة جيشه ففضح فضيحة شائنة .

وبعد سقوط عثمان باشا الكرجي وفضيحته أُعيد محمد باشا العظم لولاية الشام فعاد بعودته جبل نابلس وجبل القدس الى حظيرة الدولة ونجا آل النمر من نقمة الدولة لأنهم كانوا متفقين مع محمد باشا سراً كما مرّ وكان ذلك سنة ١١٨٩ هـ .

وفي السنة التالية جاء الاسطول العثماني إلى مياه عكا بقيادة القبودان حسن باشا فحاصر ظاهر العمر فيها إلى أن قُتل هو وأولاده وانتهى العصيان وعادت البلاد الى الدولة وعين على ايالة الساحل أحمد باشا الجزار الآتي ذكره .

وقد عين خليل باشا والي حلب والياً على مصر وعُين مصطفى باشا طوقان والياً على ايالة جدة (أي الحجاز) وظل فيها إلى أن مات حوالي سنة ١١٩٧ هـ .

الفصل الخامس

عصر السلطانين

اتفاق آل النمر وآل جرار

بعد انسحاب مصطفى باشا طوقان من نابلس اتفق آل النمر وآل جرار على أن يكون الشيخ يوسف الجرار متسلماً لنابلس وأن تدار بواسطة وكيله صالح[١] آغا ابن أحمد آغا النمر وبمساعدة المير آلاي حسن آغا النمر وبذلك بدأ حكم آل جرار في نابلس . وقد لُقبوا بعد ذلك بالأغوات . وظل ابراهيم آغا النمر متسلماً على القدس وبهذه الواسطة احتفظ آل النمر بحكم القدس ونابلس ووحدوا شمال جبل نابلس وجنوبه وأوجدوا أمام البيكات خصماً قوياً عنيداً .

تفاهم البيكات والأغوات

في سنة ١١٩٨ هـ رجع اخوة مصطفى باشا طوقان وولداه وتفاهموا مع آل النمر بوساطة سائر فروع آل طوقان فخرج البيكات عن براءتهم بالمالكانه لأسعد آغا النمر[٢] حفيد اسماعيل آغا النمر صاحبها الأول ولقاء هذا أعطى حسن آغا النمر[٣] زعامة اودلة لأحمد بك طوقان وبذلك تفاهم الفريقان فدام الوئام بضع سنين .

***

---

(١) هو صالح اغا بن احمد اغا بن الشيخ صالح الاغا ابن الامير يوسف النمر — كما يظهر من ال النمر اليوسفيين في نابلس — راجع عصر بني النمر .

(٢) و(٣) راجع الوثائق في فصل الاقطاع من باب الحكومة في الجزء الثاني .

الجدب والمجاعة

بختام القرن الثاني عشر انتهى عصر نابلس الذهبي فانبثق القرن الثالث عشر عن مصائب متوالية فقد قلّ المطر سنة ١٢٠١ فارتفعت الأسعار وتقاطر الناس على نابلس من البلقاء وجبلي القدس والخليل فحصلت مجاعة باع الناس فيها أثاث بيوتهم وأملاكهم وقد فقدت الغلال والماعز والضأن فأكلوا البقول والخضار ثم أكلوا لحوم البهائم وطحنوا العظام . وسادت الفوضى وانقطعت الأسباب ودخل فصل الشتاء سنة ١٢٠٢ بلا مطر وجفت بعض الينابيع وغاضت مياه الآبار وبلغت قلة(١) الماء مصرية ونصف وارتفعت الاسعار ارتفاعاً فاحشاً فبلغت جرة الزيت عشرين زلطة(٢) وزادت أسعار سائر الحاجيات الى عشرين مثلاً وبلغ رطل القمح زلطة . واشتد الضيق وتعطلت الأعمال وكثر النهب والسلب ومات الناس في الشوارع وما زالت الحال تشتد الى أن وصلت الغلال التي استوردها التجار من جزيرة مالطة ولولا وصولها لهلك الناس .

«الوباء»

بعد المجاعة تفشى وباء جارف أهلك الناس بالالوف فمات فيه من أهالي مدينة نابلس وحدها أربعة آلاف نفس فضعفت البلاد واضمحلت أحوال العباد وتناقصت الايدي العاملة فتعطلت المصانع وتخربت الأراضي فكان ذلك أول شرور القرن الثالث عشر التي توالت حتى نهايته .

❊❊❊

---

(١) القلة هي الجرة والمصرية هي البارة وهي واحد من أربعين من القرش وقد كانت الذهبة ثلاثة قروش وثلاثة ارباع قرش كما سيتبين في بحث العملة في فصل الميري في الجزء الثاني .

(٢) كانت الزلطة في ذلك الوقت تساوي ربع ذهبة .

فصل جرار عن نابلس

بذل يوسف آغا الجرار سلطان البر كل ما استطاع في المجاعة فسارت بكرمه الركبان حتى شهد له بذلك [1] أحمد باشا الجزار بعد عشر سنين إلا أن النابلسيين تشاءموا من إمارته التي باشرها بنفسه بعد موت المتسلم الحقيقي صالح آغا النمر . وكان البيكات بالمرصاد فترك [2] أحمد بك زعامة اودلة وصار هو وسائر البيكات ينفرون نابلس من حكم جرار الذي حلت في عهده الويلات والمصائب فطلبوا من والي الشام فصله فلبى طلبهم وعين أسعد بك ابن مصطفى باشا طوقان مكانه وذلك [3] سنة ١٢٠٤ هـ . فوقع العداء بين آل جرار والبيكات .

تعيين سلطان جبل نابلس

خشي ابراهيم آغا النمر من أن يحصل من البيكات ما حصل في السابق وحسب عاقبة عدائهم لجرار فترك القدس لولده محمد آغا وتولى متسلمية نابلس بنفسه فبدأ القسم الثاني من عصر السلطانين الذي انقضى بهدوء وبقي يوسف آغا الجرار متسلماً على جينين فبقيت الأحوال سائرة بهدوء الى أن ضمت ولاية الشام لأحمد باشا الجزار فبدأ دور الدسائس .

أحمد باشا الجزار

هو بشناقي الأصل علمه أخوه الحلاقة ثم طرده لسوء خلقه فجاء إلى الاستانة واشتغل عند حلاق علي باشا الحكيم فاتصل بعلي باشا المذكور الذي عين والياً على مصر سنة ١١٦٩ هـ وأخذه معه فباع نفسه

---

(١) راجع قصيدة الجزار لجرار في فصل الشعر من باب اللغة في الجزء الثاني اذ يقول له « يوم الغلا صيتك علينا فات » . (٢) راجع وثيقة زعامة اودلة في وثائق الاقطاع في باب الحكومة من الجزء الثاني . (٣) راجع مرسوم التعيين غير المحدود في باب الحكومة فصل المتسلمية من الجزء الثاني .

هناك لصالح بك أحد رؤساء المماليك وأظهر من الحذق والشجاعة ما جعله يتفوق على جميع مماليك صالح بك . ولما عصي عرب الهنادي النازلون في مقاطعة البحيرة سلطه صالح بك عليهم ولكثرة من قتل منهم لُقب بالجزار وظهر أمره فحسده مماليك صالح بك وتآمروا على قتله فشعر بذلك وهرب الى استانبول سنة ١١٨٣ ﻫ ثم خرج الى الأناضول يعيث فيهـا فساداً فحصل على ثروة طائلة بالنهب والسلب ولف حوله عدداً من الاشقياء الذين جاء بهم الى بلاد الشام واتصل بواليها وكان الشهابيون قد أخلوا قلعة بيروت بعد أن ضربها الاسطول الروسي ورابط في الميناء فتعهد بإرجاع الاسطول بواسطة صاحبه ظاهر العمر على شرط أن يقدم له الشهابيون مبلغ عشرين الف ذهبة فأجيب إلى طلبه وأشار ظاهر العمر على الاسطول الروسي بالانسحاب فنزل الجزار في قلعة بيروت ورممها ثم امتنع عن تسليمها للشهابيين وحصل على أمر بولاية الساحل وجمع خلقاً كثيراً من المغاربة والارناؤوط والشركس ؛ وبعد قتل ظاهر العمر نقل مركزه الى عكا[1] وضم إليه ساحل سوريا الجنوبي . وفي سنة ١٢٠٨ ﻫ ضمت اليه إيالة الشام وإمارة الحج وبذلك أصبح جبل نابلس داخلاً في حكمه فبدأت الدسائس والمفاسد .

بين آل النمر والجزار

كان أول ما عمله الجزار أن ولى مملوكه قاسم بك على القدس ولم يجدد لمحمد آغا النمر المتسلمية ولما شعر بذلك ابراهيم آغا النمر متسلم نابلس وحسن آغا النمر مير ألايها أرسلا له كتاباً يظهران به الاخلاص

---

(١) فبني حولها السور وفيها الجامع واستردت مكانتها التي كانت لها في الحروب الصليبية .

والولاء وكان يستعد للذهاب إلى الحجاز مع الركب الشامي فكتب لهما الكتاب الآتي :

قدوة الأماثل والأقران حسن آغا وابراهيم آغا أولاد النمر زيد قدرهم !

بعد السلام التام بمزيد الإكرام نعرفكم أنه قد انعرض لدينا صدق خدامتكم إلى طلب رضانا بارك الله فيكم فالمراد منكم تكونوا مطيبين البال مسرورين الأحوال من جميع وانشاء الله تعالى متى تيسر رجوعنا من طريق الحج الشريف بالسلامة بحق تلاقونا إلى الزرقا[1] وتواجهونا وإن شاء الله الرحمن تشاهدون من لدنا كمال الإنعام والإكرام وما يسر خاطركم ويقر ناظركم من الخير الوافر عرفناكم والسلام .

في ٢٤ ل[2] سنة ١٢٠٨

الحاج أحمد الجزار
والي شام وصيدا

دسائس الجزار

شغل الجزار بعد رجوعه من الحجاز بتنظيم ولاية الشام فاحتكر الحبوب والأقطان وقتل عدداً كبيراً من أرباب الحرف ثم التفت بعد ذلك الى جبل نابلس يوقد فيه الفتن وإذ كان حكامه من أهله فقد رأى تبديلهم تمهيداً لحكمه بمماليكه كما فعل بسائر الألوية . كان البيكات بالمرصاد فعين أحمد بك طوقان متسلماً على نابلس وعين الحاج محمد بك طوقان شيخاً على بني صعب وحاول إغراء الشيخ صالح السليمان شيخ الجرادات بمتسلمية جينين ولما رفض سممه وحينما تحقق آل النمر وآل جرار والجيايسة نوايا الجزار اتفقوا على العصيان فشلوا حركة أحمد بك

(١) هي قلعة في البلقاء كانت تعتبر من منازل أمير الحج . (٢) ل = شوال

طوقان ولم يمكنوه من عمل شيء فتوعدهم الجزار بالخراب والدمار وفي تلك الأثناء زحف نابليون [١] الافرنسي بجيشه من مصر على سوريا فانقلب الجزار يستنجد [٢] بعد أن كان يهدد . وقد اعتذر ليوسف آغا الجزار وانقلب على البيكات إلا أنه حوصر وأعطيت ولاية الشام لعبد الله باشا العظم وجاء الصدر الاعظم بالذات الى دمشق فدخلت المسألة في دور خطير .

الفصل السادس

حرق الافرنسيين ومضايقتهم

زحف نابليون على فلسطين

بعد استيلاء نابليون على مصر ولي الجزار قيادة الجيش وأمر بمهاجمة نابليون في مصر فأرسل أحد مماليكه قاسم بك الى العريش ورابط فيها وفي شوال سنة ١٢١٣ [٣] هـ زحف نابليون بجيشه البالغ عدده خمسة عشر ألفاً الى فلسطين فدحر قاسم بك من العريش وتقدم نحو غزه فسلم اليه محافظوها فأطلقهم على تعهد منهم بعدم الاشتراك ضده في الحرب ولما تقدم نحو يافا ذبح حاميتها بحجة أنهم عاهدوه في غزة وحيث أن اليافيين ذبح عدد من ساداتهم فقد ذعرت البلاد وهاجته .

***

(١) هو كورسيكي ايطالي نشأ في فرنسا وصار احد قواد الجمهورية الأولى فجاء بحملة الى مصر ليعرقل مساعي الانكليز في الشرق فاستولى على الاسكندرية آخر سنة ١٢١٢ هـ واستولى على باقي القطر المصري في اوائل سنة ١٢١٣ هـ وفي منتصف سنة ١٢١٤ زحف على سوريا . (٢) راجع قصيدة الجزار في باب اللغة من الجزء الثاني . (٣) المصادف لآذار سنة ١٧٩٩ م .

استعداد جبل نابلس

جمع ابراهيم آغا النمر شيوخ البلاد عند العطاعطة في رامين ، وحضر الاجتماع صديقه يوسف آغا الجرار ، ومتسلم نابلس أحمد بك طوقان ، فقسموا الجموع كما فعلوا يوم هاجم جبل نابلس عثمان باشا الكرجي ، فأرسلوا ألاي السباهية وجموع المشاريق مع حسن آغا النمر لإنجاد الشيخ يوسف الواكد الجيوسي الذي هاجم الافرنسيين في يافا . وخرج محمد آغا ابن ابراهيم آغا النمر بجموع أخرى ومعه العطاعطة ، وانضم الى عساكر الجزار في وادي قاقون . ورابطت جموع الشمال بقيادة آل جرار في مرج ابن عامر ، وانضم إليهم أحمد بك طوقان وعلي عمر آغا النمر .

الهجوم على الافرنسيين وحرقهم

استنجدت يافا بجبل نابلس ، فخرج الشيخ يوسف الواكد والشيخ محمود أبو عوده الجيوسي بجموع بني صعب وهاجموا الإفرنسيين في يافا فردتهم ميمنة الجيش الإفرنسي ، فانسحبوا الى وادي عزون ، وحاصرتهم هناك خمسة أيام ، ولما أوشكت ذخائرهم أن تنفد ، وصلهم حسن آغا النمر بجموعه ، فانقسم الإفرنسيون الى قسمين : قسم انسحب الى السهل وقسم توارى في أحراش وادي الرشا أول وادي عزون تاركين ذخائرهم ليطمعوا بها العرب فيشغلون بها ويختصمون ويتحاربون كما كان يفعل عرب مصر . إلا أن حسن آغا النمر فطن للمكيدة فأطلق ورجاله النار في العتاد ، فالتهب واحترقت الذخائر فاحترقت معها الأحراش وأحرق من فيها من الافرنسيين ، وقد أحيط بهم ، فقتل النابلسيون من خرج منهم

وسمي جبل نابلس بعد ذلك بجبل النار ولقب ابراهيم آغا النمر بسلطان جبل النار .

قتل البطل والقائد

هجم الافرنسيون بعد ذلك لمساعدة اخوانهم فاشتبكوا بالعرب وقد تضايق العرب من فارس افرنسي أظهر بطولة فائقة ، فلجأ فرسانهم الى مكيدة ، فأركب اثنان منهم رديفاً ، ولما تبعهم البطل الافرنسي رمى الرديفين بأنفسهما الى الأرض ، فصار الافرنسي بينهما وبين الفارسين ، فأطلقوا عليه النار من الأمام والخلف وقتلوه ، وبعد قتله ارتبك الافرنسيون وبعد الغروب وقف القتال .

وشاهد العرب في الليل حركة القائد دوماس أمام النار من نحاسة[1] الخوذة التي على رأسه ، وكان بينهم رجل مدرب على الرماية ، وهو عابد المريحة الشبيطي[2] فصوب بندقيته على رأس القائد وقتله ، فانسحب الإفرنسيون مخذولين بعد أن أُحرق بعضهم وقتل بطلهم وقائدهم ، وكان قائدهم الجنرال نابليون بانتظارهم ، فراعه ما أصابهم . وقد أجاد شاعرنا العبقري المعاصر الأستاذ ابراهيم[3] عبد الفتاح آغا طوقان وصف هـذا الموقف بقوله :

سائل بها عزون كيف تخضبت ... بدم الفرنجة قرب بطن الوادي
دعت الرجال فلم تكد حتى مشت ... هممٌ الى الهيجاء كالأطواد
ثم التقوا تحت السيوف وبينهم ... كأس الحتوف تقول هل من صادي

---

(١) كان في أعلى الخوذة الافرنسية أنبوبة كالاصبع تلمع أمام النار . (٢) انقسمت عشيرة شبيطة الى معدى وصريحة . (٣) هو من ذرية أحمد آغا طوقان المار الذكر وأحد الأدباء المعروفين في عصرنا ، وهذه الأبيات من قصيدة قالها في نادي آل عبد الهادي .

كسروا من النسر الكبير جناحه ذي التاج والأعلام والأجناد
تركوه يجمع في الشعاب فلوله ويصب لعنته على القواد

كمين قاقون

سار حسن آغا النمر بمن معه ورابط في وادي الشعير ينتظر استدراج الفرنسيس إليه ، وكانت فصيلة من عساكر الجزار ترابط في وادي قاقون ، ولما وصل الجيش الافرنسي انسحبوا وبقي النابلسيون بقيادة محمد آغا النمر ومعه الصملة والعطاعطة ، ولما دخل الإفرنسيون الوادي بقيادة نابليون فاجأهم الكمين النابلسي واضطروهم على التقهقر الى خارج الوادي لانتظار الميمنة والسير بكامل الجيش ، فانسحب الكمين الى وادي الشعير مستدرجاً الافرنسيين الى الوادي ليخلص من المدافع ؛ إلا أن نابليون فطن للأمر وأمر فصيلة من جيشه بالصعود على التلال للمحافظة على ساقة الجيش ومؤخرته ، وبذلك تمكن هو وجيشه من السير الى الشمال . ويقول نابليون إنه كسر عساكر الجزار في وادي قاقون ، ولكنه لا ينكر أن الكمين اضطره الى الانسحاب وانتظار ميمنة جيشه ، وأن الكمين حاول استدراجه الى الوادي الشرقي ، فتجنب اللحاق بهم واكتفى بمناوشتهم عن التلال . ومثل هذا الاعتراف كافٍ من قائدٍ كبير متعجرف كنابليون .

واقعة المرج

قسم نابليون جيشه الى ثلاث فرق : فقاد الأولى بنفسه نحو الشمال واستولى على حيفا سلماً ورابط فيها ؛ وسار القائد كليبر بالفرقة الثانية ورابط في مرج ابن عامر ليحول دون اتصال نابلس بعكا ؛ وسار القائد منو بالفرقة الثالثة فاستلم صفد والناصرة بمساعدة شيوخها الزيادنة

الحاقدين على الدولة العثمانية[١] لقتلها كبيرهم ظاهر العمر وأولاده المار ذكرهم.

أما عساكر الجزار الذين كانوا مرابطين في وادي قانون ، فقد دخلوا جبل نابلس وانضموا لجموعه وجموع جبل عجلون والبلقاء وخرجوا جميعاً عن طريق جينين الى مرج ابن عامر ليباغتوا الجيش الافرنسي من الخلف فوجدوا القائد كليبر مرابطاً في المرج ، فأحاطوا به من جميع الجهات ، فقسم فرقته الى أربعة أقسام كل قسمٍ اتجه نحو جهة ووقف هو في الوسط ، وكان من أبسل القواد ، وعساكره مدربون أحسن تدريب ، فظلوا مرابطين في أماكنهم والعرب تهاجمهم من كل صوب ولما شاهدهم العساكر الموجودون في الناصرة أرسلوا خبراً لقائدهم الكبير في حيفا وأكدوا له حراجة موقف كليبر في المرج وحوله جموع من العرب والمماليك[٢] وعساكر الجزار الذين بلغ عددهم نحو ثلاثين ألفاً .

فأسرع نابليون بالمجيء ونصب مدافعه فوق المرج ، وأخذ يطلقها على الجموع المحيطة بفرقة كليبر ، فتشردت الى جينين ، ثم نزل الى المرج وتبع اثرهم وأحرق جينين والقرى المجاورة لها أملاً برجوع العرب وعساكر الجزار لمقاومته أو إعلانهم التسليم ، فلم يفز بهذا ولا ذاك ، فعاد الى الناصرة ثم حيفا محطم الآمال ، ثم تقدم نحو عكا . وكان قواد العرب : يوسف آغا الجرار ، وابراهيم آغا النمر ، وولده محمد آغا وابنا عمه حسن آغا ، وعلي آغا ، وأحمد بك طوقان ، والشيخ رباح الشريدة شيخ جبل عجلون .

---

(١) وقد أخطئوا بذلك لأن جدهم قتل بتماديه بالعصيان والتمرد ، وقد تسرعوا وخسروا ، لأن الجزار انتقم منهم بعد ذلك وجردهم من أقطاعهم نضعنوا . (٢) كان إبراهيم بك الكبير قد هرب بمماليكه الى بلاد الشام بعد أن غلب واندحر أمام عساكر نابليون ، وقد انسحب مراد بك الكبير الأمير الثاني الى بلاد الصعيد .

انجاد الجزار

بعد واقعة المرج ذهبت فصيلة من أبطال جبل نابلس من العطاعطة والصملة وفدائية آل النمر بقيادة محمد آغا النمر وابن عمه علي عمر آغا النمر ليلاً لإنجاد الجزار ، ولما وصلوا جهة عكا لبدوا[1] حوافر الخيل ، واجتازوا نطاق الإفرنسيين ووصلوا القلعة ، ففتح لهم الحراس ودخلوها جميعاً إلا محمد آغا الذي آلى أن لا يدخلها إلا بعد أن يدور حول السور الخارجي ليرى ما أصابه من مدافع الإفرنسيين ، وكان الفجر قد انبثق فشعر به الإفرنسيون ، فأصلوه وابلاً من نيران مدافعهم وبنادقهم ، فقتل عبداه وحصانه ونجا بنفسه متسلقاً السور على الحبال التي أنجده بها الحراس ، فصعد تحت نيران مدافع وبنادق الجيش الإفرنسي ، واستقبل بالتهليل والتكبير ، فكانت هذه المجازفة مما أدهش الإفرنسيين وأثار إعجاب الجزار الذي ولاه امارة سلاح الولاية بعد انسحاب الافرنسيين واندحارهم الى مصر[2] ، وولى ابن عمه علي آغا متسلماً على القدس ، ولم يعد يفكر بمقاومة جبل نابلس .

أول انكسارات القائد العظيم

إن كبرياء نابليون وعدم كتابته عما أصاب ميمنة جيشه في وادي عزون ، وعدم كتابة تاريخ جبل نابلس ، طمس الحقيقة وأضاع جهود النابلسيين ، فعد فشله باقتحام قلعة عكا أول مغلوبياته . والحقيقة ان

---

(١) لبدوا الخيل أي ألبسوا حوافرها لباداً لئلا يسمع وقعها على الأرض . (٢) لم يطل نابليون حصار عكا حيث فقد المؤن وتفشى في جيشه الطاعون ، ووصلته عن فرنسا أخبار مزعجة ، فعاد الى مصر وخرج منها سراً الى فرنسا تاركاً جيشه لقواده ، وفي آخر سنة ١٢١٥ خرج جيشه من مصر بشروط مشرفة .

معنوياته كسرت حول جبل نابلس في وادي عزون (الرشا) وفي وادي قاقون والمرج ، فقد أحرقت فصيلة من ميمنة جيشه في وادي عزون ، وقتل قائدها وبطلها واضطر نابليون نفسه على التقهقر بعد سيره في وادي قاقون واضطر على المجيء من حيفا لانجاد فرقة كليبر في المرج ولم ير من النابلسين اقل خضوع ولولا حنقهم على الجزار لما مكنوه من الاستقرار وقد اتجه نحو عكا خائر العزيمة فاقد الأمل . لانه كان يأمل ان يستسلم جبل القدس وجبل نابلس اليه كما استلمت الناصرة وصفد فلما خابر القدس رفضت الإذعان ، ولاقى من النابلسيين كل ما يغيظه ، ولو اقتحم عكا للاقى في كل وادٍ من أودية جبل نابلس أضعاف ما لاقى في فتح عكا ولما تمكن من الوصول الى نابلس ، ولقد كان الفشل الذي مني به حول جبل نابلس دليلاً كبيراً على استعداد البلاد للمقاومة بدلاً من التسليم ، وأنه لا محالة سيفقد بين جبالها أضعاف أضعاف ما فقد في سهول مصر وساحل فلسطين ، ولا شك أن هذه الحقيقة تجلت أمام نابغة الافرنسيين فصدعت آماله وأضعفت هوسه فوقف تحت أسوار عكا وقلبه يخبره أن القلعة الحقيقية هي جبل نابلس الذي إن أمدته الدولة بالعتاد والمدافع وداهمه خسره كل شيء .

وهنالك نقطة أخرى تسجل الظفر لنابلس والمغلوبية على نابليون حولها وهو أن جبل نابلس دافع وقاوم دون مساعدة حقيقية من الخارج أما عكا فقد ساعدها الأسطول الانكليزي من البحر مساعدة فعلية ، وكان الافرنسيون مدربين على أحدث الأصول الحربية وسلاحهم أحدث سلاح ، ومعهم المدافع التي لا يعرف العرب حربها ، فقد قال الشيخ رباح الشريدة أحد شيوخ جبل عجلون عن حربها « أنا ما أخوض

جهنم بعصا » أما النابلسيون فقد كان سلاحهم قديماً ، وكان الواحد منهم يحمل قرعة فيها البارود ، ويلف على وسطه حبلين من الرصاص ويحمل كيسا من الخرق البالية ، فيعبئ البندقية بالبارود والرصاص والخرق ، ويقدح الزناد لتشتعل ويطلقها بعد كل هذه الصعوبة ثم يهجمون بالسلاح الأبيض فيصابون بخسارة كبيرة لا سيما اذا كان العدو مستحكماً ولديه مدافع وأسلحة حديثة . وكان النابلسيون يسيرون بلا نظام ، ومع ذلك فلو أنهم كانوا راضين على الجزار والدولة وقبلوا إمدادهـا وخرجوا ، لاستردوا الناصرة وصفد ، وضايقوا الجيش الافرنسي ؛ إلا أنهم كانوا حاقدين على الدولة لتمسكهـا بالبيكات الذين عينوا بدون رضى جبل نابلس ، فاكتفوا بالدفاع عن جبلهم ولم يهاجموا ، ثم دخلوا في دور تمرد خطير هو أقصى ما بلغه جبل نابلس من الإباء والشمم مع التعقل والدهاء كما سيظهر من الفصل الآتي ، وهو أهم فصول هذا الكتاب .

الفصل السابع

تمرد جبل النار

تصميم جبل نابلس على مقاومة البيكات

اتصل البيكات بأحمد باشا الجزار ، فولي أحمد بك طوقان متسلماً على نابلس ، وأسعد بك بن مصطفى باشا طوقان شيخاً على بني صعب ، وقد سم الشيخ صالح السليمان ، فاجتمع ابراهيم آغا النمر ويوسف آغا الجرار والشيخ محمود أبو عودة الجيوسي ، واتفقوا على مقاومة البيكات مهما كلفهم الأمر ، وأخذوا عهداً على جميع شيوخ نابلس بالثبات على

المقاومة حتى النهاية ، فبدأت المقاومة حوالي سنة ١٢١١ ه واشتدت سنة ١٢١٣ ه ، فزمجر الجزار وأرعد ، ثم جاء الافرنسيون ودحروا قاسم بك في العريش ، فانقلب الجزار يستنجد ويعتذر بقصيدة[1] تثير الجبان ، أرسلها للشيخ يوسف الجرار ، ثم عزل أحمد بك وأسعد بك من قبل الصدر أعظم الذي نزل دمشق ، ثم فصلت عن الجزار ولاية الشام ، وتولاها عبد الله باشا العظم المرتشي .

تعيين خليل بك وبعض الشيوخ

لما بلغ أحمد بك العزل وعلم بفصل ولاية الشام عن الجزار ومجيء الصدر أعظم أخفى خبر العزل ، وأرسل ابن أخيه خليل بك ابن علي بك طوقان بالهدايا والرشوة لعبد الله باشا العظم ، وطلب تعيينه مكان عمه ، وأفهمه ضرورة تأييده بالتعيين من طرف السلطان والصدر أعظم ليقضي على محاولات أمراء وشيوخ جبل نابلس الذين أكثرهم أقاربه[2] فحصل على ذلك كما سيظهر من المرسومات الآتية . ثم حصل على أمر آخر بتعيين الحاج محمد بك ابن مصطفى باشا طوقان شيخاً على بني صعب ، ونظراً لتصميم شيوخ البلاد على المقاومة فقد سعى البيكات للحصول على أوامر بتعيين شيوخ جديدين ، فعين الشيخ عيسى البرقاوي شيخاً على وادي الشعير بدلاً من شيوخه المطاعطة وعين الشيخ مصطفى العديلي شيخاً على المشاريق بدلاً من آل الحاج محمد أصهار[3] آل النمر ، فاشتد النزاع والتمرد أضعاف ما كان ، فصارت

---

(١) راجع قصيدة الجزار في الجزء الثاني . (٢) يقول السلطان في مرسوم لخليل بك « ومعاذ الله ان صدر منكم ادنى درجة تهاون واغماض وتكاسل او مراعاة خاطر لقرايب منكم او متعلق بكم » والمقصود بهذا ال النمر اصهار ال طوقان الذي احتج خليل بك بهم عن عجز عمه عن تنفيذ الاوامر بالقوة معهم . (٣) تزوج حسن آغا النمر بنت الشيخ سعادة الحاج محمد وبعد موت هذا نقلت المشيخة لآل أحمد في بيت فوريك .

المرسومات تصدر وملوءها التهديد والوعيد ، كما يظهر من المرسوم الآتي :

مرسوم [١] تعيين خليل بك طوقان

افتخار الأماجد والأكارم خليل بك طوقان زاده [٢] متسلم سنجاق [٣] نابلوس [٤] زيد مجده .

بعد التحية والتسليم المنهى إليكم ان الدولة العلية صانها رب البرية لم تزل دائماً تحسن لمن يكون صادق بخدمة الدين والدولة وسالك سنن الطاعة ومنقاد في ربقة الطاعة فيستحق الإحسان واللطف والامتنان وان عمك أحمد بك المتسلم السابق تهاون وتكاسل وما رعى حق نعمة الدولة العلية فعزل عن المتسلمية وقد نصبتك الدولة بموجب فرمان سلطاني شريف وحكم خاقاني منيف بأنك تكون متسلم على سنجق نابلس فبناء على الأمر السلطاني أصدرنا لك مرسومنا هذا فحال وصول الامر السلطاني اليك تتلقاه بالقبول والتعظيم وحسن الأدب والتجليل وتباشر متسلمية نابلوس وتوءدي خدمة الدولة العلية الذي مطلوبة كما ينبغي والذي يخالفك ان كان من نفس المدينة تطلع من حقه وتجازيه بالجزا الشديد وان كان من النواحي والمقاطعات كذلك تعاقبه بأشد العقوبات والذي يلزم ترتيب جزاه ترتبه . والذي يطيع الله ورسوله وأولي الأمر تحسن اليه وتكرمه وتعرفنا عن الذي خارج عن ربقة الطاعة باسمه ورسمه وتمنعه من الدخول الى مدينة نابلوس عموماً وتعرف أهالي نابلوس عموماً أن كل من اشترى منهم وباع عليهم وأنزلهم عنده ترسم عليه وتضبط الذي معه وتعرفنا عنه

(١) المرسومات المذكورة في هذا الفصل مسجلة في سجلات مجلس الشرع الشريف بنابلس . (٢) زاده اي ابن . (٣) السنجق أي اللواء . (٤) نابلس كانت تكتب نابلوس في المكاتبات التركية .

وتحصل رضا الدولة العلية فيما يقتضي ويلزم وإن بدى منك أدنى تهاون أو تكاسل فيما يقتضي ويلزم من الخدمة للدولة العلية يصير ويجري عليك كما هو على سلفك اعلمه واعتمده غاية الاعتماد في العشر من رجب الفرد سنة ١٢١٤ هـ .

الحاج يوسف

الوزير الاعظم

استمرار العصيان والتمرد

حينما بلغ امراء وشيوخ جبل نابلس هذا الأسلوب الذي لجأ إليه البيكات من إيصال المسألة إلى السلطان والصدر الأعظم ثم تبديل الشيوخ والحصول على الأوامر الشديدة امتلأوا غيظاً وازدادوا عصيانا وتمرداً فأرسل الصدر الأعظم فرقة من جيشه لإخضاع نابلس فأنفق عليها المتسلم خليل بك خمسة وعشرين[1] الف وثمانماية قرش دون أن يخضع له أحد ثم خشي الثورة فطلب من الصدر الأعظم سحب العساكر آملاً التفاهم بعد ذلك مع امراء وشيوخ البلاد فسحبهم على شرط دفع ما أنفق عليهم كما يظهر من المرسوم الآتي :

مرسوم تهديد ووعيد جديد من الصدر الأعظم

قدوة النواب المتشرعين[2] نايب أفندي بمدينة نابلوس زيد فضله وعمدة الفقها مأذون بالافتا أفندي زيد علمه وفخر الأشراف نقيب أفندي زيد سيادته ومفاخر الأماثل ألاي بيك وساير الأعيان والتجار ووجوه البلدة زيد قدرهم .

---

(١) صارت الذهبة في ذلك الوقت خمسة قروش فيكون هذا المبلغ خمسة آلاف ومابة وستين ذهبة — راجع بحث العملة في الجزء الثاني . (٢) كانت العادة ذكر الرتبة واهمال الاسم لهؤلاء سوى المتسلم لانه هو الذي يعرف اسمه أما باقي رؤساء الحكومة فمراجعهم مختلفة كما يظهر في باب الحكومة من الجزء الثاني .

بعد السلام التام المنهى إليكم انه غير خافيكم أن الأوردي الهمايوني المبارك جا إلى هذه البلاد لأجل الغزاة والجهاد في سبيل رب العباد وتطهيرها من لوث أهل الشرك والعناد والأوردي قد صار له في هذه الأطراف والنواحي مقدار سنة وأكثر وأنتم واجب على ذمتكم وعلى كل موءمن بالله تعالى الإعانة الى المجاهدين لا سيما بلادكم قريبة من أعدا الدين وفي السابق[1] رأيتم كيف فعلوا أهل الشرك في هذه البلاد من الفضيحة والفساد فالواجب عليكم أنكم لما شاهدتم حلول الأوردي[2] في هذه البوادي المارعة والاعانة لأجل الجهاد وقمع أهل الكفر والعناد كما هو فرض عليكم بحسب قربكم لأن العساكر الذي عمال يأتي إلى الأوردي من مسافة أربعة أشهر وأكثر براً وبحراً وكل هذا غير خافيكم وماظهر منكم غير اسلامية ولا حمية دينية فمن عدم غيرتكم اقتضى طلب عسكر بواردية بالعطية ومبايعة بالدراهم وجمال بالاجرة فما اديتم من المطلوب جزءاً واحداً ولا صغت عقولكم ولا سمعت آذانكم إلى الأوامر السلطانية فبحسب إغماضكم ومخالفتكم الى أمر أولي الامر عينا عليكم جانب من العساكر والمجاهدين لأجل نظام أحوالكم الفاسدة وتصفية أفهامكم الجامدة والطلوع من حقكم بما سلف من حمقكم ولكن قد ترامى على أعتاب الدولة محسوبنا وجبراغنا قدوة الأماجد والأعيان طوقان زاده خليل بك المتسلم فبحسب المومى اليه أنه جراغنا وخادمنا قبلنا رجاه ولكن المومى إليه صرف على العساكر وهي عندكم

---

(١) يشير الى الحروب الصليبية (٢) الاوردي باللغة التركية معناه الجيش.

في مدينة نابلوس خمسة وعشرين الف وثمانماية قرش عن ذخيرة وشعير فبناء على ذلك أصدرنا لكم مرسومنا هذا المطاع الواجب الامتثال والاتباع عموماً تحيطون علماً أنه حال وصول المرسوم اليكم تفرضوا المبلغ المرقوم على أهل المدينة من غير نقصان ولا تحملوا أحد غير طاقته وتجمعوا المبلغ المرقوم خلال ثلاثة أيام وكل من خالفه أو تعذر نهى لطرفنا عنه نايب [1] الشرع بإعلام . وإن صدر منكم أدنى تهاون أو تردد في دفع المبلغ إلى المتسلم المومى إليه يقتضي رجوع العساكر الوافر عليكم وتندموا غاية الندم والحذر من الخلاف تحريراً في الحادي عشر من ربيع الأول سنة خمس عشر ومايتين والف .

الحاج يوسف

الوزير الأعظم

رد الامر للسلطان والتملص من التكاليف

كان الحاكم الشرعي إذ ذاك الشيخ موسى ابن الشيخ محمد التميمي خصماً لدوداً [2] للبيكات كأبيه وكان يسند امراء وشيوخ جبل نابلس عن مقاومة البيكات ولما مضت الأيام الثلاثة التي ضربها الوزير الاعظم لنابلس دون دفع شيء من المال فرض على جبل نابلس ثلاثة آلاف جندي نصفها من المدينة ونصفها من القرى فتوسط خليل بك المتسلم لإنزالها إلى ألفين فقبل الصدر [3] الاعظم ولكن القاضي الشيخ موسى التميمي وابراهيم آغا النمر ويوسف آغا الجرار والشيخ محمود العوده

---

(١) اي القاضي وكان يعرف بالحاكم الشرعي ايضاً ويسمى نائب الخليفة او المولى خلافة راجع فصل مجلس الشرع الشريف في باب الحكومة. (٢) راجع البحث اجلاء آل سلطان في الباب السابق . (٣) هو رئيس الوزارة كان يلقب بالوزير الاعظم وبالصدر الاعظم .

رأوا ضرورة إضاعة الوقت حتى يذهب الجيش فاتفقوا على طلب التخفيف من السلطان فأحرجوا الوزير الاعظم وبعد مضي وقت كبير ورد الامر السلطاني بقبول الف جندي بدلاً من الفين ولما طلب الوزير الاعظم انضمام الألف جندي للجيش اعتذروا بعدم إمكان تقديم رجال وأظهروا استعدادهم لتقديم أموال بدلاً من الرجال وطلبوا ذلك من السلطان فأحرجوا موقف الوزير الاعظم مرة اخرى ولما كان الجيش على وشك الزحف الى مصر وصل أمر السلطان بقبولماية وعشرة آلاف قرشاً عوضاً عن الالف جندي والمرسوم مملوء بالشكوى والتهديد وهو الآتي :

شكوى السلطان(١) وتهديده

صدر الفرمان العالي السلطاني وأمرنا الجليل الخاقاني الى افتخار الأماجد والأكارم حاوي المحامد والمكارم قبوجي باشي(٢) باب المعلام متسلم سنجق نابلس طوقان زاده خليل بك زيد قدره وقدوة النواب المتشرعين نايب مدينة نابلس وجينين زيد علمها ومفاخر المشايخ متسلم جينين يوسف ابن جرار ومشايخ نواحي نابلوس وجينين عموماً زيد مجدهم وقدوة الأماثل والأقران المباشر المعين بهذا الخصوص زيد قدره بعد وصول توقيعي الرفيع الهمايوني الحكمي تحيطون علماً أنه لا يخفى أحد من أهل بلاد الإسلام عداوة أهل الكفر الفجار الطغاة اللئام طايفة الفرنسيس المشركين أعداء الدين وما فعلوا من الافعال القبيحة في حق أهل الكنانة من الذل والفضيحة . والآن قد بلغ مسامع سلطتنا العلية انه في هذه الايام قد اشتدت اذيتهم لأهل الاسلام وعداوتهم الكامنة

(١) هو السلطان سليم الثالث العثماني كان شديد العزة ويقال انه جاء الى سوريا في ذلك العهد لان تاريخ المرسومين غير بعيد . والراجح انه نزل في دمشق وحلب ليكون قريباً

(٢) هو من الرتب التشريفية .

في قلوبهم الخبيثة لأهل الايمان فلزم قيام وزيرنا الاعظم وسر دارنا الافخم الحاج يوسف ضيا باشا يسر الله له من الفتوحات، ما يروم ويشا بالأوردي وساير عساكرنا المنصورة إلى تخليص أهل الاسلام وأخذ الثار والانتقام من أعدا الدين اللئام وتطهير البلاد وتأمين العباد وقد تقدم إصدار فرمان جليل الشان من دولتنا العلية بطلب الفين نفر من سنجاق نابلوس وجينين ينضم الى عساكرنا المنصورة وتذهب بمعية الأوردي الهمايوني الى الغزا والجهاد في سبيل رب العباد ثم وقعتم عرض واعتذر ثم أن الفين نفر اخراجها متعسر بسبب الزراعة والحراثة وسالتموا العفو عن الف نفر وانكم تخرجوا الف نفر فرحمة لسؤلكم عفونا عن الف نفر والى الآن ما حضر من الالف نفر واحد والحالة هذه من مدة كم يوم قيام الأوردي الهمايوني كما هو مشروح بيانه فبسبب قيام الأوردي سريعاً وبدلاً عن الألف المطلوبة للسفر تدفعواماية الف قرش وعشرة آلاف الى خزينة الاوردي الهمايوني لأجل تدارك الف عسكري غيرهم فالمطلوب من بعد وصول أمرنا العالي إلى الثامن الشهر المبارك شهر شوال توردوا مقدار أربعين الف من المبلغ سالف الذكر وتكميل المبلغ الى نصف شوال يكونوا أكملتم الماية الف والعشرة آلاف وقد تعلقت ارادتنا العلية السلطانية باتمام المبلغ المطلوب تماماً وكمالاً الى نصف شوال وقد تقدم إصدار الفرمان العالي من دولتنا العلية فبناء على ذلك أصدرنا لكم مرسومنا الجليل السلطاني وأمرنا المنيف الخاقاني حاوي الاستعجال والتأكيد فحال وصوله ووقوفكم على منطوقه ومفهومه تبادروا بإرسال أربعين الف قرش يوم الثامن من هذا الشهر وبقية المبلغ تكميله الى النصف الشهر المزبور وتشمروا السواعد والاقدام مع غاية الذمة

والاهتمام والسعي والجهد التام بتحصيل المبلغ وايصاله وتوريده كما هو مشروح ومفصل ومعاذ الله إن صدر منكم أدنى تهاون وإغماض وتكاسل أو مراعاة خاطر لقرايب منكم ،أو متعلق بكم تحققوا العاقبة الوخيمة في حقكم والجزا المهول وخدمتكم وصداقتكم تذهب هباءً منثوراً فالمطلوب منكم إبراز الغيرة والحمية والصداقة الملحوظة بكم وإرسال المبلغ سريعاً كما هو مشروح مفصل بيانه اعلموا واعتمدوا غاية الاعتماد والحذر من الخلاف تحريراً في غرةب[1] سنة خمس عشر ومايتين والف ٠

حرق ونهب الذخائر وسفر خليل بك



سجن الجبايسة في كور

قدّم خليل بك طوقان للجيش دقيقاً وتبناً وحطباً بالمبلغ المطلوب أو بعضه استقرضها من شيوخ النواحي والأغنياء الموالين إليه أملاً تحصيل المبلغ من أهالي البلاد الذين أظهروا الاستعداد لتقديمه ولكنهم ما لبثوا أن أنكروا ذلك ورفضوا دفع شيء من المال وأتهموا خليل بك المذكور بقبض أثمان الذخائر والأرزاق من الوزير الأعظم قبل زحفه الى مصر ٠ ولم يقفوا عند هذا الحد بل أحرقوا ونهبوا الذخائر التي وضعها الصدر الاعظم لامداد الجيش في خان جلجولية وقلنسوة وعين الاساور وعهد للحاج محمد بك طوقان والشيخ عيسى البرقاوي بالمحافظة عليها وزادوا على ذلك أن اتهموا المحافظين عليها ببيعها وتبديدها فتحرج موقف البيكات الى حد عظيم ٠ وكان الصدر الاعظم

(١) أي في اول رجب ٠

قد دخل مصر واستقر فيها ينظم أحوالها في سنة ١٢١٦ ﻫ فسافر خليل بك الى مصر يخبر الوزير الاعظم المذكور بذلك تاركاً متسلمية نابلس لأخيه موسى بك طوقان الشاب الجسور الذي مثل دور الانتقام الفظيع وأشعل في نابلس حروباً وثورات دامت عشرين سنة ٠٠

موت سلطان جبل النار

في هذه الأثناء وحوالي سنة ١٢١٧ مات ابراهيم آغا النمر الملقب بسلطان جبل النار وقطب رحى التمرد والعصيان بعد أن قضى ثلاثين سنة بالتمرد والعصيان فبدأ امارته في مقاومة ظاهر العمر ثم انقلب على مصطفى باشا طوقان وأحرجه باتفاقه مع ظاهر العمر ثم رد عثمان باشا الكرجي والأمير يوسف الشهابي بعد أن ضايقت جروده الجيش المصري ٠ ونجا برجوع صديقه محمد باشا العظم ٠ وقد تولى حكم نابلس بعد فصل صديقه سلطان البر يوسف آغا الجرار وأضاع مساعي البيكات سدى ، ثم اصطدم بالجزار وجر جبل نابلس جميعه الى العصيان وكان شيخا حينما جمع شيوخ جبل نابلس في راسين وأرسلها تحرق ميمنة الجيش الافرنسي في عزون وتشترك في كمين قاقون وترابط في المرج وقد انجد خصمه الجزار بولده محمد آغا ثم عاد لنابلس يدير حركة التمرد والعصيان ضد البيكات والدولة فنجح نجاحاً كبيراً ورغم ما صدر من الاوامر وما أظهر الوزير الاعظم من الشدة فانه لم يكترث بل ظل رابضاً غير هياب فعطل ارادة السلطان بالذات وبرهن على أن ارادته هي النافذة وانه سلطان جبل نابلس الحقيقي وقد كان ابراهيم آغا أميراً صوفياً للشعب فيه عقيدة راسخة لا سيما بعد أن أغاثه الله في صانور ٠ فكلمة منه جمعت الجرود وهاجمت جيش الفرنسيس واخرى جرت جبل نابلس جميعه للعصيان على السلطان العثماني رغم وجود جيشه في البلاد

وقد أحرج كل من قاومه فأحرج مصطفى باشا طوقان وولديه أسعد بك والحاج محمد بك وأخيه أحمد بك وابن أخيهما خليل[1] بك الذي ذهب إلى مصر يشكو الامر للوزير الأعظم بعد أن ترك المتسلمية وسئم منها فأمد الوزير الأعظم أخاه موسى بك بثلاث فرق ضم اليها البيكات فرقة من المماليك فبلغ جند الدولة المكلف بتنفيذ أوامرهم خمسة آلاف جندي من أبسل جنود العالم في ذلك العهد . إلا أنهم قبل أن يصلوا البلاد مات سلطانها الكبير ابراهيم آغا النمر بعد أن كتب لنفسه واسرته وجبل نابلس صحفاً بمداد المجد والفخار .



(١) لم أعلم عن مصير خليل بك شيئاً وهل عاد من مصر أم بقي فيها .

الباب الخامس

عصر موسى بك

الفصل الأول

البيكات بين النقمة والانتقام

تحرج موقف البيكات

نهبت الذخائر وأُحرقت فأصبح البيكات بحاجة إلى إقناع الدولة بأن هذا كان مكيدة وبأنهم لم يقصروا . وأصبح أصحابها يطالبونهم بأثمانها وهم بحاجة إلى اقناعهم بعدم استيفاء أثمانها فانقضت سنتا ست عشرة وسبع عشرة بين رد نقمة الدولة وأصحاب الذخائر والتبرؤ من تهمة العجز والخيانة وبين ثورة الانتقام من الذين أحرجوا موقفهم إلى هذا الحد .

وكان الواجب على البيكات التفاهم مع أصهارهم[1] آل النمر رأس المؤامرة وترك متسلمية نابلس لهم والاكتفاء بمشيخة بني صعب والاكتفاء بالانتقام من الجيايسة لحرق الذخائر وأن يعملوا جهدهم لإيجاد أنصار لهم في البلاد فإن تعاونهم مع البرقاوي الجالي عن بلده ومع العديلي الذي أنقذه آل الحاج محمد والمشاريق كلها من سلطة شيوخ جماعين قد زاد البلاد غيظاً على غيظ . وبالرغم عن حراجة الموقف فانهم لم يفكروا بشيء سياسي بل صمموا على سياسة القمع الكلي والانتقام العام معتمدين على قوى حكومية محضة .

---

(١) كان حسن آغا النمر متزوجاً بنت خضر طوقان وأخوه علي آغا متزوجاً من آل رحال طوقان وأخوه عبد اللطيف اغا متزوجاً بنت الخواجه عثمان عبد الرزاق طوقان .

امداد الدولة للبيكات

أمدت الدولة البيكات بثلاث فرق عسكرية كل واحدة منها الف وخمسماية جندي . واحدة منها كردية بقيادة شمدين آغا وأخرى من المغاربة والثالثة من الآرناؤوط . وقد جمع البيكات نحو خمسماية من المماليك اللاجئين لجبل نابلس بعد واقعة المرج فبلغ عدد عساكرهم خمسة آلاف جندي تولى قيادتها موسى بك وابن عمه الحاج محمد بك وابنه أسعد بك وأخوه رضوان بك وأبناء محمد[1] السعيد طوقان . وهؤلاء العساكر هم من أبسل عساكر الدنيا . وقد أمدت الدولة البيكات أيضاً بالأموال والأوامر السديدة لقمع العصيان والقضاء على التآمر ووعدتهم بالامداد المستمر إلا أن أحوال الدولة[2] المضطربة شغلتها فطال الأمر على البيكات وأبادت البلاد جميع العساكر وقد أتى أميرهم موسى بك طوقان من الشذوذ ما قلب السلطان ووزراءه وولاته جميعاً على البيكات وقد تركتهم سائر فروع آل طوقان في أحرج المواقف كما سيتبين . وقد قضى موسى بك كل عمره القصير في أنكد وأشق حال يحاول إخضاع جبل نابلس الجبار :

كناطح صخرة يوماً ليوهنها ولم يضرها وأوهى قرنه الوعل

* * *

---

(١) وهم عبدالله واسعد وفرهود (٢) شغلت الدولة باصلاح الجيش وإخماد ثورة البلقان ورد غارة النجديين (الوهابيين) عن سوريا واسترجاع الحجاز وقد مات الجزار وعادت سوريا الى الاضطراب والتقلقل .

الفصل الثاني

البيكات والجيايسة

النزاع على مشيخة بني صعب

على أثر الفتنة التي وقعت بين الجيايسة في أواسط القرن الثاني عشر عين مصطفى بك طوقان شيخاً على بني صعب وبذلك أصبح للبيكات حق بمشيخة بني صعب فكان هذا الحق سبباً في نزاع طويل دام باقي عهد الاقطاع بين البيكات والجيايسة وبعد رجوع البيكات ببضع سنين حصلوا عليها ثم نزعت منهم واستردها الجيايسة ولما ضم جبل نابلس للجزار عين أسعد بك شيخاً على بني صعب ثم عين الحاج محمد بك فاشترك الجيايسة بالتآمر ضدهم وأحرقوا الذخائر ودخل الامر بينهم في دور خطير.

اضطهاد الجيايسة

أقنع البيكات الدولة بأن الجيايسة هم الذين أحرقوا ذخائر الجيش ونهبوها فسخطت عليهم وجردتهم من اقطاعهم وحرمتهم سكن جميع قرى بني صعب إلا ثلاث قرى وهي كور وارتاح وقلنسوة. وأمدت البيكات بالعساكر وفوضتهم تجريد الجيايسة من أقطاعهم وتغريمهم أثمان الذخائر فعد البيكات هذه الفرصة كافية للقضاء على الجيايسة فتوجهوا بعساكرهم يعاملونهم بمنتهى القسوة.

***

الثورة في المغاريب [1]

لم تصبر عشائر بني صعب على اضطهاد شيوخهم الجيايسة فثارت من أجلهم وأنجدتها عشائر الشعراوية [2] وجماعين الغربية وجورة عمرة وطاردوا العساكر في كل مكان فخرج موسى بك بعساكر نابلس يخمد الثورة بمنتهى القسوة فشاع أنه وجد بضعة عشر ثائراً في بئر في قاقون فرمى عليهم قش السمسم وأحرقهم فاشتدت الثورة واستنجدت المغاريب بعشائر جبل نابلس فأنجدتها من كل صوب فطردت العساكر واضطر البيكات على الانسحاب الى نابلس ووادي الشعير .

عزل البيكات وخسارتهم

في سنة ١٢١٨ هـ مات أحمد باشا الجزار والي ايالتي الشام وصيدا وعين مكانه محمد باشا أبو المرق ابن والي حلب ولأن الجزار مات بلا عقب فقد أمر محمد باشا بضبط تركة الجزار لإدخالها في خزينة الدولة . وكان موسى بك قد حول بأثمان الذخائر على الجزار فلما مات صدرت الأوامر بتحويله على التركة ليأخذ منها وكان أبو المرق يطمح بتركة الجزار فأحب أن يتخلص من حوالة موسى بك فماطله وسوفه إلى أن أتم ضبط التركة .

وفي هذه الأثناء وصل الميرالاي حسن آغا النمر والحاج أحمد آغا الجرار يحملان عرائض جبل نابلس ضد البيكات فاغتنم محمد باشا هذه

---

(١) القسم الغربي من جبل نابلس يسمى بالمغاريب وهو يشمل الشعراوية الغربية وبني صعب وقسم من جماعين الغربية والسهول الرملية الساحلية المعروفة بسهل شاروون

(٢) الشعراوية الغربية هي الجزء الشمالي الغربي من جبل نابلس وشيوخها المناطشة ثم نافسهم الصورة في دير الغصون — راجع نواحي جبل نابلس في الجزء الثاني في باب الحكومة .

الفرصة وعزل موسى بك مجرداً من كل حق وطلب ، وبذلك حرم موسى بك من المطالبة بأثمان الذخائر وفقد متسلمية نابلس وفقد ابن عمه الحاج محمد بك مشيخة بني صعب وكسب البيكات عداوة جبل نابلس جميعه وقد أضعفوا أنصارهم الذين قدموا لهم الذخائر ورزحوا تحت أثقال الديون وقد فقدوا أيضاً نصف العساكر إذ قتل بعضهم وبعضهم هرب خصوصاً الاكراد الذين عادوا الى دمشق . وقد كان مرسوم محمد باشا شديد اللهجة والتحامل على موسى بك وهو أول خطوة في الخسارة الحكومية وقد عين بموجبه الحاج أحمد آغا الجرار وكيلاً في متسلمية نابلس وهو الآتي .

مرسوم محمد باشا أبو المرق

قدوة النواب والمتشرعين نايب أفندي محروسة نابلوس زيد فضله وعمدة العلما المدققين المأذون بالافتا أفندي زيد علمه ونخبة السادات الكرام قايمقام نقيب الاشراف أفندي زيد شرفه ومفخري الأماجد والاعيان المتوكل الآن من طرفنا بمتسلمية نابلس الحاج أحمد آغا الجرار وميرألاي حالاً حسن آغا النمر زيد مجدهم وساير الوجوه والتجار والأهالي على وجه العموم تحيطون علماً أنه بهذا الاثنى بحسب ما صدر من موسى بك طوقان من الامور المنافية لرضى الله تعالى ورضانا وعدم استقامته على نهج الاستقامة بروئية سائر الخدامات المبرورة العايدة بطريق الحاج الشريف وخاصة اضمحلال أحوال الرعية بمدة متسلميته من أوجه شتى لزم عزلناه من متسلمية نابلس مجرداً صوناً للرعايا وراحة الفقرا والمساكين ووكلنا بالمتسلمية المرقومة من طرفنا قدوة الأماجد المكرمين الحاج أحمد آغا الجرار فتكونوا معه يداً واحدة ورأياً واحداً في صيانة الفقرا

والرعية ودفع أسباب التعدي من كل وجه وتبادروا برؤية سائر الخدامات المبرورة العايدة لطايف الحجازي المبارك وتحصيل الاموال المرتبة واستيرادها حسب العادة والدأب القديم ونعرف وكيل المتسلمية المذكورة انه لعلمنا برشدك وسدادك وحسن امتزاجك وكلناك بالمتسلمية المذكورة وكافة امور البلد لحين حلول ركابنا بمحروسة نابلس وننصب متسلماً مستقلاً من طرفنا فالمراد تحسن سلوكك وامتزاجك مع الجميع وتصرف مزيد سعيك واهتمامك بما فيه رضى الله تعالى ورضانا بحفظ وصيانة الرعايا وديعة الله تعالى باري البرايا وإن شاء الله تعالى جميعكم تشاهدوا من لدنا مزيد الالتفات التام بكافة ما فيه رفاه حالكم فبناء على ذلك أصدرنا لكم بيور لدينا هذا من ديوان الشام وصيدا وطرابلس وسرعسكر الحجاز عن يد رافعه ان شاء الله تعالى بوصوله ووقوفكم على فحواه تعملوا بموجبه وتتحاشوا مخالفته وتعتمدوه غاية الاعتماد والسلام في ٥ ش ١٢١٩.

(وعليه ختم الولاية المعتاد)

الفصل الثالث

آل جرار والبيكات

البيكات والعساكر

لم يكن عزل البيكات هذه المرة كغيرها فقد بقي عندهم نصف العساكر الذين يحتاجون إلى إسكانهم وإطعامهم. وكان موسى بك طلب قصر الشيخ حامد القدومي شيخ الشتيوات في الجنيد ليمضي فيه مدة الصيف فوضع يده عليه ووسعه وجعله قلعة أنزل فيها العساكر. وكان

الحاج محمد بك دفع ميري بلاطه وأودله واقتطعهما مع ملحقاتهما فأنزل فيهما بعض عساكره الذين كانوا في بني صعب وأنزل القسم الباقي في وادي الشعير وقد ظل تحت أيدي البيكات بعض الاقطاع فأخلدوا للسكينة يترقبون الفرص .

حكم سلطان البر الاخير ووفاته

بعد رجوع أبي المرق من الحجاز في أول سنة ١٢٢٠ سافر يوسف آغا الجرار سلطان البر وحسن آغا النمر الى دمشق فولى أبو المرق متسلمية نابلس ليوسف آغا الجرار على شرط أن يدفع عشرين الف قرشاً من فردة[1] نابلس لخزينة والي الشام فقبل ولما رجع لنابلس امتنع عن دفع المبلغ فأنزله الوالي الى النصف أي لعشرة آلاف قرشاً فلم يلتفت سلطان البر لذلك وبقي في المتسلمية إلى أن مات سنة ١٢٢٢ هـ عن أشبال ثلاثة وهم داود آغا والحاج أحمد آغا والشيخ عبدالله بعد أن سجل لهم مجداً تالداً ومكانة عالية وأظهر عزة جبل نابلس ومكانته بأسمى مظاهرها وقد مثل دور آل طرباي وزاد عليهم عمله المتواصل مع آل النمر والجيايسه وسائر الشيوخ فدام جبل نابلس في عهده متحداً فوفق الى الصلح بين نابلس وظاهر العمر ثم رد الشهابي والكرجي وبذل كل ما بوسعه لمساعدة الفقراء والمحتاجين في المجاعة فسارت بكرمه الركبان . وقد خاصم الجزار الذي عاد يستنجده بقصيدة هي مفخرة من مفاخر جبل النار . ثم ضايق كليبر في المرج وتمرد على الدولة وأحرج البيكات وأنجد الجيايسة ثم فاز بمتسلمية نابلس ولم يكترث بتكاليف والي الشام فعاش ومات أبياً وقوراً .

---

(١) راجع فصل الميري في باب الحكومة من الجزء الثاني .

رجوع البيكات للحكم

بعد انتهاء حكم محمد(١) باشا أبو المرق فصلت الايالتان عن بعضها فعين على ايالة صيدا سليمان باشا الجزاري المعروف بالعادل وعين على ايالة الشام عبدالله باشا العظم المرتشي فأسرع البيكات بالذهاب الى دمشق بعد موت يوسف آغا الجرار ومعهم الهدايا الثمينة والمرسومات السابقة لوالي الشام فأعاد موسى بك لمتسلمية نابلس والحاج محمد بك لمشيخة بني صعب وعاد العداء إلى ما كان عليه بينهم وبين امراء وشيوخ البلاد .

الحرب بين داود آغا وموسى بك

وقع نفور بين داود آغا اليوسف الجرار وبين موسى بك فمس الأخير كرامة الأول وحاول اغتياله فأسرع بالعودة الى الشمال وجمع جموعه وهجم على نابلس فلقيه موسى بك بعساكره على عين الصبيان فغلب وتبعه داود آغا بجموعه ودخل بوابة نابلس الغربية بعد أن قتل خمسون جندياً من عساكر موسى بك . وأسوأ من هذا كله أن مصطفى بك ابن موسى بك الذي كان عمره في العاشرة خرج وراء العساكر متحمساً وبيده سيفه ومعه بعض الصبيان ولما غلب أبوه داسه الفرسان الهاربون وقتلوه فكانت هذه الصدمة أول سقوط دماء الامراء بين الفريقين وسبب خروج موسى بك عن المألوف وشذوذه على العرف لأن مصطفى بك كان ولده الوحيد وكان ذلك في ١٠ من ذي الحجة سنة ١٢٢٣ هـ .

---

(١) كان الوالي يعين لمدة سنتين مالم يبذل ثقة كبرى ولا يوجد له منافس فيولي الحكم دائمياً كما كان احمد باشا الجزار .

آل النمر يردون جرار

لما دخلت جموع جرار البوابة الغربية ثارت نابلس وهرعت إلى قصر النمر الذين لم يروا مناصاً من الاشتراك برد جرار فخرجت جموعهم الخاصة وطلبوا جرود القرى المجاورة فأخرجوا جموع جرار من البوابة وطلبوا من داود آغا الرجوع بجموعه الى صانور لئلا تنقلب العداوة بينهم وبينه وكانت جرود قرى نابلس قد وصلت المدينة . وقد وصل ابن ادهيس شيخ جبارة بجموع جورة عمرة وبني صعب فرأى داود آغا أن الموقف قد تطور فعاد بجروده الى الشمال .

تفاهم آل النمر وآل جرار وحماقة موسى بك

عد آل جرار ما فعله آل النمر حفاظاً منهم وحفظاً لكرامة بلدهم فتفاهموا بعد ذلك معهم وكانت هذه غلطة كبيرة من آل النمر فكان يجب عليهم إنذار البيكات بإخراج العساكر وطردهم بعد وقف جرار خارج البوابة وإن لم يفعلوا فكان واجبهم القضاء على عساكرهم وإنقاذ نابلس من شرهم فإن موسى بك لم يقدر لآل النمر نخوتهم فيما بعد بل طلب منهم مساعدته على الانتقام من آل جرار الذين صار يتهمهم بقتل ولده ولما رفض آل النمر مساعدته وتفاهموا مع آل جرار عد ذلك نكاية له فصار يتحرش بالعشائر الموالية لهم في المدينة والقرى التي أنجدته لرد جرار وجموعه ودافعت عن عساكره المخذولين .

❀❀❀

الفصل الرابع

حسن آغا وموسى بك

صفات حسن آغا ومنزلته

حسن اغا هو ابن الحاج مصطفى آغا النمر وحفيد عمر آغا المار ذكرهما رباه والده وجده تربية عالية ودرباه على الحكم صغيراً وشبعاه بصفات الفروسية وبروحهما العالية فورث منزلتهما ومكانتهما وصار اميراً لألاي نابلس ولانتقال ابراهيم آغا النمر بمتسلمية القدس وحكمها فقد صار حسن آغا النمر رئيس الاسرة وامير البلاد[1] الكبير بعد جده وأبيه. وقد سار حسن آغا على سياسة جده مجدداً مصاهرة العشائر الكبيرة فتزوج هو وأخواه علي آغا وعبد اللطيف آغا ثلاثة من مختلف فروع آل طوقان. وتزوج بنت الشيخ سعادة الحاج محمد شيخ المشاريق وقد صاهر أخوه عبد الصمد آغا قاضي آل شويكة[2] احدى عشائر المغاريب الكبيرة وكانت امه من آل أمين[3] الدين العمري اثرياء جبل نابلس في عصره وبذلك أوجد صلات عديدة لا سيما مع فروع آل طوقان الذين اضطرتهم صهارتهم لآل النمر الى الوقوف على الحياد فلم يشاركوا أبناء عمهم البيكات ضد آل النمر.

وكان حسن آغا النمر وقوراً محترماً من الشعب محباً للسلم فقد استقدم الامير ضمان المهيدي (قرقش) وأصلح بينه وبين العدوان وأهداه داراً لسكناه في نابلس وقد أصلح بين شيوخ جماعين وآل الحاج محمد

(١) راجع باب الامارة في الجزء الثاني. (٢) هي عشيرة من عشائر المغاريب القوية تعرف بعشيرة قاضي شويكة تفرع منها في نابلس ال شويكة والقاضي وعبد المجيد. (٣) ويعرفون اليوم بال غزال امين الدين.

وأصلح ما بين الصقر والبيكات على قتيل قتله منهم الحاج محمد بك سنة ١٢١٠ هـ ولم يكتف بالصلح بل اشترك بالدية وكان حكيماً بعيد النظر فقد كان يشرك آل جرار بحكم نابلس لتبقى صلته بهم قوية ويحول دون الاصطدام بالبيكات . وكانت منزلته عند الولاة كبيرة لحرقه ميمنة الافرنسيين في عزون . وقد كان لمنزلته أكبر الأثر في عزل موسى بك أولاً وثانياً وكان محباً للسلم ؛ إلا أن غلطته بعدم تشريد عساكر موسى بك جرت عليه وعلى أسرته الويلات لأنه كان زوج خالة موسى بك وكان هذا يعرف منزلته في الشعب وعند الولاة فلم يتجاسر على التحرش به ولكنه بعد موته طغى وشذ على كل شيء فظهر خطأ حسن آغا وإفراطه بالسلم .

اضطهاد عشائر الجنوب والمشاريق

استحكم العداء للبيكات في المغاريب والشمال وأغاظ موسى بك تفاهم آل النمر وآل جرار فصار يتحرش بالعشائر الموالية لهم فأهان العسلية أحد شيوخ الشتيوات وسجنه في احدى المقاصير فرمى بنفسه من شباك مرتفع ونجا بنفسه . وقد قبض على الشيخ علي بن حسن السليمي من آل عفانة شيوخ الجواترة في سلفيت وضربه ثمانين جلدة وتسلط على الدويكات وكنعان العامر في كفر قليل وعلى جميع القرى المجاورة فصارت كلها تلجأ لآل النمر وتنزل في حارة الحبلة حيهم وازداد تسلط عساكره على العشائر فصمم حسن آغا النمر على ايقافه عند حده .

***

حرق زيتون بلاطة

كان الحاج محمد بك طوقان سنة ١٢١٨ هـ دفع مبلغ (٦٩٤٦) قرشاً[1] سلطانياً للجزار واقتطع أودلة وبلاطة وحسب المعتاد تظل في عهدته وجميع ما فيها الى أن يستوفي ما عليها لأنها من القرى الاقطاعية[2] . فأنزل عساكره فيهما وبعد موته سنة ١٢٢٥ هـ اشتدت وطأة العساكر على الدويكات في البلاطة وعلى أهالي أودلة فاستنجدوا بحسن آغا الذي طلب جرود العشائر من جماعين وجورة عمرة والمشاريق والشمال فاجتمعوا في سهل بلاطة وعلى زيتونها يريدون القضاء على عساكر موسى بك فخرج موسى بك بعساكره وطلب الشيخ مصطفى العديلي من قريته بيتا ولما شاهد الجموع الموجودة بين الزيتون في سهل بلاطة ذعر وأرسل للبيك يقول « أنا ما بحارب جن عاطف زيتون احرق الزيتون وإلا حاربهم وحدك » فقبل موسى بك برأي العديلي وأحرق الزيتون فأشار حسن آغا على الجموع بالرجوع مكتفياً بهذه الجناية التي كانت تعد في عرف البلاد من أكبر الجنايات وهي حرق الشجر الأخضر .

عزل موسى بك

أسرع موسى بك بالكتابة إلى والي الشام يدّعي رد الجموع عن نابلس ويبين له أن آل النمر يحشدون الفلاحين في نابلس لإيقاع الفساد فكتب الوالي كتاباً لنابلس يهدد فيه وينذر بضرورة إخراج الفلاحين من نابلس جاء فيه : ومن الان كل من تصحب إلى فلاح وأسكنه مدينة نابلس ام سبب فتنة أو حركة يكون عليه وعلى من يلوذ به

(١) راجع بحث العملة في فصل الميري في باب الحكومة في الجزء الثاني . (٢) راجع فصل الاقطاع في باب الحكومة من الجزء الثاني .

ماية كيس من بعد العقاب والنكال الذي يحصل عليه» فكتب حسن آغا النمر للوالي مبيناً الواقع وأن الفلاحين انما لجأوا الى حي الحبلة تخلصاً من اضطهاد عساكر موسى بك وانهم اضطهدوا أهالي بلاطة فاستنجد هؤلاء بعشائر القرى فأحرق موسى بك الزيتون وانه حسماً للشر أرجع القرويين وقال للوالي ان موسى بك وعساكره سبب الشر وانه يرى ضرورة عزله وتعيين الحاج أحمد آغا اليوسف الجرار فأجيب الى طلبه والراجح انه ذهب بنفسه وقد أيده بذلك العلماء وشيوخ العشائر فعزل موسى بك وعين أحمد آغا اليوسف الجرار متسلماً على نابلس مكانه وذلك سنة ١٢٢٦ هـ .

خطأ حسن آغا ورجوع موسى بك

خرج موسى بك بالعساكر من بلاطة ونابلس الى قلعة الجنيد ووزعهم في اودله وبيتا ووادي الشعير وعاد ينتظر سنوح الفرصة كالمرة الاولى . وكان واجب حسن آغا جمع الجموع كلها وتشريد هؤلاء العساكر الغرباء من جبل نابلس جميعه مهما كلفه الامر إلا انه كان يخشى وقوع دماء بين الامراء والشيوخ ودخول المسألة في دور الثار والانتقام . وغاب عن ذهن حسن آغا الموت وانه اذا مات لا يجد جبل نابلس رجلاً يثق به الولاة مثله ولم يطل الامر ففي سنة ١٢٢٧ هـ . اغتالت حسن آغا النمر يد المنون وفقد جبل نابلس أميره الحكيم فانفتح باب الفتنة والطغيان إذ اسرع موسى بك الى الوالي وحصل على امر بمتسلمية نابلس وأتى بضابط يسمى أبو بكر بك عين بمساعيه ميرآلاياً مكان حسن آغا النمر وكان الجيايسة قد استردوا مشيخة بني صعب بعد موت الحاج محمد بك فحصل موسى بك على أمر بها لأسعد بك ابن الحاج محمد وبدأ دور الطغيان الخطير .

الصدام الخطير بين الأغوات والبيكات

كان أول شيء وقع بين آل النمر وآل طوقان ذلك الذي وقع بعد مقتل نصوح باشا ، إذ بنتيجة التحقيق حات متصرفية القدس ، وفصل صالح باشا طوقان منها سنة ١١٢٨ هـ ، وعين بعد ذلك عمر آغا النمر قائمقاماً على القدس . وكان الاحتكاك الثاني في ثورة ابن سلطان سنة ١١٤٠ هـ ؛ إلا أن هذا غسل بانتصار آل النمر للشيخ إبراهيم بك وإجلائهم آل سلطان عن نابلس ، وقد صاهر آل النمر بعد ذلك آل طوقان وغسلت الأحقاد ، فساعد عمر آغا النمر مصطفى بك طوقان بالحصول على مشيخة بني صعب ؛ إلا أن طمع مصطفى بك بمتسلمية نابلس بعد موت عمر آغا وولده وحفيده ، أنتج صداماً قوياً سنة ١١٨٦ هـ كانت نتيجه خروج البيكات الى راشيا كامر ، ولكنهم بعد عودتهم سنة ١١٩٨ هـ تفاهموا مع آل النمر وتنازلوا عن المالكانة وأخذوا عوضها زعامة اودلة . ثم حصل صدام بسبب متسلمية نابلس بعد فصل يوسف آغا الجرار لخال ابراهيم آغا دون صدامهم مع آل جرار ، فترك القدس وتولى متسلمية نابلس . ولكن أمراً أغاظ البلاد كلها وهو تمسك البيكات بأحمد باشا الجرار ، ثم الإفراط بالثقة بالدولة والتسلط بقواها ، ومع كل ما حصل فإن أمراء آل النمر الكبار كانوا يتجنبون الصدام الخطير ، ويعالجون الأمور بالحكمة لكي ينفض العساكر من حول البيكات وينتهي الأمر بسلام ؛ إلا أن هذا كله أطمع موسى بك الشاب الطائش وبات يرتقب الفرص ، فلما سنحت وقع كل ما كان يخشاه حسن آغا النمر ، فطغى موسى بك فوتر أسر الأمراء والشيوخ ، ومثل دوراً خطيراً مؤلماً بدأ سنة ١٢٢٨ بعد محاولات دامت قرناً كاملاً للحيلولة دونه .

الفصل الخامس

طغيان موسى بك

هدم صوفين

عاد الجبايسة الى التمرد والمقاومة ، وحرضوا عشائر بني صعب على عدم الانقياد لأسعد بك ولم يجرب موسى بك إخضاعهم فلما مر باشا الدورة ابراهيم باشا حرضه على الجبايسة ووعده بالمساعدة فتحصن الشيخ محمود العودة في صوفين ، واستنجد بعشائر البلاد فأنجدته من كل صوب ولم يتمكن البيكات من إنجاد ابراهيم باشا ، فتورط مع عشائر البلاد واستنجد بوالي الشام ، وهذا بدوره استنجد بوالي عكا سليمان باشا الجزاري[1] ، فأنجده بعساكر وأخطر الشيخ محمود العودة ورجاله على التسليم ، فهدمت صوفين ورحلت عشائرها وهي : داود ، وزهران ، والنزال الى باقة الحطب وقلقيلية ، وأخذ ابراهيم باشا المذكور الشيخ محمود العودة وأربعين[2] من رجاله معه أسراء القدس ، وبوساطة محمد آغا النمر متسلمها أطلق الشيخ محمود لقاء مبلغ ألفي قرش ، وأطلق رجاله لقاء مبلغ خمسماية قرش عن كل واحد ، وأعطيت القرى الثلاثة : كور ، وارتاح ، وقلنسوة قرى الجبايسة باسم الشيخ أحمد ابن الشيخ محمود العودة ، وباسم الشيخ عساف ابن الشيخ حسن الجيوسي ، ومنع الشيخ محمود من التدخل بشيء ، وكان ذلك سنة ١٢٢٨ هـ .

---

(١) كان من مماليك أحمد باشا الجزار فلقب بالجزاري ، وكذلك عبد الله باشا الآتي ذكره (وكان الأول متسلماً في إحدى المقاطعات والثاني كان خازناً (أي خازندار) .

(٢) كان من الذين أبلوا في الدفاع مع الشيخ محمود الشيخ السبطة بطل حامولة جبارة .

عصيان الأغوات

لم يكتف موسى بك بتعيين مير ألاي تركي بعد موت حسن آغا النمر بل أخرج عساكره يستولون على اقطاع آل النمر في القرى ، فخرج علي آغا ، ويوسف آغا ، وأحمد آغا الى القرى وطردوا عساكره منها ، وأعلنوا العصيان ، وصاروا يهاجمون العساكر على بوابات نابلس ، فاضطر موسى بك على بناء بوابات أخرى أمام البوابات القديمة في شرق المدينة وغربها ، وبنى ما بين البوابة القديمة والجديدة في كلتا الجهتين صفين من الدكاكين لاسمه ، سخر فيها عمال البلد جميعاً ، لا سيما النصارى الذين كان يشغلهم يوم الأحد والسامريين الذين كان يشغلهم يوم السبت .

الاستيلاء على قصر الأمير يوسف

كان محمد آغا النمر متسلماً على القدس ، فأسكن موسى آغا النمر زوج أخته في قصره الجديد[1] ، ولما عصى الأغوات نقل موسى آغا النساء من القصر الكبير الى قصر محمد آغا وبقي هو في نابلس متظاهراً بمسالمة ابن خالته موسى بك .

وخطر لموسى بك الاستيلاء على قصر آل النمر ، فأرسل عساكره المغاربة فاحتلوه وسكنه منهم ماية وخمسون مغربياً .

جلاء حارة الحبلة واضطهادها

لما هاجم ظاهر العمر نابلس تولى البيكات حراسة القسم الغربي وفيه الحارات الثلاث وهي : الغرب ، والياسمينة ، والقريون ، وتولى

---

(١) هي الدار المجاورة للجامع الكبير من الشمال .

آل النمر حراسة القسم الشرقي وفيه الحارات الثلاث وهي : الحبلة ، والقيسارية ، والعقبة ، وظلت هذه القسمة حزبية يدعيها آل طوقان .
ولما صار موسى بك متسلماً أسكن العساكر في الأحياء الغربية الثلاثة ثم أسكنهم في القيسارية والعقبة ، ولم يبق بلا عساكر سوى حارة الحبلة حي الأغوات التي رفضت إسكان العساكر ، وأصبحت ملجأً للمضطهدين من سكان الحارات الأخرى والقرى .

ولما احتل المغاربة قصر الأغوات الكبير المعروف بقصر الأمير يوسف اضطهدوا حارة الحبلة ، واستولوا على بواباتها وعلى كثير من أحواشها ودورها ، وأسكن سائر العساكر في جميع أنحائها ، فاحتلوا حوش الحمام وتل الكريم وبعض الدور ، وجعلوا جامع (١) المساكين شونة (٢) وتسلطوا على حي الحبلة بعشائره المانية ، فصارت هذه العشائر تجلو عنه الواحدة تلو الأخرى ، فنزل فريق في عورتا وآخر في جينين وثالث في جبل عجلون ، ورحل ثري نابلس الحاج محمود (٣) شاهين الى دمشق ، ولم يبق في حي الحبلة إلا بعض الأسر المجاورة لقصر محمد آغا وبعض أسر ضعيفة . وقد ضرب المثل بإباء الحبلاوية وجلدهم فيقال : « عظمهم أزرق » أي لا تلين قناتهم .

اضطهاد نابلس

حرمت عساكر موسى بك من التجول في القرى ، وأصبحت جموع آل النمر تهاجمهم من كل صوب ، فاجتمعوا جميعاً في مدينة نابلس ،

---

(١) هو من آثار الصابيين صار يسكنه المجذومون فسمي بجامع المساكين ، وهو في الجهة الشرقية من البلدة القديمة . (٢) الشونة هي محل وضع السلاح والعتاد .
(٣) وقد نهب له موسى بك قافلة جمال وقتل ابن عمه وهو في حلة العرس في إحدى المعارك فسمي ابن العريس خلفه .

وسكن موسى بك مع قسم منهم في قلعة الجنيد وسلم المدينة للعساكر الغرباء يسومونها سوء العذاب ، وقد فرض دخولية على كل ما يدخل البلد من القرى ، ومنع كثيراً من أهل القرى الموالية لآل النمر من دخول المدينة ، وتسلط على التجار حتى نفدت ثرواتهم فاضطر بعضهم على دفنها ولم يبق عند بعضهم إلا القليل ، فاضمحلت ثروة البلاد وتعطلت متاجرها وهاجر منها كثير من العمال والتجار ، إذ صار موسى بك يقتل التاجر الذي يمنع عنه ثروته ، فقتل الخواجه حسن أيوب كمال بتهمة محاولته الحصول على متسلمية نابلس ثم فرض على نابلس ضريبة شخصية (فرده) فاحشة لينفق على العساكر الذين حرموا من التسلط على القرى فضجت البلد ووسطت القاضي ، فذهب على رأس وفد لموسى بك فاستقبله في الباب وصفعه وأهانه ، فلزم الناس المساجد يستغيثون ، فدخل موسى وكتب على المحراب « هذا أوان السكوت والتزام البيوت ومن لم يطع ضربناه بالنبوت » ، فأضرب الناس عن الأعمال والمساجد ولزموا البيوت ينتظرون الفرج ، وهم تحت ظلم العساكر وغارة القرويين .

وساطة محمد آغا وحمافة والي الشام

سافر محمد آغا النمر متسلم القدس الى والي الشام يطلب إرجاع القصر والتيمارات[1] لآل النمر ، فكتب الوالي لموسى بك بإعادة ذلك لآل النمر ؛ إلا أن موسى بك بعث لوالي دمشق بالهدايا والرشوة ، فعكس الأمر وأصدر الوالي أمره بإخراجهم من نابلس ، وفيما يلي كتاب الوالي الأخير :

* * *

(١) راجع فصل الاقطاع في باب الحكومة من الجزء الثاني .

كتاب الوالي الذي سبب الثورة

افتخار الأمرا الكرام متسلمنا بنابلس حالاً موسى بك طوقان زيد مجده !

بعد التحية والتسليم بمزيد الاعزاز والتكريم نبدي إليكم بخصوص أقارب نمر زاده محمد آغا أن تنزلوهم في بيتهم وتعطوهم تيماراتهم وعلاقاتهم والآن تحققنا أنهم من ذوي الشقاوة ودايماً ساعين بأمور الفساد وما يغاير رضانا فاقتضى اصدار مرسومنا هذا بوصوله اليكم تطردوا المذكورين من طرفكم ولا تدعوهم يستقيموا في نابلس بعد الآن ولا يوم الفرد اعلمه واعتمده غاية الاعتماد في ١٤ ر[1] سنة ١٢٣١ .

حافظ علي
مير الحاج ووالي الشام

✶

الفصل السادس

الثورة الكبرى

بسالة محمد آغا النمر ومكانته

محمد آغا هو ابن ابراهيم آغا النمر الملقب بسلطان جبل النار المار الذكر وأمه السيدة فاطمة بنت الشيخ ابراهيم الحنبلي الجعفري نقيب أشراف نابلس . نشأ نشأة الفتوة مشبعاً بروح الفروسية متصفاً بصفاتها قاد الجرود النابلسية التي فاجأت نابليون في وادي قاقون واشترك في واقعة المرج ، ثم قاد فدائية جبل نابلس ، فأنجد الجزار في قلعة عكا وآلى أن لا يدخلها ما لم يتفقد الأسوار ، فشعر به الافرنسيون وهو

---

(١) ر = رجب .

يجول حول السور فأصلوه وابلاً من النيران ، فصعد على الأسوار وهبط القلعة تحت النيران . فاستقبل بالتهليل والتكبير ، وقد أكبر الجزار جسارته وبسالته وقدر نجدته وشهامته فولاه امارة السلاح في عهده . وبعد موت الجزار عاد محمد آغا لنابلس فاشترى قصر آل تقلي[١] المجاور لمأذنة الجامع الكبير فجدد بناءه وحشده بالخدم والعبيد وسكن منفصلاً عن آل النمر جميعاً مكوناً لنفسه كياناً خاصاً . ولما مات علي عمر آغا النمر متسلم القدس سنة ١٢٢٦ هـ حل محله ، وأسكن صهره موسى آغا النمر في قصره . ولما فشلت وساطته صمم على امتشاق الحسام :

اذا لم يكن غير الأسنة مركباً   فما حيلة المضطر إلا ركوبها

اعلان الثورة وهدر دم البيكات والعساكر

نزل محمد آغا في عينبوس[٢] وطلب باقي الأغوات ، فقرروا دعوة شيوخ البلاد الى جماعين ، وفي أواسط سنة ١٢٣٢ هـ ، وفي الوقت المعين عقدوا وشيوخ المشاريق وجورة عمرة وبني صعب وناحية جماعين اجتماعهم في جماعين ، وكان جبل نابلس جميعه ينتظر من آل النمر القرار الحاسم فقرر محمد آغا النمر هدر دم البيكات وعساكرهم الذين لم يعودوا يتقيدون بشرع ولا عرف ، وقد أهانوا قاضي الشرع وأباحوا الحلال فنهبوا الأموال وظلموا العباد ، فوافقه شيوخ البلاد جميعاً ، وانتشر الأغوات والشيوخ يعلنون هذا القرار الحاسم في جميع الجهات فانتشرت الثورة في كل مكان ، واستمر القتل بالعساكر حيثما يتوجهون .

❀❀❀

(١) تقلي أصلها طوقلي أي صاحب الطوق وهم من حكام نابلس الغرباء . (٢) هي جوار قرية حوارة على طريق القدس .

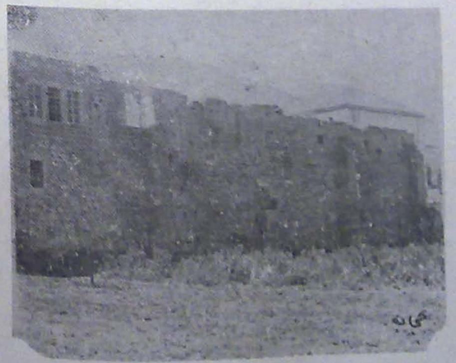
الحرب في جماعين

لما بلغ موسى بك خبر اجتماع جماعين وما قرر فيه ، خرج هو وابن عمه أسعد بعساكرهم لتأديب جماعين والقبض على شيوخها فلاقوا مقاومة في طريقهم وخرجت اليهم جموع جماعين ، ووقعت الحرب بين جموع جماعين والعساكر ، فقتل فيها من الفريقين عدد كبير من العساكر والفلاحين وقتل ثمانية من بني غازي شيوخ تلك الناحية .

وبينما كان موسى بك مشغولاً بحربه في جماعين بلغه خبر ذبح جميع العساكر الموجودين في نابلس واستيلاء الأغوات وجموعهم عليها فأسرع بالعودة بمن بقي معه من العساكر هو وأخوه رضوان بك وابن عمه أسعد بك وتحصنوا في قلعة الجنيد .

فتح نابلس

بعد اجتماع جماعين توجه علي آغا يثير جماعين الغربية وجورة عمرة وبني صعب ليشغلوا البرقاوي في وادي الشعير ، وتوجه يوسف اغا الى



القسم الباقي من سور نابلس وقد بني على أساس جدار الجامع الاسلامي العمري

المشاريق فنزل على أخواله آل الحاج محمد يثير البلاد ويهاجم بيتا وبلاطة لإشغال العديلي وعساكر بلاطة ، وخرج أحمد آغا الى الشمال يجهز ويهيء الجموع ، ونزل محمد آغا في غور الفارعة يجمع رجال حارة الحبلة من شتى الجهات ، وانضم اليه البدو والقرويون ، وقد عين يوماً لمباغتة نابلس فأخبر موسى آغا ليقطع الاتصال داخل البلد بين العساكر ، وأخبر يوسف آغا ليهاجم بلاطة بجموع المشاريق ، وأخبر علي آغا ليأتي بجموع الجنوب الغربي فيهاجم نابلس من الغرب ، واتفق مع أحمد آغا على اللقاء بالجموع على قمة جبل عيبال الشرقية .

وبعد غروب شمس ذلك اليوم صعد محمد آغا النمر بجموعه من وادي الفارعة الى قمة عيبال الشرقية والمعروفة (بالقنيصة) ولاقاه أحمد آغا بجموع الشمال التي احتشدت في ذلك النهار في عصيرة ، فالتقيا فوق السليمية[1] في الزيتون الذي عرف بعد ذلك بزيتون الشربجي نسبة اليهما ، فرتبا خطة الهجوم العام الذي سيبدأ بعد سماع طلقة نارية من ردنية[2] الحاج عودة ملحس[3] الفدائي الذي سيدخل من البوابة الشرقية ومعه حمل حطب على حمار فيقف في البوابة الثانية بحمل الحطب فلا يمكن الحارس من اقفالها ثم يطلق النار على الحارس وعلى صوت الطلقة يبدأ الهجوم من جميع النواحي .

وقبل الفجر كانت الجموع محيطة بنابلس إحاطة السوار بالمعصم ،

---

(١) هي القمة الواقعة فوق المقبرة الشمالية والمطلة على نابلس والتي يعتقد العامة ان فيها مقام ولية تدعى الست سليمية . (٢) الردنية هي بارودة قصيرة . (٣) آل ملحس اصلهم من عرب الوحيدات نزلوا في كفر الديك وبعد قتل شيخها الاجلق رحلوا ونزلوا في نابلس .

ومع الفجر طرق الحاج عودة ملحس البوابة الأولى ودخل بحمل الحطب ولما وصل البوابة الثانية أوقفه الحارس في الباب ليدفع الدخولية فرفض ثم أطلق على الحارس النار من رديفته فأرداه قتيلاً وقبل أن يصل اليه العساكر تساقط الثوار من أسطحة الدكاكين وذبحوا الحراس . وفي نفس الوقت هوجمت جميع البوابات بعد سماع الطلق الناري وهو الإشارة المتفق عليها .

ذبح العساكر

كان موسى آغا على اتصال تام بمحمد آغا وباقي الأغوات في الخارج ، وفي منتصف تلك الليلة وضع السدود في الشوارع ورابط برجاله وراءها وبذلك قطع الاتصال بين العساكر لا سيما في الجهة الشرقية ، ولم تكد جموع آل النمر من بدو وقرويين ومدنيين يستولون على البوابات حتى شعرت بهم نابلس ، فهب الرجال والنساء والأولاد بصورة جنونية يذبحون العساكر بالسلاح والأحجار ، فقتل العساكر جميعاً على البوابات وفي الشونة والأحراش والدور وفي القصر حتى امتلأت الشوارع بالقتلى . قال ناقلو الروايات : إن القتلى العساكر من مغاربة ومماليك وأرناؤوط ملئت بهم شوارع نابلس وأزقتها ، فكان الصبيان يدوسونهم بأرجلهم ويجرونهم خارج الأسوار . وفي نفس النهار هجم يوسف آغا وآل سعادة الحاج محمد بجموع المشارقة على العساكر الموجودين فى بلاطة وأودلة فذبحوهم عن آخرهم ويقدر عدد من قتل من العساكر في ذلك اليوم بألف عسكري . وقد جر القتلى الى مغاور عيبال فركموا هناك وسدت عليهم المغاور ، وكانت عظامهم وجماجمهم تشاهد الى عهد قريب في مغاور عيبال . ولم يقتل من النابلسيين وجموع الوطنيين كلها إلا بضعة رجال .

مذبحة المغاربة واسترداد القصر

بعد أن استولى النابلسيون على البوابة الشرقية وذبحوا حراسها هجموا على الشونة الشرقية وبوابة الأنبياء وعلى حوش الحمام فذبحوا العساكر الموجودين فيها . ثم توجهوا نحو قصر الامير يوسف وأحاطوا به فرابطوا في الطرقات وعلى أسطحة الدور المحيطة به دون أن يشعر المغاربة بهم . وصعدت دلول الداجونية[1] وأولادها أبناء خليل جاموس وفاطمة الكيلة من دارهم المجاورة للقصر ونزلوا اليه فسدوا الباب[2] الموصل بين الطابق الأول والطابق الثاني ، وعند طلوع الشمس بدأوا بإطلاق النار ففتح المغاربة البوابة وخرجوا إلى الشوارع فلاقوا حتفهم واحتل النابلسيون الطابق الأول جميعه وعند الظهر قتلوا جميع من فيه واعتلى الثوار الأسطحة وصاروا يقتلون من يصادفونه في الطابق الثاني . فلجأ باقي المغاربة إلى الجهة الغربية ، فعرض عليهم التسليم فقبلوا ذلك بوجه[3] السيد حسن الصمادي على شرط أن يروه بأعينهم و كان يتوضأ على الشادروان[4] في الطابق الثاني ليصلي الظهر . فلما أظهر نفسه لهم أطلقوا عليه النار من بنادقهم فقتلوه وعندئذ أشار محمد آغا على ال جاموس بهدم العقود فتضايق المغاربة وصاروا يتدلون من النوافذ ويرمون أنفسهم على البستان . وكان بين المرابطين في الجهة الغربية المقابلة للنوافذ نابلسيان لا يخطئان الهدف وهما عبيد وعبد الصمد من آل سالم اليحيى فما سقط مغربي إلى

(١) راجع ترجمة الداجونية في فصل النساء من الجزء الثاني . (٢) كان رؤساء المغاربة يسكنون هم ونساؤهم في الطابق العلوي وباقيهم في الطابق السفلي . (٣) راجع بحث الوجه وقيمته في فصل القانون العشائري في باب الإمارة من الجزء الثاني . (٤) الشادروان أي النوفرة .

البستان حياً فقتل المائة والخمسون مغربياً عن آخرهم إلا اثنين منهم هربا إلى الجبل ودخلا في مغارة فلحق بهما النابلسيون ولما أطل القاروط باكير عليهم من الباب اطلقا عليه النار فقتل فأطلقت عليهما النيران من الثوار فقتلا .

انتحار الارناؤوط

كان آخر من بقي من العساكر الأرناؤوط[1] المرابطين على بوابة الجهة المعروفة بتل الكريم فحاصرهم الثوار في الدار المعروفة بتل الكريم وبعد قتل المغاربة مع الغروب شاهد عبيد اليحيى مصباحهم مشعولاً فصوب بارودته عليه فأصابه ثم توجه الجميع عليهم وأحاطوا بهم فرفضوا التسليم لا بوجه ولا بغير وجه واتفقوا على الانتحار فكان رئيسهم يأخذ سلاح الواحد ويقتله بيده ثم قتل نفسه فكان آخر من قتل من هؤلاء العساكر الأشرار .

انسحاب البيكات وخروجهم

في اليوم الثاني عاد موسى بك من جماعين وتحصن في قلعة الجنيد فوجد جموع الجنوب الغربي قد نزلت تحته في رفيديا بقيادة ابن ادهيس شيخ عشيرة جبارة فتجاهل أمرهم وأرسل لمحمد آغا يعرض عليه مساعدته في ردهم عن نابلس فأرسل محمد آغا رسولاً حكيماً وهو الشيخ حامد السعيد المصري شيخ آل المصري[2] فقال له : «بهندي[3] ولا ببلاد الهند» أي ليس لك بعد اليوم مقام في البلاد وأفهمه بأن ابن ادهيس جاء بجموع الجنوب والمغاريب للنجدة .

خشي البيكات من الحصار والقضاء المبرم فانتظروا الليل وتحت

---

(١) يسمون اليوم بالألبان جاؤوا مع الوزير أعظم يوسف باشا لاسترداد مصر من الافرنسيس فأمد البيكات بفرقة منهم . (٢) هو جد آل سعادة المصري . (٣) أي ارحل كالهندي كما رحلتنا عن بلدنا .

ظلامه خرجوا من قلعة الجنيد بمن بقي من عساكرهم الى وادي الشعير فأبقوا النساء في القلعة وتركوا العساكر في وادي الشعير وبني صعب مع أسعد بك ورضوان بك وذهب موسى بك الى مصر ليأتي بفرقة من مماليك مصر فوجد أن محمد علي باشا قد دعاهم الى ضيافته في القلعة وذبحهم[1] عن آخرهم فعاد يحمل هذه الفكرة ليمثلها مع الأغوات دون أن يفكر بالفرق بين منزلة آل النمر المحبوبين عند النابلسيين وبين منزلة المماليك المبغوضين من المصريين ، ولأن والي الشام كان في مصر في أواخر سنة ١٢٣٣ هـ كعادته فقد نزل على وكيله سليمان باشا والي عكا يطلب مصالحته مع آل القاسم ليخلص من الثأر والانتقام فيتفاهم مع آل النمر بسهولة إذ لم يقع بينه وبينهم دماء .

شهامة محمد آغا النمر

خلت نابلس وقلعة الجنيد من البيكات وعساكرهم وأبت شهامة محمد آغا وأقاربه احتلال قصر البيكات كما احتلوا قصر جده الامير يوسف وأبت شهامته أيضاً احتلال قلعة الجنيد لوجود حرم موسى بك ونساء العساكر فيها فلم يقابل الشر بمثله . وقد حافظ على نساء آل طوقان وأطفالهم وأمدهن بما يحتجن اليه مدة غياب رجالهن وقد حرس برجاله قلعة الجنيد وأمد حرم موسى بك وخدمها بكل ما تحتاج وأظهر في معاملة نساء العساكر خصوصاً نساء المغاربة اللواتي كن في القصر معاملة تتفق مع فروسيته وصفاته العالية وأكرم الجرود والجموع ورفعت نابلس رأسها وعاد إليها الجالون عنهامن جميع الجهات وعادت اليها الحياة والاطمئنان وأكبرت شهامته ونبله الاكبار الذي اعتادته لكل من يقوم بمثل عمله ويظهر مثل شهامته .

(١) وكان ذلك سنة ١٢٢٨ هـ .

الفصل السابع

دور الخداع والغدر

صلح والي عكا

دعا سليمان باشا الشيخ قاسم الأحمد والشيخ موسى العثمان شيخي جماعين وبعض شيوخ جبل نابلس الى ديوانه في عكا وبعد صد ورد دام عشرة أيام طلب الوالي منهم أن يحكموه ففعلوا فحكم بتسعين الف قرش دية قتلى بني غازي وجماعين كتب بها موسى بك صكاً على نفسه ثم دفع المال المطلوب من آل النمر للوالي وطلب منه توسيط القاضي بينه وبينهم فكتب الى القاضي الكتاب الآتي:

كتاب الوالي للنائب الشرعي

قدوة النواب المتشرعين نايب الشريعة المطهرة بمدينة نابلس أفندي زيد علمه .

بعد السلام التام بمزيد الإعزاز والإكرام والسؤال عن خاطركم المنهى إليكم غير خاف فضيلتكم أن الدولة العلية طلبت من سباهيات نابلس بدل سنوية عن سنة سبعة وعشرين وتحصل جميعه من أربابه واندفع الى مباشر الدولة وتبقى من أصل المطلوب ثمانماية وستة وستين غرش وربع الذي خصت تيمارات مير ألاي ودار النمر وبوقته صدر مرسوم من سعادة أخينا الدستور الوقور والي الشام ومير الحاج المعظم الى قدوة الامرا الكرام متسلم سنجق نابلس حالاً طوقان زاده موسى بك زيد مجده أن يدفع هذا المبلغ من تعلقات المذكورين فالآن بحسب أمر سعادة

المشار اليه دفع ولدنا البيك المومى اليه هذا المبلغ من ماله تماماً عن المذكورين فاقتضى رأيـ فضيلتكم لكي تدفعوا مراسلة لولدنا البيك المومى اليه أن يأخذ ذلك من متعلقاتهم حسب الامر الصادر وفيما بعد نؤمل عدم سهونا من دعواتكم الخيرية كما يلزم والسلام في ١٥ اش سنة ١٢٣٣.

الحاج سليمان

والي صيدا وطرابلس وعكا

صلح الأغوات والبيكات

توسط القاضي الشيخ محمد التميمي بين محمد آغا النمر وموسى بك طوقان فدفع آل النمر ما عليهم وإذ لم تقع بين الأغوات والبيكات دماء فقد تصالحوا وتفاهموا فعاد موسى بك بعساكره الى الجنيد ونابلس وتبادل الأغوات والبيكات الزيارات والدعوات وتأكد الجميع زوال سوء التفاهم من بينهم.

« الخديعة »

عاد عساكر موسى بك ودم الثأر يغلي في رؤوسهم وعاد موسى بك نفسه يضمر في نفسه الشر وينوي تمثيل رواية محمد علي باشا بالمماليك فاتفق مع رؤساء عساكره على الفتك والغدر بالأغوات وتظاهر العساكر بالنقمة على البيكات فكانوا يثورون عليهم ولا يهدأون إلا حينما يأتي الأغوات ويهددونهم وصار موسى بك يُسر لمحمد آغا تخوفه من ثورة المغاربة في احدى الليالي والهجوم على النساء في القصر وكان يرجو من محمد آغا والأغوات بأن لا يتأخروا عن نجدته في أي وقت لأن العرض واحد فكانوا ينصحونه بضرورة تسريحهم فيظهر التخوف من نقمة الدولة ونقمتهم فصدق آل النمر وخاصة محمد آغا خداعه والكريم يخدع.

وكان موسى بك في نفس الوقت يبث الجواسيس على محمد آغا ويراقب حركاته خشية أن يفطن لخداعه فيقضي عليه .

نجدة محمد آغا وشهامته

لم يخطر ببال محمد آغا شيء مما كان دُبر لأنه فروسي نبيل لا يصدق ولا يفكر بمثل هذه الأساليب الدنيئة فقد عامل البيكات ونساءهم وأطفالهم وخدمهم في غيابهم أحسن معاملة ولم يعتد على دورهم ولا أملاكهم وقد صالحهم وتبادل وإياهم الزيارات والدعوات . لكن موسى آغا ابن خالة موسى بك كان حذراً وكان يسر اليه البعض سوء نية موسى بك فكان يحذر محمد آغا من موسى بك ولكن محمد آغا كان يهزأ بنصح موسى آغا ولا يفكر بشيء لاعتقاده أن موسى بك قلّ عساكره وضعف ناصره ولا يجرؤ على القيام بأي عمل عدائي بعد الضربات التي نالها .

وفي منتصف احدى الليالي من سنة ١٢٣٤ هـ جاء عبيد موسى بك فزعين يستنجدون بالأغوات ويخبرونهم بأن المغاربة ثاروا كعادتهم وهم يريدون اقتحام دار الحريم وانهم إنما أتوا عن الحيطان فصدق محمد آغا ولكن موسى آغا نصحه وقال له هذه مكيدة فقال له محمد آغا بشهامة : الموت أفضل من أن يمس عرض في نابلس وأنا حي . وكان موسى آغا مريضا فعاد لغرفته وذهب محمد آغا يجمع باقي الأغوات فتقلد أحمد آغا سيفين فوق البنش[1] بعد أن وضع خنجراً وردنية[2] تحته فقال محمد آغا هذا يدل على الحرب فخلع أحمد آغا السيفين[3] وأبقى ما تحت البنش

(١) البنش لباس خارجي كالكبود اليوم . (٢) الردنية هي بندقية قصيرة .

(٣) ولما كان في حالة الخطر كان يقول : « ما قتلني إلا ابن عمي شلح السيفين مني » فذهبت بعد ذلك مديحا .

لأن محمد آغا لم يره فسار الأربعة محمد آغا وعلي آغا ويوسف آغا وأحمد آغا الى حتفهم مسرعين ولسان الحال يقول:

والنمر لو لزم الشرى (١) من كان يطمع بالنمور
والطير تأخذها شباك الصيد في ترك الوكور

استشهاد الأغوات

كان للممر المؤدي الى بوابة قصر البيكات بوابتان واحدة في الجنوب تفتح الى حارتي الياسمينه والقريون والاخرى في الشمال تفتح الى السوق واذا أغلقتا أصبح الممر قسماً من القصر. ولما وصل الاغوات للباب الشمالي طرقوا الباب ففتح لهم الحارس الخوخة (٢) فدخل محمد آغا فعلي آغا ويوسف آغا ولما أطل أحمد آغا من الخوخة لاحظ حركة غير عادية من العساكر فرجع وصاح بمن دخلوا ليرجعوا. فشعر



القسم الجنوبي من ممر قصر البيكات طوقان المعروف ببوابة البيك حيث حصل النضال الاخير بين محمد آغا النمر وعساكر موسى بك طوقان

الداخلون بأنهم صيدوا فأسرع علي آغا ويوسف آغا ليخرجوا وراء احمد آغا فانهالت عليهما السيوف وخرا صريعين في الحال.

أما محمد آغا فقد أسرع الى الباب الجنوبي وهجم على الحارس الذي ظنه أحد اخوانه فخطف سيفه. ولما كان يحاول فتح الباب أدركه

---

(١) الشرى هو كهف مرتفع عن الارض قامات يقفز اليه النمر قفزاً فلا يصله أحد فيه إلا قتل. (٢) الخوخة هي باب صغير في البوابة.

العساكر فتلقاهم بالسيف مسنداً ظهره الى الحائط فدافع دفاع الابطال وكان كلما هجموا عليه تلقاهم بالسيف وصاح بهم فتصل ضرباتهم اليه باردة فلا تؤثر فيه فيصيحون «محجوب محجوب» فسمع أميرهم موسى بك نخوتهم وتراكضهم أمام محمد آغا وقد قتل منهم عدداً غير قليل ولم يستعملوا السلاح الناري لكيلا يفيق الناس على الصوت . فصاح بهم موسى بك يحمسهم فاغتاظ محمد آغا ونسي موقفه فتقدم وصاح به قائلا انزل خذ دورك من بين النساء وبذلك خلى ظهره عن الحائط فأحاط به العساكر من كل صوب فخر صريع الغدر بعد أن أبلى بالدفاع عن نفسه وقتل من العساكر وجرح عدداً كبيراً ولسان الحال يقول :

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم

الفصل الثامن

دور الدفاع المجيد

بسالة أحمد اغا ونجاته

ارتبك العساكر بين أن يتبعوا أحمد آغا وبين أن يقفلوا الخوخة على من دخلوا فتمكن أحمد آغا من النجاة شرقاً ولما تبعوه أخرج الردنية وقدحها وأطلقها فصاح بهم فنزل على الصوت بعض أصحاب الدور واستل خنجره وصار يدافع عن نفسه وشاركه بذلك من وصلوا من الجيران فدافعوا وقتل في الدفاع عنه رجل من آل الخواجه طوقان وآخر من آل شموط ثم كثر الناس فتمكن أحمد اغا من التخلص مثخناً بجراح نيفت على الثلاثين جرحاً ، وبعد نجاته من العساكر سار عن باب

جامع العين الشرقي إلى تل الكريم وما زال ينقل من دار الى أخرى إلى أن أتى آل جرار واستلموه من دار جابر المجاورة للشمال الشرقي من الجامع الحنبلي فحملوه على جمل ملفوفاً بالقطن وممدوداً على الواح بين بالتين من القطن وأنزلوه في عصيرة . وكان الاسطاوات من آل أبي غزاله قد ضمدوا جراحه وما زالوا يزورونه في عصيرة إلى أن شفي وانتقل الى عرابة فقضى عند الشيخ حسين العبد الهادي دور النقاهة وما زال موضع إكرام آل عبد الهادي إلى أن اشتد فرجع الى نابلس يشارك ابن عمه موسى آغا في الثأر والانتقام .

رباطة جأش موسى آغا

كان موسى آغا مرضاً فلم يذهب مع محمد آغا ، وبعد نحو ساعة من الحادثة قبيل الفجر بلغه الخبر المشؤوم الذي توقعه فقابله برباطة جاش . وكان العساكر قد أخرجوا جثث القتلى الى الشارع فدفنها واطمأن على أحمد آغا ، ثم تفرغ لخطة الدفاع والثأر ولسان حاله يتمثل بقول الحارث[1] ابن عباد البكري :

قربا مربط النعامة مني لقحت حرب وائل عن حيال
لم أكن من جناتها علم الله وإني بحرها اليوم صالي

وكان أول شيء عمله أن أشار برجد[2] الأزقة والشوارع وانتخب أبسل رجال الحارة للحراسة الى أن تصل نجدات القرى ، ولما وصل الحاج أحمد آغا اليوسف الجرار بجرود الشمال سلمه موسى آغا الحارة ،

---

(١) قالها في حرب البسوس فذهبت مثلاً . (٢) رجد الأزقة أي سدها الى قرب السقف بالأحجار فيبقى مقدار بسيط بين الاحجار والسقف يختبئ وراءه الحراس .

واستلم رجاله أحمد آغا النمر ، وعهد موسى اغا لأخته الست يمن[1] بالدفاع عن القصر الكبير ، ولزوجته الست فطوم بالدفاع عن القصر الصغير ثم حصل على عريضة موقعة من القاضي والمفتي والنقيب وسائر العلماء والمير ألاي بالواقع وأخرى من شيوخ القرى والعشائر ، وسافر بها الى دمشق الشام .

دفاع السنات

تمرنت نساء آل النمر على استعمال السلاح والحصار والمقاومة بالزيت[2] المغلي ، و كان عددهن إذ ذاك يربو على العشرين وقد حشدن في كل قصر عدداً من المحاربات[3] من نساء المدينة والقرى وقد نزل في الدواوين عدد كبير من الأبطال ليكونوا على استعداد تام اذا حاول عساكر موسى بك احتلال أحد القصرين كما فعلوا قبل بضع سنين .

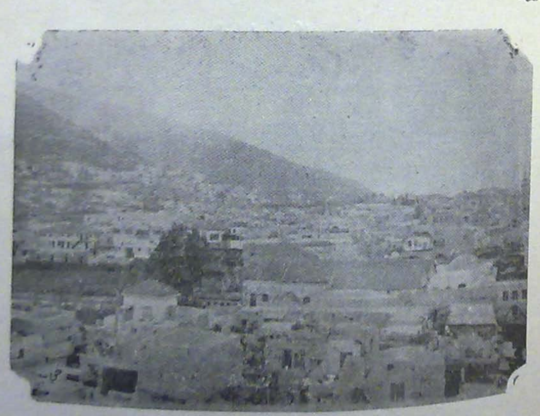
وقد حصل ما توقعنه ففي فجر إحدى الليالي سمعت الست يمن ضرب فاس في الجدار الشمالي من القصر الكبير ، فأسرعت الى الكوة[4] فشاهدت ثلة من عساكر موسى بك تحمس عدداً من البنائين الذين يحاولون لغم الجدار بالبارود ونسفه ، وشاهدت عن بعد وراء العساكر رجلاً يعطي الإشارات ويرتب الخطة ، فأخذت بندقيتها (بارودتها) وصوبتها نحوه وكانت تجيد إصابة الهدف فأردته قتيلاً فإذا هو فرهود السعيد[5] طوقان

---

(١) راجع تراجم النساء المشهورات في فصل النساء من باب أحوال المجتمع الاقطاعي من الجزء الثاني . (٢) كانوا في الحصار يغلون زيت الزيتون ويصبونه من الكوى على المهاجمين . (٣) راجع فصل النساء في الجزء الثاني . (٤) الكوة : هي نافذة صغيرة لاطلاق النار كانت بجدران القصور الخارجية . (٥) وقد قتل أخوه عبد الله السعيد في معركة أخرى .

ضابط العساكر . فانتبهت الستات على صوت الطلق وأسرعن بالصعود الى الأسطحة واستلمن الكوى وصرن يطلقن النار وينتخين فانتبه الحراس في قاعة الرجال ، وخرجت الجموع فطاردوا العساكر الى أن أدخلوهم داخل الحارات الغربية ، وقد شاهد موسى بك خذلانهم بعينه .

وفي مساء يوم آخر هاجم العساكر قصر محمد آغا وكان في الشارع السيد عبد الرحمن تفاحة [1] ، فضايقوه واستنجد ، فأنجدته الست فطوم وأطلقت النـار ، فتركوه وخرج المحاربون والمحاربات وردوهم جميعاً الى داخل الحارات الغربية ، وبعد هذا الخذلان الذي نال عساكر موسى بك من الستات تواروا ولم يعودوا الى الهجوم مرةً أخرى . ولما كثرت جرود القرى فك الحصار ، وأصبحت جموع آل النمر مهاجمة بعد أن كانت مدافعة .



منظر حي الحبلة الأبي

❁❁❁

(١) وقد قتلوه فيما بعد في معركة أخرى .

دفاع حي الابلاء

كان حي الحبلة يحسب نصف البلد من حيث العشائر والسكان ، وكانت جروده تقدر بألف بواردي ، وقد أغاظ الحبلاوية[1] موسى بك بجلائهم أولاً وبذبحهم عساكره ثانياً ، فعمل قصارى جهده لإغاظتهم وكانوا يعلمون ذلك ، ففتحوا بين جميع الدور الأبواب والدهاليز ، وانتشروا في أطراف الحارة يحرسونها ليلاً نهاراً ، فاحتلت عساكره الشونة ورابطت في القبور ، فصار الحبلاوية يدفنون موتاهم جوار مقام الشيخ مسلم . ثم قطع عنهم ماء القريون ورأس العين ، ففتحوا في دورهم الآبار . وصار العساكر يمنعون عنهم البيع من القرى ، فصبروا الى أن وصلت نجدات القرى وآل جرار .

جرود القرى

كان للغدر بعد الصلح أثر كبير في نفوس عشائر القرى فجن جنونهم وعادوا يغيرون على نابلس يلتقطون عساكر موسى بك وينسلون الى حارة الحبلة يشتركون معها في الدفاع عن كيانها ويمدونها بما تحتاج اليه فكثروا في الحارة وأوقفوا هجوم العساكر كما مر .

نجدة أحمد آغا اليوسف

استولى على حارة الحبلة الوهم في الأيام الاولى الى أن وصل أمير الشمال الحاج أحمد آغا اليوسف الجرار بجروده وجموعه ينجد حارة الحبلة التي ردت جموع أخيه عن الأحياء الغربية حينما هاجمتها قبل عشر سنين بعد أن كسرت عساكر موسى بك وقتل ولده فانتعشت حارة

---

(١) نسبة لحي الحبلة .

الحبلة واستردت معنوياتها وصارت مهاجمة بعد أن كانت مدافعة . فخرج موسى بك بعساكره من نابلس ونزل بهم في قلعة الجنيد وصاروا يهاجمون نابلس والقرى .

اضطهاد آل أبي غزالة

بمجرد علم الاسطاوات[1] من آل أبي غزالة بنجاة أحمد آغا حضر منهم الاسطه علي والاسطه عبد الحليم فضمدوا جراحه وأخفوا أمره عن موسى بك ، ولما انزل في عصيرة أعلموه بموته وكانوا يسعفونه هناك ولما بلغ موسى بك الامر صمم على قتلهم فاختفوا في مخدع في دارهم ينزلون اليه من خزانة في احدى الغرف فاضطهد من ظفر به منهم وظل اسطاواتهم الكبار مختفين الى أن وصلت عساكر الشام وخرج موسى بك من نابلس .

هدم تل الكريم

كان موسى بك يعلم بأن أحمد آغا النمر لا يقل في بطولته عن ابن عمه محمد آغا فكان اهتمامه به عظيماً وصمم على الإجهاز عليه . ولما بلغه أنه نزل في تل الكريم[2] وأخفاه أهله سخط عليهم وهدم عدداً كبيراً من دورهم وحولها الى بساتين والبعض الآخر تركه ركاماً .

مذبحة آل هواش

كانت حراسة مياه رأس العين منوطة بآل هواش[3] ولما بدأ

(١) الأسطة أي الطبيب في عرفهم إذ ذاك — راجع فصل العلوم والفنون الأخرى في باب العلم من الجزء الثاني . (٢) تل الكريم هو الجهة الغربية من حي الحبلة وهو المجاور للجامع الحنبلي من الشرق الشمالي (٣) هم من الجرادات الذين نزلوا في نابلس ويسكنون في حي الياسمينة أو من سكان عين الصورتين .

عساكر موسى بك بتخريب قناة رأس العين الشرقية قاوموهم فقتلوا منهم بضعة عشر رجلاً وقد حل مثل ذلك بكثير من الاسر والعشائر فلم تبق عشيرة أو اسرة في جبل نابلس إلا ونكبت بالنفوس أو الأموال والاملاك من موسى بك وعساكره.

الفصل التاسع

القضاء على قوى موسى بك

موسى آغا ووالي الشام

فطن موسى بك للشكاية الى الوالي كعادته فكتب اليه يخبره بأن آل النمر حاولوا قتله وهجموا على داره فقتلهم وقد نجا منهم واحد طلب منه القبض عليه مقدماً له الرشوة والهدايا كعادته. ولم يكد موسى آغا النمر ينزل في دمشق حتى قبض عليه رجال واليها عبدالله باشا العظم وكان مع موسى آغا وفد وهناك أقاربه فأنقذوه ثم هرب من دمشق وركب البحر الى العاصمة ليخبر السلطان بأعمال موسى بك وفعلة عبدالله باشا.

مصطفى آغا والسلطان محمود

بعد خروج الافرنسيين من مصر حاول السلطان سليم الثالث إصلاح الجيش فقتله الانكشارية وحاولوا قتل الامير محمود ولي العهد فهرب من مدخنة المطبخ الى السطح واختفى الى أن جاء أعيان الروملي وجموعهم بقيادة علمدار[1] مصطفى باشا فدفنوا جثة السلطان المقتول وولوا الأمير

(١) أي صاحب العلم أو العلمي.

محمود عرش أجداده . ثم قتل الانكشارية مصطفى باشا فجمع السلطان الجموع وقتل من كان من الانكشارية في العاصمة واختفى الباقون فأقام السلطان حوله الحرس الكثيف وأصبح الوصول اليه صعباً جداً . ولما وصل موسى آغا الى الاستانة وطلب المثول بين يدي السلطان ليعرض له أمراً خطيراً منع ولم يسمح له الحجاب فخابت آماله وضاقت الدنيا بوجهه ثم فكر - وكان من أذكى أهل عصره - فصعد إلى أقرب مأذنة لقصر السلطان وأذن بين العصر والمغرب ثم صاح بعد الأذان « مظلوم يا ملك الزمان مظلوم يا ابن عثمان ، مظلوم يا سلطان الاسلام » وقد كان صوته رخيماً زادته النكبة حناناً فتأثر السلطان محمود وأرسل الحجاب ليأتوه به في الحال قائلاً هذا مظلوم أو مجنون . ولم يكد موسى آغا يتم الكلمة الأخيرة إلا والحجاب يمسكون به .

كان موسى آغا مهيباً عظيم الجسم مع جمال الخلقة وحسن الهندام وضع على رأسه عمامة كبيرة من الشال الكشميري الأبيض ختمها بحجر من الزمرد وأنزل طرفها على فروة السمور . وقد أزالت الكارثة من نفسه الكبيرة كل هيبة فدخل على السلطان غير هياب وكان يجيد[٢] التركية فحيا السلطان التحية المعتاده ، ثم شرح لجلالته ما أصاب اسرته والبلاد من مظالم موسى بك ووالي الشام وقدم له عرائض العلماء وشيوخ العشائر بحق البيكات فحزن السلطان العادل وقد تذكر ما حل به وبعمه قبل بضع سنين ، فوبخ الحجاب وأمرهم بعدم التعرض اليه وبالسماح له بالمثول ما دام في الاسلامبول[٣] .

(١) راجع مبحث الأمراء والعلم في باب الامارة من الجزء الثاني . (٢) أي تخت الاسلام ثم حرفت الى استانبول .

وكان موسى آغا قد وضع الذهب في حذائه فلما نزعه أخذه الحجاب عن باب المقصورة وأخذوا ما فيه وما زال في الاستانة والحجاب يساعدونه على المثول بين يدي السلطان الى أن حصل على الاوامر العالية بعزل عبدالله باشا العظم وتعيين درويش باشا آل رضوان وهدر دم البيكات وبذلك نجت الشام من مظالم عبدالله باشا ودسائسه وسر جبل نابلس من عدل السلطان وصاروا بعد ذلك يقولون «استانبول دار العدل».

وصول موسى آغا وعساكر الشام

لما وصل موسى آغا الى الشام اتصل بدرويش باشا رضوان فبلغه التعيين وعزل عبدالله باشا وعمم الخبر مع اللهجة السلطانية الشديدة بحق عبدالله باشا فأصدر الوالي الجديد الأوامر بعزل موسى بك وهدر دمه ودم البيكات وسجل مرسومه ومرسوم السلطان في سجلات مجالس الشرع في دمشق ونابلس والقدس. وعين الحاج أحمد اغا اليوسف الجرار متسلما على نابلس وعزز موسى آغا بفرقة من عساكر الشام بقيادة سكمان[1] باشي الولاية فدخلوا نابلس في ربيع الثاني سنة ١٢٣٥هـ.

مرسوم درويش باشا بهدر دم البيكات وابقاء العساكر

قدوة النواب والمتشرعين نايب أفندي بمدينة نابلس حالاً زيد فضله وعمدة المدرسين مفتي أفندي زيد فضله ونخبة الأشراف نقيب أفندي زيد شرفه وافتخار الأماجد الكرام متسلمنا بها حالاً الحاج أحمد آغا الجرار زيد مجده ومفخر الأقران مير آلاي زيد قدره وبقيت علما وفقها ومدرسين ووجوه وأعيان وذوي التكلم تحيطون علما هو اننا بتاريخه أبقينا سكمان باشي بابنا بهلوان اغا بطرفكم لأجل حفظ البلدة المراد

---

(١) أي محافظ السرايا.

تنزلوه في قوناق [١] موسى بك طوقان وتسلموه أبواب البلدة لمحافظتها فتكونوا معه قلباً وقالباً وبخصوص موسى بك وأخيه رضوان بك [٢] وابن أخيه أسعد بك فالجميع منكم تعرفوا انهم خارجين من خاطرنا لما توقع منهم من العصاوة والظلم والتعدي عليكم وعلى الرعايا ودايع رب البرايا فالمراد ما معكم إذن تدعوا أحد منهم يدخل نابلس لا ليلاً ولا نهاراً ولا سراً ولا جهراً وإذا صار من أحد منهم مجاسرة وأغواه الشيطان ودخل الى نابلس ترموا عليه القبض وترسلوه لطرفنا والذي تقتلوه منهم فدمه مهدور فتكونوا جميعاً بالاتفاق والاتحاد قلباً واحداً وحالا واحدة ومعاذ الله إذا بلغنا بأن أحد من أهالي نابلس ومن أهالي نواحيها صار منه مجاسرة ومداجاة ومسافلة مع أحد من بيت طوقان يلزم نطلع من حقه بما يستحقه وتكون خطيته في عنقه ولومه على نفسه ويندم ولا يقدر على رد الجواب فبناء على ذلك أصدرنا لكم مرسومنا هذا من ديوان الشام فبوصوله ووقوفكم على مضمونه تعملوا بموجبه والحذر من المخالفة

في ٢٥ ر سنة ١٢٣٥. وعليه ختم الولاية الكبير المعتاد

مرسوم آخر بخصوص داء موسى بك

قدوة النواب الكرام نايب أفندي ومفتي أفندي ونقيب أفندي زيد علمهم.

بعد التحية والتسليم تحيطون علماً أن عرضحالكم وصل وصار معلومنا حضور سكمان باشي بالمرسوم من طرفنا ورأيتم مناسب أن تجعلوا

(١-٢) إن هذا التحامل على رضوان بك وأسعد بك هو مجرد تهمة والحقيقة انهما لم يشتركا مع موسى بك بالمؤامرة وقد انفصلا عنه بعدها ولم يشاركاه بشيء الى أن وقع الصلح وأصبحت المرسومات تصدر بحق موسى بك فقط كما سيظهر.

على أبواب المدينة انفار معلوم تنزلوا سكمان باشي في دار موسى بك البرانية الخارجية عن الحريم وتسدوا البـاب الفاصل بين البراني والحريم والمراد على موجب الشرع الشريف لا يصير مغاير الذي تروه مناسب على الوجه الشرعي لأن نحن ما مرادنا سوى راحتكم وراحـة الرعايا وصيانتهم واستجلاب دعواتهم الخيرية الى حضرة مولانا السلطان نصره العزيز الرحمن ولنا والى الحجاج المسلمين اقتضى نعرفكم على ذلك أصدرنا لكم مرسومنا هذا اعلموه واعتمدوه في ٢٥ ب سنة ١٢٣٥.

عبده

محمد درويش

اخراج موسى بك وهدم قلعة الجنيد

لما تكاثرت الجموع أصبحت حارة الحبلة مهاجمة بعد أن كانت مدافعة فانسحب موسى بك بعساكره إلى قلعة الجنيد . ولما بلغ عشائر البلاد عزل موسى بك وتعيين الحاج أحمد آغا اليوسف طردوا العساكر من بلاطه واودله وأحاطوا بقلعة الجنيد . ولما شعر موسى بك بخطورة الموقف انسحب من قلعة الجنيد ونزل في جماعين وبعد خلو قلعة الجنيد خرج الجموع والعساكر وهدموا قلعة الجنيد الى الارض بأمر من والي الشام وبعد هدمها جاء من الوالي مرسوم عن ذلك جاء فيه : «غير خافيكم أن موسى بك قد بنى قلعة الجنيد على الفساد وأذية العباد وذلك معلوم الجميع من رفيع ووضيع وحين تقرر لدينا ذلك فابتغـاء لوجه الله ومرحمة لعباد الله أخرجناه وأزلنا بناه وهدمناه وأرسلنا لكم مرسومنا هذا في ٢٣ ب سنة ١٢٣٥ .

❀❀❀

موت جرار وتعيين السلحدار

مات الحاج أحمد آغا الجرار بعد بضعة أشهر من تاريخ تعيينه وبموته فقد جبل نابلس أميرا خطيراً قوي النفس والعصبية شجاعاً عزيزاً وفقد ال النمر أكبر نصير وفقد آل جرار كبيراً لم يرزقوا بعده مثله . وبموته فقدت نابلس حاكماً وطنياً مهاباً فتوالى عليها حكم المتسلمين الغرباء الذين لا حول لهم ولا قوة فكان أولهم حسين آغا السلحدار(١) وإذ كان موسى بك لا يزال في جماعين كتبت نابلس للوالي بذلك فورد منه المرسوم الآتي :

مرسوم الوالي بطرد موسى بك من جبل نابلس

قدوة النواب والمتشرعين نايب الشريعة المطهرة حالاً أفندي زيد فضله ونخبة العلما والمدرسين ومأذون بالافتا زيد علمه وفرع الشجرة الزكية قايمقام نقيب الاشراف زيد شرفه وعمدة الأماجد والأعيان سلحشور خاصة وسلحدارنا سابقاً ومتسلمنا بها حالا الحاج حسين آغا زيد مجده ومفاخر الطلبة علما ومدرسين زيد طلبهم ومفاخر أقرانهم مير ألاي وموسى آغا النمر زيد قدرهم ووجوه وأعيان وضابطان ومشايخ واختيارية قرايا نواحي جماعين وبني صعب والشعراوية الشرقية والغربية ووادي الشعير وعقربا وبيتا وكافة أهالي نابلس داخلاً وخارجاً بوجه العموم تحيطون علماً بخصوص موسى بك طوقان فقد طرق مسامعنا بأنه بعد فراره من مدينة نابلس توجه الى قرية جماعين ونزل بها فهذا ضد رضانا من وجوه عديدة أولاً فانه معلوم الجميع أن المذكور خارج من رضى الدولة العلية نصرها رب البرية وفي حقه فرمان عاليشان .

(١) السلحدار أي امير السلاح .

وثانياً فان جميع المفاسد والفتن وسفك الدماء والاعتساف الواقع في نابلس داخلاً وخارجاً فهو كان سببه وذلك معلوم عند الجميع منكم فالآن صادر مرسوم من لدينا الى أهالي جماعين بطرده من عندهم وحذرناهم من عواقب ذلك ثم أصدرنا لكم مرسومنا هذا المطاع فالمراد بوصوله ووقوفكم على مضمونه تبادروا الى طرد موسى بك المذكور من جماعين ومن كافة نواحي نابلس وأطرافها ما معكم اذن تلقوه ولا تستقبلوه ولا تتركوه بوجه من الوجوه ولا بسبب من الاسباب واطردوه من جميع أطرافكم طرداً عنيفاً بالاذهاب المريع لأن جل غرضنا راحتكم ورفع الفتن من بينكم الذي كان أصلها وسببها واعلموا وتحفظوا أن كل من لقاه وداجا معه بأدنى شيء يكون خارج من رضى الدولة العلية ومن رضانا أيضاً فتكونوا جميعاً قلباً وقالباً بالاتفاق والاتحاد ومعاذ الله تعالى اذا بدى من أحد منكم أدنى مخالفة الى مرسومنا هذا نطلع من حقه بما يستوجبه ويستحقه ويندم غاية الندم ولا يقدر على رد الجواب فبناء على ذلك أصدرنا لكم مرسومنا هذا من ديوان الشام والقدس الشريف ونابلس فبوصوله تعملوا بموجبه وتتحاشوا مخالفته اعلموه واعتمدوه والحذر من الخلاف   في ٦ ش ١٢٣٥٠

محمد درويش

والي الشام والأيالة ومير الحاج

مطاردة موسى بك

بعد صدور هذا المرسوم خرج موسى اغا النمر والمتسلم حسين آغا والمير ألاي أبو بكر بك وأحمد آغا النمر بالجموع وعساكر الشام الى جماعين فطردوه منها ولم يذهب الى جهة إلا واستعاذت منه وتشرد

عساكره ولم يبق معه إلا شرذمة قليلة توجه بها الى جهة غير معلومة وخرج موسى آغا وأحمد آغا النمر بفدائيتهم وأبسل رجالهم يقتفيان أثره.

دفع البيكات من بني صعب

سافر الشيخ أحمد الجيوسي الى استانبول معززاً بالعرائض والتواصي فحصل على أمر سلطاني بمشيخة بني صعب ورفع البيكات منها نهائياً وأيده الوالي بمرسوم آخر وانتهى النزاع على مشيخة بني صعب وذلك في سنة ١٢٣٦ هـ.

موقف آل طوقان من البيكات

كان سائر فروع آل طوقان قد خرجوا من الجد الخامس وبحسب عرف[1] البلاد أصبحوا بعيدين عن البيكات وبالرغم عن أن فروع الأغوات لم يخرج إذ ذاك فقد انفصل ونظراً لصهارة الفروع المذكورة لآل النمر فقد وقفوا على الحياد منذ وقع النزاع بين أحمد بك طوقان وابراهيم آغا النمر قبل مجيء الافرنسيين وقد حصل بينهم جفاء. وعد البيكات باقي الفروع لصقاء باسم طوقان لأنهم لم يشاركوهم في العداوة مع أهل البلاد ولم يثبت معهم إلا آل السعيد طوقان الذين قتل منهم اثنان كامر وقد كانوا ضباطاً على العساكر.

ولما غدر موسى بك وعساكره بالأغوات تخلى عنه أقاربه البيكات وبقي بعد ذلك وحده. وقد أعلنوا براءتهم من أعماله وأثبتوا للجميع براءتهم وبعدهم عن المؤامرة فقد جاء أسعد بك من بني صعب يريد قتله فحال العساكر دونه وهددوه فعاد لبني صعب هو ورضوان بك ومصطفى بك ونساؤهم وعيالهم جميعاً وبعد أن رفعوا من بني صعب نزلوا على

(١) راجع فصل القانون العشائري في باب الامارة من الجزء الثاني.

الرشيدات في صير وظلوا هناك الى أن دعوا للصلح واستولت نابلس على أملاكهم الى ما بعد الصلح ببضع سنين كما سيأتي . وبقي التحامل على موسى بك وحده كما يظهر من المرسوم الماضي والمرسومات الآتية . وقد عدت مسألة شخصية فلم يكد موسى بك يقتل بالسم حتى تم الصلح في اليوم الثاني كما سيأتي . ولم يستحسن قديماً وحديثاً أحد من آل طوقان غدر موسى بك الذي لا يقره شرع ولا عرف وعادت الصلات بعد الصلح الى أحسن ما كانت وكل ما حصل بعده إنما كان وقتياً .

الكون الكبير

خرج موسى بك من جبل نابلس ونزل على الطرشان امراء جبل الدروز . وبينما كان أحمد آغا النمر وموسى آغا النمر يبحثان عنه لقتله باغت نابلس بجموع من الدروز والبدو وباقي العساكر والانصار فاشتبك مع نابلس بحرب طويلة وما زالت في ضيق الى أن بلغ أحمد آغا وموسى آغا الخبر فأسرعا بمن معهما وجمعا ما استطاعا من جموع القرى والبدو وجاءا الى نابلس وفي ختام اليوم الخمسين من الحرب والحصار كسروا الدروز فهربوا بعد أن قتل منهم ومن باقي أنصار وعساكر موسى بك عدد كبير وقد سميت هذه الحرب الطويلة بالكون الكبير [1] وقد سمي من ولدوا في تلك المدة بالكوني [2] وكان ذلك سنة ١٢٣٧ هـ .

وقد فر موسى بك من جبل نابلس واختفى عند صهره محمد آغا ابو نبوت حاكم يافا وغزة فاستراحت البلاد منه سنة كاملة .

---

(١) راجع عرف الصفوف في باب الامارة من الجزء الثاني . (٢) سمي ثلاثة اولاد في نابلس بالكوني . لهم اليوم ثلاث اسر تسمى بهذا الاسم فهي ذكرى تلك الحرب الدرزية النابلسية وقد انتقم عبد القادر اغا بن موسى اغا بطوابير نابلس من الدروز كما سيظهر ذلك في حوادث دور الانتقال من الجزء الثالث .

الفصل العاشر

آخرة موسى بك والصلح النهائي

ظهور موسى بك

انتقمت البلاد من الذين ظاهروا موسى بك والدروز شر انتقام ، وبينما هم في أشد الضيق ظهر موسى بك في جهات غزة ، فرفع أنصاره رؤوسهم وتظاهروا بالفساد ، فكتبت نابلس للوالي تخبره بذلك ، وكان حسين آغا متسلم نابلس قد تركها بعد الكون الكبير ، فأسرع مصطفى بك طوقان وحصل عليها ، فكتبت نابلس للوالي ترفض تعيين أحد من آل طوقان ، فعين سليمان آغا أحد رجاله متسلماً على نابلس ، وأرسل معه مرسوماً شديد اللهجة .

موت درويش باشا وسليمان باشا

في أوائل سنة ١٢٣٨ مات درويش باشا والي الشام ومات قبله سليمان باشا والي عكا اللذان يعرفان موسى بك وسخط الدولة عليه حق المعرفة وتعين حسين باشا على عكا وصالح باشا على الشام ، فتشجع موسى بك على الظهور في جهات غزة ، فهرب حسين آغا السلحدار من نابلس ، وأسرع مصطفى بك طوقان فحصل على أمر بالمتسلمية من الوالي الجديد كما مر فرفضت نابلس تعيين مصطفى بك وانتخبت موسى آغا النمر وكيلاً للمتسلمية ، فعزل الوالي مصطفى بك ، وعين أحد رجاله سليمان آغا متسلماً على نابلس وأقر موسى آغا النمر في الوكالة ، كما سيتبين في مرسوم الوكالة الآتي ذكره .

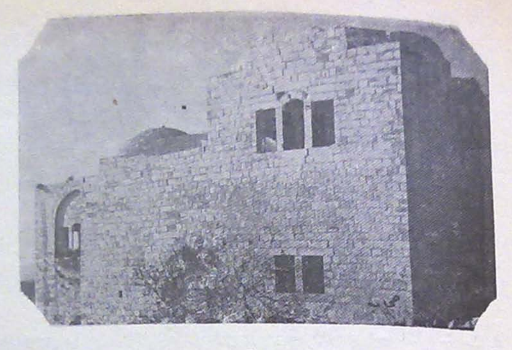
التآمر على موسى بك

لما وصل سليمان آغا لنابلس في رمضان سنة ١٢٣٨ ووجد ذعرها من موسى بك عاد الى دمشق تاركاً منصبه ، فذهب موسى بك الى دمشق وحصل على أمر بالمتسلمية من صالح باشا الوالي المرتشي . ولما بلغ نابلس الخبر ، اجتمع موسى آغا النمر ، وأحمد آغا النمر والميرالاي أبو بكر بك ، والشيخ حامد القدومي شيخ الشتيوات ، وشيوخ جماعين وهم الشيخ قاسم الأحمد ، والشيخ حسن المدينة ، وأبو بكر الجماعين ، وقرروا قبول موسى بك كمتسلم وإطماعه بالصلح مع موسى آغا وأحمد آغا ثم الغدر به وقتله بالسم ، فيخلصوا منه ومن نقمة الوالي ، وينتهي الأمر بالصلح .

مصرع موسى بك

عاد موسى بك متسلماً على نابلس بموجب مرسوم مؤرخ في الخامس من صفر سنة ١٢٣٩ هـ ونزل ضيفاً على عدوه القديم الشيخ قاسم الأحمد في بيت وزن فاستقبله بحفاوة ورحب بـه ، ثم حادثه عن خور عزيمة أحمد آغا وموسى آغا وفزعهما ولينهما للصلح معه ، فاطمأن موسى بك وأكثر الشيخ قاسم الأحمد من التردد على آل النمر في نابلس وجمع أسعد بك[١] ومصطفى بك مع موسى بك وصار يشاور شيوخ البلاد عن الصلح الى أن توهم الجميع أن الصلح حاصل وأخذ شيوخ البلاد يفدون على آل النمر لإقناعهم وفي أصيل يوم الثلاثاء السادس عشر من ربيع الاول سنة ١٢٣٩ هـ قدمت القهوة في بيت وزن لموسى بك وشيوخ البلاد

(١) اما رضوان بك فقد كان في دمشق على الراجح فلم يحضر الصلح وبعد حضوره نزل ضيفاً على أحمد آغا النمر صديقه من قبل وانتهي كل شيء .



قصر الشيخ قاسم الاحمد في بيت وزن وقد بني
من حجارة قلعة الجنيد بعد هدمها

فتناول موسى بك الفنجان الأول المعد له بصفته أكبر الموجودين وفي ذلك الفنجان وضع السم القاتل فشربه موسى بك مع الشيوخ جميعاً وهو آمن كما خرج اليه محمد آغا والأغوات لنجدته وهم آمنون وبعد شرب القهوة دخل موسى بك وأسعد بك ومصطفى بك وعدد كبير من شيوخ جبل نابلس الى نابلس فنزل فريق منهم على البيكات وفريق منهم على الأغوات ليتم الصلح في الصباح حسب الاصول .

وبات الجميع ينتظرون الصباح وفي تلك الليلة شكا موسى بك مغصاً في بطنه ثم سكنت نبضات قلبه الجبار ولما أصبح الصباح اتهمت بسمه زوجته بنت محمد آغا أبي نبوت حاكم يافا التي كانت تبغضه وطردت من الدار فخرجت تزغرد من الغيظ . ودفن موسى بك في مقبرة آل فروخ يوم الاربعاء السابع عشر من شهر ربيع الأول واستراح جبل نابلس من شر مستطير دام عشرين سنة أو تزيد وقتل

موسى غدراً كما قتل محمد آغا وأبناء عمه غدراً وكان ثالث من قتل من آل طوقان وقد أخفى السم محافظة على عرف الضيافة وخوفاً من نقمة الوالي ولكن الامر ظهر بعد الصلح وصارت النادبات يقلن : « يا قاسم رينتك[1] مقسوم ».

الصلح النهائي

قتل آل النمر من آل طوقان عبدالله وفرهود السعيد طوقان ضباط موسى بك وقد قتلوا موسى بك بالسم فكان الثالث فلم يترددوا في قبول الصلح وفي اليوم التالي لمصرع موسى بك أي يوم الخميس الثامن عشر من شهر ربيع الاول سنة ١٢٣٩ هـ حصل الصلح بين البيكات والآغوات وأسعد السعيد طوقان بحضور القاضي والمفتي والنقيب وشيوخ العشائر والنواحي وكتبت بالصلح حجة سجلت في سجل مجلس الشرع الشريف بنابلس وهي الآتية :

حجة الصلح

ابرهيم الجوهري المفتي
بمدينة نابلس

الفقير اليه عز شأنه النائب
بمدينة نابلس السيد محمد
موسى التميمي غفر له

بالمجلس الشرعي المحرر المرعى بمدينة نابلس أجله الله تعالى لدى مولانا فخر المدرسين الكرام لما كان قبل تاريخه قتل موسى بيك حال حياته من أولاد النمر ثلاث رجال وهم محمد آغا ويوسف آغا وعلى آغا واستمرت العداوة والبغضاء أياماً ثم أن أولاد النمر ظفروا برجلين من

---

(١) اي لينك .

أولاد[١] طوقان وهما عبدالله وفرهود وقتلاهما ووقع التنازع ولم يزل الخصام والنزاع بينهما الى الآن ففي تاريخه حصل الصلح والاصلاح بين الجهتين وجعلوا محمد آغا وعلي آغا بدلاً وعوضاً من عبدالله وفرهود وبقي لأولاد النمر[٢] يوسف آغا ولم يختاروا دية ولا غير ذلك بل طلبوا أن تكون عمومية فيما بينهم أخاوين في الدية دافعين في الدية ليس بينهم عدوان ولا بغضاء وتوافقوا على ذلك بحضور مناصب البلاد الواضعين أسماءهم أدناه فحضر لمجلس الشرع الشريف فخر الامراء الكرام أسعد بك طوقان وفخر الامراء الكرام موسى آغا النمر وفخر الامراء الكرام باشا[٣] زاده مصطفى بك طوقان وفخر الامراء الكرام أحمد آغا النمر وأسعد بن الحاج محمد سعيد طوقان وأشهدوا على أنفسهم عن طيب قلب وانشراح صدر من غير إكراه ولا إجبار ولا مانع يمنعهم من صحة هذا الاشهاد الشرعي عالمين بمعنى ذلك وما يترتب عليهم من ذلك شرعاً انهم جعلوا محمد آغا وعلي آغا في مقابلة عبدالله وفرهود ويوسف آغا جعلوه عمومية فيما بينهم وأسقط كل منهم حقه في جميع ذلك وتباروا منه إبرائاً عاماً قاطعاً مانعاً حاسماً حازماً لكل طلب ودعوى وتظلم وشكوى قابلاً كل منهم قبل الآخر مسقطاً لكل طلب وانفصل ذلك على يد مناصب البلاد المذكورين وتحرر هذا السند بأيديهم ولما كان الحال على

---

(١) اخفي سم موسى بك وظل امراً مكتوما الى مابعد الصلح واختلفت في سمه الروايات فمن قائل انه وضع في القهوة ومن قائل انه وضع في اقراص الخبز ومنها رواية خطية لسامري معاصر يقول « انه تساط على السامريين فساط الله عليه احد مشايخ الصف فسمه . (٢) يوسف اغا هو أخو موسى اغا وله الحق بالتنازل عنه أما علي اغا ومحمد آغا فليس لهما اخوة ولا أولاد . (٣) هو ابن مصطفي باشا سمي على اسم ابيه تخليداً لذكره .

هذا المنوال سطر ما هو واقع بتاريخ الثامن عشر من ربيع أول سنة تسع وثلاثين ومايتين والف هجرية ·

الفقير	الفقير	الفقير	الفقير	الفقير
مصطفى العديلي	ناصر المنصور	موسى عثمان	سليمان	أبو بكر
البيتاوي	البيتاوي	جماعين	جماعين	جماعين
الفقير	الفقير	الفقير	الفقير	الفقير
عبدالله اسعيد الداود	قاسم الاحمد	حسين عبد الهادي	عيسى البرقاوي	احمد الشايب
الجرار	الجرار			مرداوي
الحاج عساف	علي الموسى	خليل الحمد	الفقير السيد	
عرابي	عرابي	دير الغصون	حسين أبو اللطف	

وغيرهم جمع غفير من المسلمين

استرداد الاملاك وتأكيد الصلح

استولى أهالي نابلس على أملاك البيكات بعد خروج موسى بك من نابلس ولم يتركوها حتى سنة ١٢٤٦ ﻫ اذ في هذه السنة صار مصطفى بك متسلماً على نابلس فحصل على أمر باستردادها · وفي سنة ١٢٤٧ ﻫ بلغ أبناء المقتولين من آل طوقان رشدهم فحضر لمجلس الشرع محمود بن عبدالله طوقان والحاج محمد بن فرهود طوقان بالاصالة عنهما وبالوكالة عن أبيهما واخواتهما وصادقا على الصلح الماضي بحضور أحمد آغا النمر وعبد القادر آغا النمر وحكم بذلك القاضي الشيخ عبد الواحد الخماش بشهادة شهود وسجله فانتهى كل ماله صلة بالحوادث الماضية · ولم تحدث فيما بعد إلا بعض مصادمات بسيطة لأسباب جديدة لا تلبث أن تنتهي ·

الحكم على شخصية موسى بك

وصل موسى بك الى متسلمية نابلس يتميز غيظاً من امراء ومشايخ جبل نابلس الذين عرقلوا مساعي أربعة من أمراء أمرته فقد اضطروا عمه مصطفى باشا على الانسحاب الى راشيا ولم يمكنوا ابن عمه أسعد بك من إكمال سنة ثم شلوا حركة عمه أحمد بك فعزل ثم أحرقوا الذخائر واضطروا أخاه خليل بك على ترك المتسلمية والذهاب إلى مصر تخلصاً من أثمان الذخائر . وعلى أثر هذه المتاعب والمصادمات المغيظة وفي أشد مواقف الصدام وصل للمتسلمية موسى بك الشاب الجسور والمؤامرة لا تزال كما هي لم يؤثر فيها تهديد السلطان ووعيده وحوله أصحاب الذخائر يطالبون بأثمانها وقد احرقت وثبت عجز اسرته عن حمايتها فصمم على تقويض أركان المؤامرة والبطش بجميع أعضائها فاتفق مع الوزير الأعظم على ذلك فأمده بخمسة آلاف من أبسل جنود عصرهم ، مغاربة دوّخ بهم الجزار سوريا ، ومماليك دوخوا مصر ، وارناؤوط تسلطت بهم الدولة العثمانية على البلقان ، وأكراد تقاوم بهم الدولة العثمانية دولتي الروسيا وايران . فشمخ موسى بك وازداد طيشاً على طيش وكان له الحق الصريح بالبطش بالجيايسة لنهبهم الذخائر وكان باستطاعته تفريق المتآمرين والوصول لغايته لولم يعمل ما يخالف العرف فقد أثار بقسوته مع الجيايسة المغاريب كلها وبقتله أربعة عشر رجلا من أهالي شويكة في رمضان الشهر المقدس وحرقه بضعة عشر رجلاً من قاقون في بئر أثار جبل نابلس جميعه وبهذه الغلطة الفظيعة فقد متسلمية نابلس وفقد ابن عمه متسلمية بني صعب وفقد أثمان الذخائر ونصف العساكر ثم عطف الدولة .

على أن هذه الصدمات لم تضعفه ولم تخمد نفسه الجبارة بل احتفظ بقواه الى أن سنحت الفرصة فحصل على أمر بالمتسلمية ولكنه عاد الى الشذوذ واستهان بداود آغا الجرار متسلم جينين وأمير الشمال وحاول اغتياله فهاجم نابلس و كسر عساكره وقتل ولده الوحيد الصغير و كان هذا العمل مثيراً لآل النمر فنصروه على حليفهم و كان من الواجب عليه أن يقابل هذا العمل بالشكر وأن يتفاهم معهم ويقبل بنصح كبيرهم الحكيم إلا انه طمع وطلب منهم مساعدته على الانتقام والثأر لولده مع أن العرف لا يساعده لأن ولده قتله فرسانه وهم هاربون ولا حق له عند آل جرار وقد عجز عن مهاجمة جرار في جينين وحيث لم تناصره عشائر الجنوب والشرق لعدم رضا آل النمر بذلك انتقم منهم فجره هذا الى صدام أحرق بنتيجته زيتون بلاطه فكان هذا بنظر العرف عملاً فظيعاً لا يقل عن قتل الأنفس فعزل بعد ذلك وحار بعساكره إلا انه ظل يحتفظ بقواه الى أن سنحت الفرصة فعاد الى المتسلمية وقد ازداد غيظاً وشراً وقد أفقده موت ولده ما بقي من رشده فاستولى على تيمار آل النمر وقراياهم وقصرهم فثاروا ولم يقبل وساطة محمد آغا فانضم اليهم وأعلن الثورة العامة التي أفقدته أكثرية عساكره الساحقة ولم يبق عنده منهم إلا بضع مئات. ولما ظهر ضعفه ولم يستطع إيجاد أنصار لجأ الى الغدر والخديعة ففعل فعلته مع آل النمر ففشل وتورط لأنهم لم يقعوا جميعهم في الفخ. إلا أنه رغم كل هذا لم يعدم نصيراً فاستنجد بالطرشان وباغت نابلس وعساكر الشام فغلب كعادته وتوارى ينتظر سنوح الفرص فسنحت ومات اعداؤه الولاة وجاء غيرهم فحصل على متسلمية نابلس التي كان يعبدها فكانت سبب مصرعه وقد يئس

خصومه من الظفر به فلجؤوا الى الحيلة وأماتوه غدراً بصورة شاذة فداووه بدائه وكان يأمل أن يحميه الحكم فقتل به:

كم في الحياة من مرجٍ أملاً أتاه خوفه من أمله

فمات حاكماً مرعباً كما عاش بعد أن قضى ربع قرن في نضال لم يشعر معه بملل رغم ضعف قواه باستمرار وتكاثر أعدائه عليه حتى خذله أقاربه البعيدون ثم عصبيته الغريبة حتى أن زوجته أبغضته فتهمت بدمه وخرجت تزغرد حين موته فشذت كما شذ على العرف. وقد برهن موسى بك انه من الجبابرة وقد ظل اسمه مرعباً كل حياته وبعد مماته بنحو قرن.

نتائج عصر موسى بك

كان عصر موسى بك تجربة خطيرة كشفت نفسية جبل نابلس الى أعمق حد فقد كان موسى بك الذي قام بهذه التجربة أحد الجبابرة الطغاة الذين لا يشعرون بملل ولا يتقيدون بشرع ولا عرف وكان من أكبر عشائر جبل نابلس وأعرقها وقد اعتز بأقوى وأبسل عساكر عصره وقد أيده الوزير الاعظم والسلطان بالذات وبنى قلعة الجنيد ليتحصن بها واستولى على الأقطاع واستطاع أن يضم اليه بعض شيوخ القرى وبعض الاسر في نابلس ولم يترك ظرفاً إلا استغله ولا جباناً إلا أذله فلم يخضع له أحد ولا ترك نضاله أحد بل كان الكل له بالمرصاد ما صادم جهة إلا وأنجدتها الجهات الاخرى فما زالوا يناضلونه حتى تركه اهله وذووه وتناقص جنده ذبحاً وتشريداً الى أن أُبيدوا جميعاً. ولم تخذله الدولة فساعدته للمرة الاخيرة وعينته متسلماً فلجأ الى العرف وحل ضيفاً على أمير الجنوب الشيخ قاسم الأحمد ولكن هذه المكيدة التي أراد بها إيقاع الفتنة بين أعدائه لم تخف عليهم فلم يحترموه لأنه خرج على

عرفهم ولم يتركوه يحتمي بالعرف الذي احتقره وخرج عليه تخدعوه وقتلوه بالسم فبرهنوا مع بطشهم على حكمة ودهاء . وانتهت تجربة موسى بك الخطيرة بعد أن برهن جبل نابلس للدولة بأنه لا يخضع ولا يذل فقد ملئت منه غيظاً فسلطت عليه واحداً من امرائه وعززته بالاوامر الشديدة والجنود البواسل وبدلت الشيوخ بآخرين من انصارها فلم يتركوا وأميرهم الطاغية وسيلة إلا استعملوها ولا ظرفاً إلا استغلوه ولا حيلة إلا جربوها فلم يظفروا بخضوع ولا استسلام بل كانت الدائرة تدور عليهم ففشلوا واسود وجه الدولة بهم ربع قرن كامل وانتهت هذه التجربة الخطيرة بفوز جبل نابلس الجبار وخذلان الدولة ورجالها وأنصارها ولسان الحال يقول :

كناطح صخرة يوماً ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

وهذه التجربة التي قامت بها الدولة العثمانية في جبل نابلس لا تقل عن التجارب التي قامت بها بعد ذلك بقرن في جبل الدروز وعسير ونجد واليمن واذا قورنت هذه التجارب بتلك مع ملاحظة الفرق في التاريخ والنسبة في المساحة والنفوس نجد أن جبل نابلس في مقدمة الامارات العربية إباءً وشمماً وعزة .



الباب السادس

عصر احمد اغا

الفصل الأول

دسائس الولاة والامراء

متسلمية موسى آغا النمر ومنزلته

موسى آغا هو ابن حسن آغا النمر المار الذكر وأمه الست سارة بنت خضر طوقان كان فتىً فروسياً وذكياً داهياً ظهر أمره بعد موت أبيه فلم يقاوم المير ألاي أبا بكر بك بل صاحبه ، وتعلم منه اللغة التركية وتظاهر بمسالمة ابن خالته موسى بك وأقام حوله الرقباء والجواسيس فعرف دخيلته ونواياه ولما هاجم محمد آغا النمر نابلس قطع الطرقات على العساكر ، ولوقوفه على نوايا ابن خالته ظل متحذراً منه وقد نصح محمد آغا بعدم الاطمئنان اليه ولم يغرر بنفسه في تلك الليلة المشؤومة وقد أظهر بعد الفاجعة العظيمة رباطة جأش خارقة ورتب الخطة النهائية للدفاع عن كيان أسرته وحارته ولإنقاذ جبل نابلس من العساكر الغرباء وأميرهم الطاغية ففاز فوزاً مبيناً أحرز به اعجاب السلطان والوزراء والولاة وقد أدهش النابلسيين بشجاعته ودهائه فانتخبوه وكيلاً [1] عن المتسلم حسين آغا بعد هربه من نابلس ووافقهم الوالي على ذلك ثم صار متسلماً أصيلاً بعد الصلح النهائي باتفاق جبل

---

(١) راجع وثائق المتسلمية في الجزء الثاني .

نابلس جميعه بما فيه آل طوقان وصادق على ذلك الوالي نفسه فكان موسى آغا النمر الامير الوحيد الذي نال هذه الثقة من الشعب على اختلافه وأيده الوالي ، وهو بعد في سن الشباب .

التف جبل نابلس جميعه حول موسى آغا وعدت حكومة موسى آغا خاتمة عصر الدمار وفاتحة عصر التقدم والعمران . وقد فتن النابلسيون بفتاهم أيما فتنة فأخلصوا له إخلاصاً متناهياً وأحبوه حباً جماً وظنوا أنهم نجوا من الدمار والسقوط ولكن هيهات أن يدوم خير في ذلك القرن المشؤوم فقد زلزلت نابلس بزلزال أرضي في تلك السنة . وفي أول شعبان سنة ١٢٠٩ هـ فجعت بفتاها وأميرها النابغة موسى آغا النمر فجزعت لموته جزعاً عظيماً ثم انفتحت بعده أبواب الدسائس والفتن التي تلتها الحرب الاهلية ثم الانحلال والانحطاط الذي ما زال جبل نابلس يئن منه الى عصرنا الحاضر :

وما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما

امارة أحمد آغا النمر وموقفه

أحمد آغا هو ابن علي آغا ابن عمر آغا النمر وأمه الست صالحة بنت صالح بك الشافعي . كان أحمد آغا فتىً فروسياً كسائر أفراد عشيرته ، وقد تولى ادارة اقطاع آل النمر في عهد حسن آغا النمر ، وبعد خروج موسى بك أصبح وكيلاً للمير ألاي أبو بكر بك . وبعد موت موسى آغا سافر أبو بكر بك فانتخب الزعماء والسباهية [1] أحمد آغا مكانه ثم عين رسمياً وقد صار وكيلاً للمتسلمية وأصبح هو المتسلم

(١) راجع وثائق آلاي السباهية في باب الحكومة من الجزء الثاني .

الحقيقي لنابلس لأن أمراء نابلس كثرت دسائسهم ضد بعضهم . وبالرغم عن أنه الرجل الوحيد الباقي من آل النمر وحوله نحو عشرين من النساء ، فقد ظل قطب الرحى في جبل نابلس جميعه فمثل دوراً كاملاً ، وقد وفق الى مواقف نبيلة جعلته أنبل وأحكم أمراء عصره . ولقد كان لنبله الفضل الأكبر في إنقاذ نابلس من بطش عبد الله باشا وابراهيم باشا ثم في انقاذ نفسه ، ولقد كان له فضل كبير في تخفيف الدسائس والقضاء على أكثرها ، وقد اشتهر بالآغا والجربجي وبعد امارة الآلاي صار يلقب بالبيك في بعض الأحيان .

ضبط التيمار وتنظيم الآلاي

بعد قضاء السلطان محمود الثاني على الانكشارية أكمل تنظيم الجيش الجديد في العاصمة ثم التفت الى المقاطعات والألوية فأمر بضبط التيمار [1] وتنظيم الالايات فقام آغا النمر في نابلس بذلك حق القيام وبمساعيه ومساعي المتسلم مصطفى آغا طوبجي باشي أقطع الشيخ حسين عبد الهادي تيمار عرابة [2] ثم أعطى زعامة نخمة ، وأقطع الشيخ قاسم الأحمد قرية بيت وزن وحينصافوت ، وأعطى ولده الشيخ محمد زعامة حوارة وقد أقطع البيكات زعامة ، وكذلك آل جرار ، وتغيرت بذلك أحوال التيمار والاقطاع جميعه وذلك سنة ١٢٤٢ هـ .

انتهاء حكم الغرباء

بعد موت موسى آغا النمر تعين مصطفى آغا طوبجي باشي من أهل الاستانة متسلماً على نابلس ، فأقام مدة سنتين وفي أواخر سنة ١٢٤٢

---

(١) راجع وثائق الاقطاع في باب الحكومة من الجزء الثاني . (٢) راجع وثائق الاقطاع ايضاً .

ترك نابلس فعين خورشيد آغا أحد رجال والي الشام مكانه ، وكان متكبراً فاصطدم بأحمد آغا النمر الذي أثار عليه جبل نابلس واضطره على ترك نابلس قبل انتهاء سنة(١) ثم اتفق أحمد آغا مع أسعد بك على المتسلمية وأنهى حكم الغرباء ، فذهب أسعد بك لوالي الشام ، وطيب خاطره وحصل على أمر بالمتسلمية .

مرسوم الوالي لأحمد آغا

افتخار الأمرا الكرام مير آلاي نابلس حالاً أحمد آغا النمر زيد قدره بعد السلام التام بمزيد الإعزاز والإكرام نبدي اليكم انه الآن قد أنعمنا بمتسلمية نابلس على رافع مرسومنا هذا افتخار الأمراء الكرام ذوي المجد والاحترام طوقان زاده مير أسعد بك زيد مجده ومأذون من طرفنا بتحصيل نتاج أموال الميري والمهمات الحجازية وصيانة ذوي الأعراض والطلوع من حق الأشقياء والمتجاوزين الحدود وحماية الرعايا ودايع رب البرايا من غير معارض له بذلك فبناء على ذلك أصدرنا لكم مرسومنا هذا فبوصوله تكونوا مع متسلمنا المير المومى اليه يداً واحدةً وحالاً واحداً على الوجه المشروح ثم تقرر لدينا أنـه تقدم بدى بعض أمور مغايرة ومفاسد من طرف ناس بطرفكم من أرباب المفاسد وأصحاب ذوي الأغراض فهذا شيء ضد رضانا ولا يمكن نعطي به رخصة الى أرباب المفاسد وكان مرادنا إصدار أمرنا بالطلوع من حق الأشقيا المذكورين بما يستوجبوه ولاكن حسب التماس الرجا من متسلمنا المومى اليه سمحنا عنهم ما داموا في أشغالهم وفي قيد الإطاعة الى متسلمنا المومى اليه

(١) كانت مدة المتسلم سنة وان رضي عنه الوالي جدد له المدة .

ومن الآن وصاعداً اذا بلغنا أحد من هولاي المذكورين أو من غيرهم بدي أمور مغايرة أو مفاسد يلزم الطلوع من حقهم بما يستوجبوه ويترتب عليكم غاية الملام وعذركم ذلك الوقت غير مقبول وانشاء الله تعالى لا يلزم لكم بذلك غاية التأكيد اعلموه واعتمدوه غاية الاعتماد .

الحاج صالح
والي شام

في ٣ ذ[1] سنة ٢٤٣

تعيين الشيخ عبد الله الجرار

بعد انتهاء السنة حصل الشيخ عبد الله الجرار على أمر بمتسلمية نابلس من والي عكا بالوكالة عن والي الشام فأغاظ بذلك أسعد بك وأحقده عليه فما زال ينتظر الى أن سنحت الفرصة ووقع الخلاف بين والي الشام ووالي صيدا الجديدين ، فاتفق مع الأخير وحرضه على الشيخ عبد الله فعزله عن نابلس ثم أحقده عليه فأسره وهدم صانور كما سيأتي .

مرسوم الوالي لاحمد آغا بتعيين الشيخ عبد الله الجرار

قدوة الأماثل والأقران مير ألاي نابلس حالاً أحمد آغا النمر زيد قدره بعد السلام التام بمزيد العز والإكرام نبدي اليكم أنه بتاريخه وجهنا متسلمية نابلس على افتخار المشايخ أخينا الشيخ عبد الله الجرار المكرم ووجهنا له شرطنا منها وحررنا لكم أحرف المودة فالمراد بوصوله اليكم تكونوا والشيخ عبد الله الجرار المومى اليه يداً واحدة وحالاً واحداً بالاتفاق والاتحاد وإنجاز الخدامات العايدة لدى سعادة أفندينا ولي النعم الدستور الوقور[2] المعظم طال بقاه بكافة الخدامات المرضية ،

(١) ذ = اي ذو الحجة . (٢) يعني والي الشام الحاج صالح باشا لانه كان مع الركب الشامي في الحجاز .

حيث تكونوا أنتم والمتسلم المومى اليه يداً واحدة وجسماً واحداً وانشاء الله تعالى حين حلول ركاب أفندينا المعظم بهذه الديار تنالون كل ما يسر خاطركم ويقر نواظركم يكون معلومكم .

الحاج عثمان

في ٢٣ رجب سنة ١٢٤٤ ميرميران قائمقام

والي شام

عقلية الشيخ عبد الله الجرار

الشيخ عبد الله الجرار هو أصغر أبناء سلطان البر يوسف آغا الجرار المار الذكر ، كان يختلف عن أبيه وأخويه تمام الاختلاف ، فقد كان شاباً طائشاً سريع التأثر يثق بلا تجربة ويحقد لأقل سبب ولا يفرق بين النصيحة والدسيسة ، ولقد كانت عقليته الشاذة أكبر عامل في تقويض قوى آل جرار وإضعاف مكانتهم في جبل نابلس وعند الولاة .

كان أول أخطائه النفور من أحمد آغا النمر بدسيسة دسها عليه بعض المفسدين . فإن آل النمر لا يزوجون بناتهم من غير عشيرتهم وقد اعتبروا هذه العادة من تقاليد الامارة فتمسكوا بها وأراد الدساسون إيقاع الفتنة بينهم وبين آل جرار فقالوا للشيخ عبد الله المذكور ان آل النمر سخروكم بعداوة آل طوقان وجعلوكم ترساً لهم ولو ساووكم بأنفسهم لصاهروكم ، وما عليك إلا أن تخطب إحدى بنات أحمد آغا النمر فترى الحقيقة ، فصدق الشيخ عبد الله ذلك وأسرع الى أحمد آغا النمر يخطب بنته الست فطوم مقدماً مبلغاً كبيراً من المال فعرف أحمد آغا ذلك ولم يرفض بل تظاهر بالرضا الى أن اختلى بالشيخ عبد الله وأفهمه عدم إمكان ذلك لأنها عادة قديمة ومن تقاليد العائلة ، وأنه

لا يتكبر على آل جرار ، ولكن العادة يصعب الخروج عليها وقد رفضت ذلك بنات العائلة[1] كلهن وقامت في البيت ثورة فلم يقنع الشيخ عبد الله بل قبل بالدسيسة وعدها نصيحة وصار يتعمد مخالفة آراء أحمد آغا النمر ويصغي الى أقوال وآراء الشيخ حسين عبد الهادي ويجمد أمام دسائس أسعد بك فأضاع متسلمية نابلس وجينين وهدم قلعة صانور ، وأهين هو نفسه في سجن عكا وأسرع ببناء القلعة ، فقضى على ثروة آل جرار ثم ثار على ابراهيم باشا فخسر القلعة ورأسه بعدها واستمر بعد ذلك ضعف آل جرار وانقسامهم ، وكل ذلك من طيش الشيخ عبد الله واستسلامه للدسائس .

الخلاف بين والي الشام ووالي ايالة صيدا

لما ضمت إيالة دمشق وامارة الحج الى والي ايالة صيدا أحمد باشا الجزار نقل مركزه من عكا الى دمشق ، ووكل وكيلاً عنه في ايالة صيدا ، وبعد أحمد باشا الجزار صارت العادة أن ينوب والي ايالة صيدا عن والي ايالة الشام حين ذهابه مع الركب الشامي الى الحجاز ، ولما عين عبد الله باشا الجزار - الملقب بالخازندار - واليًا على ايالة صيدا سنة ١٢٤٦ ادعى أن جبل القدس ونابلس من متعلقاته فوقع الخلاف بينه وبين والي الشام وكتب الاخير للمتسلمين في البلدين يخبرهما بعدم اطاعة أوامر عبدالله باشا فأطاعوه فغضب والي عكا وعزل متسلم نابلس الشيخ عبدالله الجرار الذي رفض اطاعته . وولى على القدس أحد مماليكه وكذلك جينين فقد ولى عليها مملوكه حسين آغا وأخرجها من آل جرار . وكان البيكات

---

(١) راجع مبحث الاميرة الكبرى في فصل الامارة وترجمة الست يمن في فصل النساء في الجزء الثاني .

بالمرصاد فأسرع اليه أسعد بك ومصطفى بك فعين الاخير على نابلس وجعل مغاريب جبل نابلس متسلمية عين عليها أسعد بك طوقان .

اضطراب والي الشام

لما علم والي الشام محمود باشا الشركس[1] بتدخل والي ايالة صيدا الفعلي طلب جرود جبل نابلس لتلاقيه على صفد كي يتوجه بها مع عساكر الشام وجموعها لضرب عبدالله باشا في عكا . وفي الوقت المعين خرج احمد آغا النمر والشيخ عبدالله الجرار والشيخ قاسم الاحمد والشيخ حسن عبد الهادي بجموع جبل نابلس الى صفد ؛ إلا أن والي الشام خذلهم ولم يتجاسر على الحضور ، فرجعت جرود جبل نابلس الى صانور . فرأى أحمد آغا النمر والشيخ قاسم الأحمد ضرورة التفاهم مع والي الشام الى أن تصدر أوامر سلطانية بحل الخلاف ؛ أما الشيخ عبد الله والشيخ حسين فقد ترددا ، فعاد أحمد آغا لنابلس ، وكتب للوالي في عكا كتاباً — بصفته وكيل المتسلم — باستعداد جبل نابلس للطاعة ، فأجاب الوالي بالكتاب الآتي :

جواب والي صيدا لأحمد آغا

قدوة الأماثل والأقران وكيل متسلمنا في نابلوس حالاً أحمد آغا النمر زيد قدره !

بعد السلام التام بمزيد الإعزاز والإكرام المنهى اليكم اطلعنا على شقتكم المرسولة الى افتخار الأمرا الكرام متسلمنا في قاقون حالاً طوقان زاده ولدنا أسعد بك صحبة محمد بك عسقلان و كامل ما شرحتموه وما أعرضه ولدنا عن معناها صار معلوم فنخبركم أنه مقدماً صدر وأمرنا

(١) قد عين بعد صالح باشا والي الشام المار الذكر .

لولدنا المومى اليه ان الذي يريد من مشايخ جبل نابلوس الدخول بالطاعة والانقياد لطرفنا يعرض عنه لدينا وان شاء الله تعالى كل من طرق بابنا لا يشاهد إلا جبر الخاطر اقتضى إخباركم بذلك لكي كل من يريد الاجتماع في ولدنا المومى اليه لكي يتعاطى له وسايل استحصال رضانا وصفو خاطرنا فليعلم أن ولدنا البيك المومى اليه مأذون بذلك من طرفنا والذي يوافي على قدم الطاعة ويجتمع فيه ويتحقق ولدنا المومى اليه عبوديته لطرفنا ويعرض لدينا عنه فبحوله تعالى ما يشاهد من طرفنا إلا جبر الخاطر حسب مأموله هذا ما لزم اخباركم.

في ٢٦ ر سنة ١٢٤٦ السيد عبدالله

والي صيدا وطرابلس ومتصرف الوية

غزه ويافة والقدس ونابلس وجينين حالاً

أسر الشيخ عبدالله وهدم اسوار صانور

عرض شيوخ جبل نابلس جميعاً طاعتهم على الوالي بواسطة أسعد بك إلا الشيخ عبدالله فنظراً لما بينه وبين أسعد بك تأخر و كذلك الشيخ حسين عبد الهادي فقد تأخر مراعاة لخاطر الشيخ عبدالله. وكان أسعد بك مغتاظاً من الشيخ عبدالله لتوليته متسلمية نابلس ومنافسته عليها فاغتنم هذه الفرصة وحرّض عبدالله باشا وأحقده على الشيخ عبدالله والشيخ حسين فأرسل الوالي يطلبهما اليه فذهب الشيخ حسين ليرى حالة الوالي فوجده مغتاظاً جداً من الشيخ عبدالله فعاد الشيخ حسين وأعلم الشيخ عبدالله بتهديد عبدالله باشا وغيظه فامتنع عن الذهاب الى عكا. فانعقد الوالي برأي أسعد بك واستعان بالأمير بشير الشهابي وأتى بجموع

لبنان وعساكر الأيالة وفاجأ صانور فحاصرها ولم يكن فيها أحد سوى الشيخ عبدالله وبعض آل جرار وخدامهم ولم يتجاسر الشيخ حسين عبد الهادي ولا غيره من الشيوخ المجاورين على امداد صانور ولم يكن عند باقي جبل نابلس علم بالأمر فاضطر الشيخ عبدالله على التسليم فهدم[1] عبدالله باشا أسوار صانور التي بناها السلطانان ابراهيم آغا النمر ويوسف آغا الجرار ثم أسر الشيخ عبدالله وأخذه معه الى عكا ولا فخر بذلك له ولا لأمير لبنان لأن القلعة لم يكن فيها قوة دفاع ولم يمدها أحد ولا يحق لمؤرخي لبنان التفاخر بمثل هذا الامر المخجل.

وقد تعامى الشيخ عبدالله عن دسائس أسعد بك وأنكر تعمده لمخالفته أحمد آغا النمر فاتهم الشيخ حسين عبد الهادي بأنه هو الذي أغراه بعدم التسليم ووعده بالمساعدة ثم حرض الوالي عليه وامتنع عن مساعدته مع أن الواقع الصريح يخالفه فقد كان سبب فصل أسعد بك عن نابلس والمرسوم السابق يرى أن أسعد بك هو صاحب المكانة الحقيقية عند الوالي وقد ظن الشيخ حسين أنه بهذا الامر يوهم البلاد بمكانته عند الوالي فأيد التهمة ونجحت دسيسة أسعد بك. وحقد آل جرار على آل عبد الهادي وأقسموا بأن لا يكفوا عن آل عبد الهادي إلا بعد هدم عرابة وقد توصلوا إلى ذلك بعد ثورة وحرب أهلية دامت نحو ثلاثين سنة فهدمت عرابة كما هدمت صانور. وأخذ محمود بك عبد الهادي الى بيروت كما أخذ الشيخ عبدالله الى عكا وقد انقسم آل جرار على أنفسهم وفقدوا جميع ثروتهم وقبعوا في قراهم ونزل آل عبد الهادي في

---

(١) بعد فترة قليلة توسط احمد اغا النمر لدى الوالي ففك الشيخ عبد الله الذي أسرع ببناء اسوار صانور بناية عادية اضاع فيها ثروة اسرته وبعد بضع سنين ثار على ابراهيم باشا فضرب اسوارها ولم يبق اليوم الا بوابات وبقايا أسوار بسيطة ليس فيها من السور القديم شيء..

نابلس محتفظين بأموالهم فأقبلوا على الوظائف والمدارس فتقدموا تقدماً كبيراً . ولو أن آل جرار حققوا بالدسيسة وتفاهموا مع أحمد آغا النمر وظلوا على حلفهم مع آل النمر لاستغنوا عن خصومة آل عبد الهادي التي أنتجها عناد الشيخ عبدالله وتبجح الشيخ حسين وسيظهر من الفصول الآتية ما جر على البلاد هدم صانور .

عصيان أسعد بك

بعد أن هدم عبدالله باشا صانور شمخ وتعالى وحيث أطاعه جميع امراء وشيوخ البلاد فقد أصبح في غنى عن خدمات أسعد بك طوقان فصار يزدريه عامداً فعصى فعزله وولى أحد مماليكه فثار أسعد بك وصار يبث الثورة وروح الفتنة في جبل نابلس جميعه فطلب عبدالله باشا من مصطفى بك طوقان متسلم نابلس القبض عليه [1] فرفض ولم يكترث فعزله وأرسل عساكره مع مرسوم شديد اللهجة الى جميع شيوخ جبل نابلس يطلب القبض على أسعد بك .

مرسوم عبدالله باشا لجبل نابلس

قدوة الأماثل والأقران مير ألاي جبل نابلوس حالاً أحمد آغا النمر زيد قدره

بعد السلام التام بمزيد الإعزاز والإكرام المنهى اليكم طرق مسامعنا أن أسعد بك طوقان عصى وتمرد وتجاسر على مخالفة الأوامر الشريفة والآن قد أشهرنا أمرنا وبرزت أوامرنا الشريفة الى افتخار المشايخ المكرمين محسوبينا الشيخ عبدالله الجرار والشيخ حسين عبدالهادي والشيخ قاسم الاحمد زيد قدرهم والى عساكرنا المنصورة بالتضييق على

---

(١) راجع مرسوم العزل والتولية في فصل المتسلمية من باب الحكومة في الجزء الثاني .

المذكور ورمي القبض عليه وحضوره لهذا الطرف لأنه أيقظ الفتنة وعصى وعليه اقتضى اصدار مرسومنا هذا اليكم لتكونوا أنتم ومحسوبينا المشايخ المذكورين وعساكرنا يدا واحدة في رمي القبض على المذكور وحضوره لطرفنا واذا فعلتم كما أمرناكم فلكم من طرفنا رأي الله ورأي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ثم رأينا الوثيق على دمكم ومالكم وأملاككم وعلى من لاذ بكم وما عاذ الله تعالى اذا وافقتم أسعد بك المذكور وخالفتم أوامرنا بحول الله تعالى يحل بكم الندم ولا تنجوا أينما توجهتم وتنهدم أجداركم وتنضبط أملاككم ونجعلكم عبرة لمن اعتبر المراد تتخيروا الى أنفسكم إما إطاعتكم والرأي إما تقبلوا لأنفسكم غير ذلك يحل بكم ما شرحناه وتندموا حيث لا ينفعكم الندم اعلموا ذلك .

في غرة م سنة ١٢٤٧ السيد عبدالله

والي صيدا وطرابلس ومتصرف ألوية

القدس وغزة ويافة ونابلس وجنين حالاً

تمادي الوالي وتذمر جبل نابلس

نظراً للبغضاء الموجودة بين أسعد بك طوقان والشيخ عبد الله الجرار رأى أن يثير الفتنة فعين الشيخ عبدالله متسلماً على نابلس كي يساعد عساكره في القبض على أسعد بك الا أن شيئاً من هذا لم يكن لأن عصيان اسعد بك حول التهمة في هدم صانور عنه والصقت بالشيخ حسين وتحول آل جرار الى عداوة آل عبد الهادي بدلاً من آل طوقان ولم يساعد عساكر الباشا أحد فتمكن أسعد بك من الخروج

من جبل نابلس وتوجه الى جهات غزة وبئر السبع يثيرها على الباشا .
وأغاظ الباشا موقف الشيخ عبدالله فعزله عن نابلس وولى مكانه الشيخ
محمد القاسم وقطع صلته بأحمد آغا النمر وكان الشيخ حسين عبدالهادي
يأمل أن يوليه متسلمية جينين او بني صعب فلم يوله شيئاً فحقد عليه .

كان عبدالله باشا يعمل هذا كله تمهيداً لحكم البلاد بمماليكه كما
كان يفعل سلفه وسيده احمد باشا الجزار . ولما كان على وشك عزل
الشيخ محمد القاسم وتولية أحد مماليكه زحف ابراهيم باشا بجيشه على
البلاد فانقلب يتوسل ويوصي بالحذر كما حصل لسلفه احمد باشا يوم جاء
الفرنسيس فأعاد التاريخ نفسه ولكن الفرق بين الفرنسيس وابراهيم باشا
كان واضحا فان جبل نابلس الذي كان في غاية التذمر وعلى وشك
الثورة اتفق جميعه مع ابراهيم باشا القائد المشهور الذي أعلن بأنه آت
لإخضاع عبدالله باشا ففرحت البلاد وعدت ذلك مخرجاً لها وإذ كان
الشيخ حسين عبد الهادي شيخ بلاد الشعراوية وهي طريق الجيش الى
عكا فقد كان اول من اتصل به فتقدم اليه وانضم بجموعه الى جيشه .
وبلغه اطاعة جبل نابلس له وترحيبهم به وانه اقنع الجميع بحسن
نواياه فوثق به ابراهيم باشا وعمل برأيه كما سيتبين وبذلك تألق نجمه
ونجم اسرته .

الفصل الثاني

الحكم المصري

محمد علي باشا وابراهيم باشا

كان في الجيش العثماني الذي دخل مصر مع الصدر الأعظم يوسف باشا سنة ١٢١٦ ﻫ بعد خروج الافرنسيين كتيبة من آرناؤوط[1] قوله بقيادة علي آغا ابن حاكمها وكان معه تابع ذكي اسمه محمد علي فلما رجع الجيش العثماني عاد علي آغا ومعه بعض رجاله وقد ترك باقيهم مع تابعه محمد علي المذكور فترأسهم وتأخر في مصر واشترك مع مماليكها وتدخل مع اهلها فنما وتقدم وصار يعتبر من روءساء الجند وما زال يحرج الوالي تلو الآخر الى ان اجمع المصريون على طلب تعيينه والياً على مصر ووافقهم على ذلك السلطان فعرف بعد ذلك بمحمد علي باشا وتفرغ لشوءون مصر فأصلح ادارتها ومواردها وري نيلها فامتلأت خزائنه بالاموال وتمكن من تنظيم جيش في البر واسطول في البحر ثم قضى على المماليك وفتح السودان وصار السلطان يكلفه بإخضاع البلاد العاصية فيرسل ولده ابراهيم باشا — الذي عد من اكبر قواد عصره — ليخضعها . ولما أخضع نجد ضمت اليه الحجاز ولما اخضع بلاد اليونان طمع بسوريا كمكافأة إلا ان خصمه الوزير الاعظم خسرو باشا حرمه من المكافأة رغم خسارته اسطوله في مياه اليونان فحقد محمد علي باشا على الدولة وصمم على أخذ سوريا بالقوة .

---

(١) يقال لهم الالبان وقوله تابعة لسلانيك من تراقية الغربية من بلاد الروملي .

تحرش محمد علي باشا بوالي عكا

احتاج محمد علي باشا في ايجاد الجيش والاسطول واخماد العصيان في نجد وكريد واليونان الى الاموال والرجال الكثيرين فارهق المصريين بالضرائب وافقدهم عدداً كبيراً من ابنائهم فاضطر كثيرون منهم لا سيما اغنياء بلبيس على الرحيل من مصر الى سوريا فنزلوا في غزة ويافا ثم جاء اغنياؤهم البلابسة الى نابلس (١) ونزلوا ضيوفاً على احمد آغا النمر فآواهم واسكنهم في دوره الى ان اشتروا دوراً سكنوها وحوانيت اشتغلوا فيها فشجع ذلك المصريين على الرحيل الى جنوب سوريا فطلب محمد علي باشا من عبدالله باشا والي الايالة منعهم وارجاعهم فرفض واجاب محمد علي باشا جواباً قاسياً فاتخذ محمد علي باشا هذا السبب ذريعة يتذرع بها للاستيلاء على سوريا وقد بلغه عدم رضا البلاد عن سياسة عبدالله باشا وكان اهالي البلاد لا سيما اهالي جبل القدس وجبل نابلس يتوقعون عدم رضا السلطان عن فصل البلدين عن ايالة الشام وتوقعوا إرسال جيش لتأديبه فلما دخل الجيش المصري قوبل بالترحيب واتصل به آل عبد الهادي فتغيرت حالة البلاد كلياً .

آل عبد الهادي

بعد القضاء على النزالية ساد آل ابي بكر الصالح في الشعراوية الشرقية ونزلوا في عرابة (٢) وقد صار اكبرهم الشيخ عبد الهادي شيخاً عليها ولم يكن ذا اهمية كبيرة اذ كانت السيادة في الشمال جميعه لآل

---

(١) ومنهم الاسر الآتية : القمحاوي ، والعش ، والقطب ، والعزيزي ، وابو طبيخ ، وابو العافية وعميرة ، وحجاب ، وغزالة ، والمصري البلبيسي ، وخميض ، وخشانة ، وقد نزل بعضهم كالعش وأبي العافية فيما بعد في يافا . (٢) ونزل ال حمدان — الذين منهم ال الطاهر — في يعبد .

جرار ولما مات الشيخ عبد الهادي اتى شيوخ القرى المجاورة للتعزية ومعهم التلابيس[1] حسب العادة الجارية بين العشائر في ذلك العهد. وبدلا من ان يوزعها الشيخ حسين ولده الاكبر على افراد عشيرته وزعها على الشيوخ انفسهم فاستغربوا هذا العمل ولما سألوا الشيخ حسين عن ذلك قال ان والدي كان للجميع فيجب ان يشترك الجميع في تعازيه . فسر الشيوخ من هذا العمل وعلقوا آمالهم على الشيخ حسين وانقادوا له .

ولما اصاب ال النمر ما اصابهم من موسى بك دعا احمد اغا النمر ليمضي دور النقاهة في ضيافته فاحتفى به حفاوة كبيرة ولما وزع الاقطاع ساعده احمد اغا النمر مع المتسلم مصطفى اغا طوبجي باشي للحصول على اقطاع عرابه ثم زعامة ام الفحم وبذلك اصبح ال عبد الهادي من الاسر الاقطاعية . ولما وقع الخلاف بين والي صيدا ووالي الشام وقبل جبل نابلس الاذعان للاول ذهب الشيخ حسين الى عكا وقدم مفاتيح بوابات عرابة اليه فنجت عرابة وهدمت صانور فظهر امره ورفعه شيوخ البلاد وامراؤها وفضلوه على الشيخ عبدالله . ولما باع السلطان قصرهم الاقطاعي اشتراه الشيخ حسين ونزل في نابلس وصار يتدخل بالصغيرة والكبيرة ولقرب مقاطعته من والي عكا كثر تردده على عكا واصبح واسطة البلاد لدى واليها وكان يضمر قهر الشيخ عبدالله فاتفق مع آل القاسم على عزله عن متسلمية نابلس وساعده الشيخ محمد القاسم للحصول عليها . وكان الشيخ حسين يطمع بمتسلمية جنين ولما لم ينلها انقلب وحقد على عبدالله باشا وبمجرد وصول ابراهيم باشا الى فلسطين خرج

---

(١) هي ملابس تقدم كتعزية لأهل الميت وبعضهم يقدم غنما وخيلا — راجع فصل العادات من باب احوال المجتمع في الجزء الثاني .

الشيخ حسين برجاله فاستقبله وانضم اليه وأقنع آل القاسم وباقي المشايخ بالاتفاق مع ابراهيم باشا فنجح وسر منه ابراهيم باشا وولاه مكان عبد الله باشا على ايالة صيدا وولى أخويه وولده وسائر أقاربه حكم البلاد، فساد آل عبد الهادي في سوريا الجنوبية وأصبحوا أصحاب الكلمة النافذة طيلة الحكم المصري .

إلا أن محاولة آل عبد الهادي الاستئثار بكل شيء في البلاد، ثم محاولتهم القضاء على جميع عشائر الأمراء والشيوخ، أكسبهم عداوة جبل نابلس جميعه، ولولا حكمة محمود بك أخ الشيخ حسين المذكور وتمكينه الصداقة وقدرته على التفاهم الدائم مع آل النمر لقضي على آل عبد الهادي جميعاً كما سيتبين في الباب الآتي .

آل القاسم

آل القاسم هم أعلى فروع بني غازي وهم شيوخ جماعين استفاد كبيرهم الشيخ قاسم الأحمد من الخلاف الذي وقع بين البيكات والأغوات في نابلس فنزل في بيت وزن وبنى فيها قصراً اقطاعياً، ثم ساعد آل النمر ضد موسى بك . ولما وزع الاقطاع ساعده أحمد آغا النمر للحصول على أقطاع بيت وزن وجينصافوت، ثم زعامة حواره، وبمساعدة الشيخ حسين عبد الهادي حصل ولده على متسلمية نابلس من عبد الله باشا ثم حصل هو نفسه في الحكم المصري على متسلمية القدس ؛ إلا أن غصب آل عبد الهادي متسلمية نابلس منه ومن ولده أغاظه فثار في جبل القدس فغلب وتشرد الى أن قبض عليه وقتل هو وولداه، فساد آل ريان الفرع الثاني من شيوخ جماعين واستولوا على جماعين

كلها ثم الى متسلمية نابلس وطردوا آل القاسم من جماعين ولولا نجدة آل النمر وقبولهم الصلح مع آل عبد الهادي لقضي عليهم ، إلا أنهم تدبروا أمرهم فاستردوا مكانتهم في جماعين ونابلس ومثلوا دوراً سياسياً مهماً في سياسة جبل نابلس بعد تشكيل المتصرفية كما سيتبين .

مرسوم ابراهيم باشا الى جبل نابلس

الى عمدة النواب المتشرعين نايب أفندي الشرع الشريف بمدينة نابلس حالاً زيد فضله وعمدة العلما المحققين مفتي أفندي زيد علمه ومفخر السادات الأشراف قايمقام نقيب الأشراف أفندي زيد شرفه وعمدة المشايخ المعتبرين الشيخ محمد ابن قاسم الأحمد وباقي المشايخ والوجوه بها حالاً تحيطون علماً أنه من حيث أنكم قدمتم لنا الإطاعة ودخلت بلادكم في حوزة حكومتنا فقد صار واجباً علينا حفظها وصيانتها واستجلاب راحة الأهالي ورفاهيتهم من كل وجه ومن كون أن محسوبنا الشيخ محمد بن قاسم تحقق لدينا صدق خدامته وحسن استقامته فقد أبقيناه بمدينة نابلس كما كان متسلماً وبعهدته بلاد المشاريق التابعة اليها . وأما بلاد جبل نابلس جميعها فإننا أبقيناها بعهدة مفاخر المشايخ : الشيخ محمود عبد الهادي ، والشيخ يوسف بن قاسم الأحمد ، والشيخ عبد الله الجرار ، والشيخ يوسف ، والشيخ عبد الوهاب الجيوسي يتعاطوا أمور الأحكام وجباية الأموال وإنصاف المظلوم من الظالم ورؤية دعاوى كافة الأهالي على نهج الشرع الشريف بإبطال الباطل وإحقاق الحق المستقيم وأداء الخدمات المرضية وصيانة الأموال الأميرية فيقتضي أن كلاً منكم يعرفه متسلماً من طرفنا ويقدم له مراسيم الطاعة . وأنت أيها الشيخ المتسلم قد أذناك مع باقي المشايخ اذا اقتضى إرادتنا راحة الأهالي والرعايا وتحصيل أسباب

رفاهيتهم ومنع وزجر المعتدين واستجلاب خير الدعا من الفقراء والمساكين وعمار البلاد وتأمين العباد وأن تصرفوا همتكم وتبذلوا مجهودكم بإنفاذ إرادتنا وإجراء الأحكام بالعدالة والإنصاف وتلازموا الحق والاستقامة وتتحاشوا أسباب الجور والاعتساف فبناء على ذلك قد أصدرنا لكم مرسومنا هذا من صحراء حيفا لكي بوصوله واطلاعكم على مضمونه تعملوا بموجبه وتتحاشوا مخالفته وتعتمدوه غاية الاعتماد .

في ١٥ ح سنة ١٢٤٧ — الختم الكبير

طمع آل عبد الهادي وإغاظة آل القاسم

تولى الشيخ حسين عبد الهادي مديرية[1] إيالة صيدا وأصبح أخوه محمود بك متسلماً على يافا وولده الشيخ سليمان متسلماً على جينين ، وقد ضمت لآل القاسم متسلمية القدس ، فصار الشيخ قاسم الأحمد متسلماً على القدس ، وولده الشيخ محمد متسلماً على نابلس ومعه مشاريقها ، وولده الشيخ يوسف شيخاً على جماعين ، فتساوى الفريقان بالغنم تقريباً . إلا أن آل عبد الهادي كانوا يطمعون بمتسلمية نابلس لتوطيد مركزهم فيها ، فلجئوا الى حيلة للحصول على متسلمية نابلس إذ حصلوا على أمر بتنحية الشيخ قاسم الأحمد عن متسلمية القدس ونقل ولده الشيخ محمد مكانه . وبذلك شغرت متسلمية نابلس فتعين لها الشيخ سليمان ابن الشيخ حسين عبد الهادي .

***

(١) المدير هو الوالي وهذا اصطلاح مصري مازال مستعملا الى الان .

مرسوم تنحية الشيخ قاسم الاحمد وتعيين ولده

افتخار الأماجد الكرام ذو الاحترام أخينا العزيز الشيخ قاسم الأحمد نبدي لحضرتكم أنه بحسب تقدمكم بالسن ونظراً لشيخوختكم فعاد يلزم لكم الراحة والرفاهيـة وملازمة الدعوات الخيرية بدوام أيام دولت سعادة أفندينا ولي النعم الأعظم دام مـا دام العالم ومن كون الولد سر أبيه فقد حولنا متسلمية سنجاق القدس الشريف لعهدة ولدكم الشيخ محمد القاسم ولذلك حررنا لكم طرسنا هذا لكي تحضروا وتستقيموا في محلكم وتتعاطوا أسباب راحتكم وتداوموا تأدية الدعا بدوام هـذه الدولة العادلة المصرية ما دام الدوام هذا ما لزم افادتكم .

٢٣ حا سنة ٤٩ من حلب　　　　مير محمد شريف

كتخداي خديو أعظم وحكمدار ايالات بر الشام

دعوة آل القاسم شيوخ البلاد للثورة

لم تخف هذه اللعبة على آل القاسم فتميزوا غيظاً وصاروا يبثون فكرة التمرد والعصيان ، فامتنعت البلاد عن دفع الضرائب وتقديم الجنود . وبعد رجوع الشيخ محمد القاسم من الحج وفي اوائل سنة ١٢٥٠ عقدوا اجتماعاً في بيت وزن حضره أكثر شيوخ البلاد الذين طفحت قلوبهم بالغيظ من ال عبد الهادي ، فحضره الشيخ عبد الله الجرار والشيخ عيسى البرقاوي ، والشيخ ناصر المنصور الحاج محمد ، والشيخ قاسم الاحمد ، وولداه الشيخ محمد ، والشيخ يوسف ، وحضره ايضاً الشيخ عيسى القدومي فاتفقوا على الثورة إلا الأخير فإنه نصحهم بعدم التورط مع إبراهيم باشا بحرب .

وكان بإمكان هؤلاء المشايخ أن يكتبوا لمحمد علي باشا ولإبراهيم

باشا يعترضون على توسع آل عبد الهادي في الحكم واستغلال التفاهم والطاعة لهم وحدهم ، والراجح أن الأمر لا بد وأن يحل سلماً إلا أن الغيظ أعماهم فثاروا فخسروا .

شل الثورة وفشلها

لما جاء ابراهيم باشا الى البلاد تآمر المشائخ على أحمد آغا النمر ، وأفهموا ابراهيم باشا بأن أحمد آغا هو معتمد عبد الله باشا والي عكا فحل ألاي السباهية وحرمه اقطاعه فاشتغل بمتاجره واعتزل السياسة ، ولما عقد الشيوخ اجتماعهم في بيت وزن وصمموا على الثورة نصحهم بالكف عن ذلك فلم يلتفتوا لقوله ، فأرسل[1] رسله لجميع عشائر جبل نابلس ينصحهم بالهدوء وعدم الاشتراك بثورة المشايخ ، فقبلوا نصحه جميعاً واضطر المشايخ على إعلان العصيان والقيام بالثورة في جبل القدس .

ولما بلغ ابراهيم باشا الخبر كتب لأبيه في مصر يستنجده[2] وذهب بألاياته الى جبل القدس فضايقه الثوار و كاد يغلب لولا وصول نجدة أبيه الذي نزل في يافا بثلاثة آلايات انضمت الى جيش ابراهيم باشا فضايق الثوار و كسرهم في موقعة قرية الدير[3] فتشرد المشايخ وأتوا الى جبل نابلس .

❊❊❊

---

(١) أما الشيخ سليمان عبد الهادي فقد خرج من نابلس الى عكا فاخبر اباه وبقي في عكا وكيلا عن أبيه الذي انضم بجموعه لابراهيم باشا لاخماد الثورة (٢) اصبح جيش ابراهيم باشا موزعاً في سوريا وكيكية التي اعطاها له السلطان بعد صلح توسطت فيه دول أوروبا (٣) تعرف اليوم بقرية العنب وهي غرب القدس وملك الى أبي غوش شيوخ اليمن في تلك الجهة .

انقاذ نابلس من غضب ابراهيم باشا

بلغ إبراهيم باشا أن المشايخ بعد واقعة الدير تحولوا الى نابلس لإيقاد الثورة فيها ، فغضب ابراهيم باشا وأتى مسرعاً من جبل القدس الى بني صعب ، فقبض على الشيخ عيسى البرقاوي في شونة من وادي الشعير ، ثم التقى في قلب الوادي بجموع جرار فكسرهم وهربوا الى صانور فحاصرهم فيها وضربها بمدافعه واضطرهم على التسليم فأسر الشيخ عبد الله الجرار ، ثم حط على سيلة الظهر ونادى في جيشه بإباحة نابلس وهدمها في ظرف ثلاثة أيام .

ولما بلغ نابلس الخبر هرعت الى ديوان أحمد آغا النمر لإقناعه بضرورة الوفود على ابراهيم باشا ، فذكرهم بنقمة ابراهيم باشا عليه من حين دخوله وأنه ربما قتله بمجرد وصوله ، فقالوا له لأن تقتل هناك خير لك من أن ترى إباحة بلدك وهدمها فثارت نخوته ووفد على ابراهيم باشا وبمجرد تسليمه عليه قال له : لقد اتهمك أولئك الأشقياء بعداوتي فأظهر الله كيدهم فأنت خصم شريف وقد بلغني ما فعلت فانتعش أحمد آغا وقال له أنا لست عدواً لإبراهيم باشا ولكنني صديق السلطان والآن تشرفت لدعوة الباشا لضيافتي في نابلس . فلما سمع باسم نابلس ظهر على وجهه الغضب وقال لقد أبحت نابلس لجيشي لأنها آوت قاسم الأحمد وأولاده الأشقياء ولن أدخلها ما لم تحرث بسكة الفدان ! فقال له أحمد آغا أنا أول من يهدم بيته بعد أن يتشرف بزيارتكم ونساء نابلس أخواتك ورجالها إخوانك فافعل بعرضك وأهلك ما نشاء ، فأطرق ابراهيم باشا ملياً ثم رفع رأسه وقال بشهامة : « هي لك يا أحمد آغا »[1]

---

(١) حيث لم ننقل من كلمات ابراهيم باشا إلا هذه الجملة فقد وضعتها بين هلالين —

فسرّ أحمد آغا بهذا الجواب ودعا له بالنصر والتوفيق ، وبعد أن اتفقا على موعد الدخول لنابلس انصرف أحمد آغا ممتناً شاكراً .

قدوم ابراهيم باشا لنابلس

كانت نابلس البلدة الوحيدة التي نجت من غضب ابراهيم باشا ، لأنه كان شديد الغضب قوي الإرادة ، فقد هدم في نجد : الوشم ، والجبيلة ، والعينية ، وأجبر سكان الدرعية على هدمها بأيديهم ، وقد أحرق الكرك لأنها آوت قاسم الأحمد وأولاده ، وقطع أشجارها كما سيأتي ؛ إلا أن ابراهيم باشا كان يتصف بمزية عظيمة ، وهي أنه كان فروسياً نبيلاً يقدر النبل حق التقدير فقد اهتز قلبه من كلمة أحمد آغا النمر وقدر موقفه ونبله حق التقدير .

برجوع أحمد آغا النمر الى نابلس أخبر القرى المجاورة للطريق بأن يخرج رجالها ونساؤها وأطفالها يستقبلون جيش ابراهيم باشا بالماء والزاد حسب الاصول المتبعة في ذلك العهد في استقبال الجيش الظافر . ولما وصل لنابلس بشر أهلها بما حصل واتفق مع وجهائها على خطة التسليم حين قدوم ابراهيم باشا لبلدهم . وفي الوقت المضروب وصل ابراهيم باشا الى وادي نابلس ونصب صيوانه في بستان البصة في الجهة المجاورة[1] لعين بيت الماء . ولما بلغ نابلس الخبر توجه وفد علمائها برئاسة الشيخ عبد الرحمن زيد القادري . وبعد وصولهم بقليل وصل وفد السباهية على الجياد العربية برئاسة أميرهم أحمد آغا النمر وحولهم الخدم

— وكذلك كل ما نقل بعينه من الكلام ، وما لم يوضع بين قوسين هو كلام الرواة وعلى هذا النمط سرت بكتابتي في هذا الكتاب كله .

(١) هي بجانب الطريق الشمالي العام في غرب الوادي .

والعبيد والاتباع . ولما دخل أحمد آغا النمر على ابراهيم باشا قام العلماء جميعاً وقبلوا يده[1] (حسب اتفاقهم) - وقدموه لابراهيم باشا قائلين هذا امير البلاد وأولئك المشايخ الاشقياء خارجون عن طاعته وليس لنابلس بهم صلة وقد طردتهم وأخرجتهم فقال ابراهيم باشا لقد دل عليه شرفه ونبله وإخلاصه وكنت أبحت بلدكم لجيشي ثم وهبتها اليه فأنتم وبلدكم هبة مني لهذا الامير، فشكروهما وانصرفوا جميعاً آمنين .

بلاغ ابراهيم باشا عن الثورة

فخر المشايخ المكرمين محسوبنا الشيخ سليمان وكيل مدير ايالة صيدا حالاً

قبله بتاريخ ٧ الحاضر أرسلنا لكم شقة مفصلة بخصوص ما صار الى أشقيا جبل نابلوس بقرية الدير والان بتاريخ يوم الثلاث الحاضر حضرنا بالاوردو المنصور الى مدينة نابلوس ولدى حلول ركابنا السعيد بها الشقي قاسم الأحمد وأولاده وعياله انهزموا هاربين الى الشرق وحل بهم مايستحقوه من التأديب وحالاً نصبنا بدلهم ولأجل تبشيركم بختام مصلحة جبل نابلوس حررنا لكم هذا ليكون معلومكم .

في ٩ را سنة ١٢٥٠ الختم

سلام على ابراهيم

بلاغ محمد علي باشا عن الثورة

فخر المشايخ المكرمين الشيخ سليمان عبد الهادي وكيل مدير ايالة صيدا حالاً :

---

(١) لقد كان العلماء فوق الأمراء في المرتبة ؛ إلا أنهم هذه المرة خالفوا العرف مبالغة باحترام وتعظيم أحمد آغا لتنجح وساطته وشفاعته .

برسومنا المتقدم لكم قبل تاريخه بيومين عرفناكم عن انتصار عساكرنا المنصورة تحت لواء سعادة ولدنا السر عسكر المفخم على أشقياء نابلوس في قرية الدير وعن تشتت جموع الأشقيا والآن بعض أهالي القرايا طلبوا الأمان وأرسلنا لكم صورة التحريرات الواردة من سعادة ولدنا المشار اليه بهذا الخصوص فبتاريخه يوم الاربعة حادي عشر شهر ربيع الأول حضر لنا تحريرات ثانية من سعادة المشار اليه تتضمن حلول ركابه بالعساكر الظافرة في مدينة نابلوس وأن الأشقيا قاسم الاحمد وعبدالله الجرار وعيسى البرقاوي وناصر المنصور بعد حرابه الدير وتشتت الجموع عنهم توجهوا الى نابلوس ومن نابلوس أخذوا أولادهم وفروا هاربين وسعادته أوقع الأرصاد لرمي القبض عليهم في أي محل يوجدوا فيه وأن كافة مشايخ وأهالي قرايا نابلوس أفواجاً أفواجاً يسترحمون الأمان والرأي واعطى لهم فاقتضى افادتكم بذلك وحيث من فضله انتهت هذه المصلحة على خير فبمشيئة الباري صممنا على العود الى الاسكندرية بهذين اليومين كما تقدم لكم التعريف يكون معلومكم والسلام .

في ١١ را سنة ٢٥٠ من يافا الاربعه الختم

محمد علي

مطاردة المشايخ وقتلهم

حينما علم الشيخ قاسم الاحمد بما حصل في نابلس خرج وولديه منها وبعد نزول جيش ابراهيم باشا في نابلس قبض على ناصر المنصور الحاج محمد وبلغه ان قاسم الاحمد قد نزل على العدوان في البلقاء فتبعه بجيشه

وكسر العدوان وأنصارهم بني صخر وقبض على عقيدهم[1] الامير دياب الحمود أمير العدوان بعد أن أظهر شجاعة فائقة وتخلص من التطويق ثلاث مرات فدهش ابراهيم باشا به وقدر شجاعته فلم يقتله بل اكتفى بسجنه في دمشق طيلة حكمه في سوريا .

ثم بلغه أن الشيخ قاسم الاحمد وأولاده قد ذهبوا الى الكرك فتبعهم وأحرق الكرك بسببهم وقد جاء في أحد كتبه عنها « وحرقنا مدينة الكرك بالنار وقطعنا أشجارها حتى لا يعود أحد يسكنها وكذلك القرايا التي في أطراف الكرك أعطيناهم تربيتهم » .

ثم ذهب الشيخ قاسم الأحمد وأولاده الى عرب عنزة فسلموهم لوالي الشام وقد قبض على باقي المشايخ الثائرين فقتلوا جميعاً في دمشق ونابلس وعكا . أما أولاد الشيخ قاسم الاحمد[2] الصغار وهم محمود وعثمان وأحمد فقد أرسلوا الى مصر ونشأوا هناك في المدارس العسكرية ونالوا وظائف في الجيش والاسطول ، ولما عادوا تميوا بالبيكات وكانوا يسمونهم أيتام الدولة ومنهم ال القاسم جميعاً وقد مثلوا دوراً مهماً في الحرب الاهلية ودور[3] الانتقال كما سيأتي .

نتائج الثورة

بدخول ابراهيم باشا سوريا استغنى جبل نابلس عن الثورة على عبدالله باشا وقد تركه ابراهيم باشا لشيوخه فأعطى آل عبد الهادي مديرية صيدا ومتسلمية يافا وأعطى لآل القاسم متسلمية القدس فأصبح شيوخ جبل نابلس يحكمون سوريا الجنوبية كلها وساحل سوريا الأوسط

---

(١) العقيد عند البدو هو القائد (٢) وقد قتل ولداه الشيخ محمد والشيخ يوسف

(٣) راجع الباب الاول من الجزء الثالث .

إلا أنهم لم يتفقوا فيما بينهم لأن غلطة آل عبد الهادي أثارتهم وأغاظتهم فثاروا ثورة مشلولة فغلبوا ولم يتمكنوا من البقاء في جبل نابلس فاختفوا وتشردوا فألقي القبض عليهم الواحد تلو الآخر ثم قتلوا جميعاً بعد أن أفقدوا البلاد جانباً كبيراً من قوتها وضبط ابراهيم باشا أكثر سلاحها. وقد انحلت رابطتها بعد ذلك ووقعت فيها حرب أهلية طاحنة أفقدتها قوتها وعزتها فاستولت الدولة العثمانية على حكومة البلاد تدريجياً ثم دخلت البلاد في دور انحلال أفقدها ما بقي من منعتها ومزاياها كما سيظهر في الباب الآتي والجزء الثالث.

ابراهيم باشا وأحمد آغا

بعد انتهاء الثورة عاد ابراهيم باشا الى نابلس وصام فيها رمضان سنة ١٢٥٠ هـ فأخلى له أحمد آغا النمر القصر الكبير فنزل فيه هو وكتابه وخاصته. وقدم له ولده الاكبر عبد الفتاح آغا ليكون أول جندي من جنود البلاد فأدخله جيشه وأعزه ورقاه الى درجة ميرألاي وكان يقربه ويذاكره في كثير من الامور فأطلعه على مسائل كثيرة تتعلق بالمسألة الشرقية وبعد خروج ابراهيم باشا قضى عبد الفتاح آغا عشرين سنة يعمل على جمع كلمة البلاد وتوجيه قوى أهلها للصلاح والعمران وقضى على دسائس فتاصل الدول.

وقد قدر ابراهيم باشا لأحمد آغا النمر موقفه وحكمته فأعاد اليه تجارته وامارته وألايه وولاه شيخاً على نابلس وناحيتها وأصبح هو مرجع أهالي جبل نابلس في كل شيء وقد أضعف به حدة الشيخ سليمان عبد الهادي.

❁❁❁

الزلزال الكبير

حدث في سنة ١٢٣٩ هـ زلزال بسيط وحدث آخر في محرم سنة ١٢٤٦ هـ ثم حدث زلزال شديد في رمضان سنة ١٢٥٢ هـ فتهدمت نابلس وخرج سكانها[1] الى المغاور والكهوف بعد أن قتل وجرح منهم عدد كبير وكان أكثر الضرر في حارة الحبلة كما يظهر من استعداد أحمد آغا النمر في كتابه لولده عبد الفتاح اغا سنة ١٢٥٣ لإعادة البناء حيث يقول «وأخذنا جانب من الشيدا ثمانين كباره» فيدلنا هذا على هدم أكثر دوره وأملاكه وقد ظلت نابلس مدة كبيرة تئن من هول هذا الزلزال وقد نقل أخباره شيوخ عصرنا عن شيوخ عصرهم فكانوا يصفونه مع الالم الى أن حدث الزلزال الاخير.

مصرع الشيخ حسين

تحقق محمد علي باشا حين نزوله في يافا أن الشيوخ إنما ثاروا بسبب ما فعله آل عبد الهادي وقد رأى هو وولده أن نفوذ آل عبد الهادي نما وعظم فتخوفا إلا أنهما تجنبا القضاء عليهما علناً لئلا تتكرر الثورة. وقد ظهر تمرد الشيخ سليمان وصار لا يرعوي لاوامر ابراهيم باشا ولا يكترث بها فكتب اليه يقول «فياهلترا ايش منتظر فانكان تقول في عقلك انك ابن الشيخ حسين فنحن في المصلحة لا نعرف الشيخ حسين ولا ابنه وأما اذا كان تعتمد على حبنا فيه فأنت تبقى مغشوش في ذلك فنحن حبنا في الشيخ حسين لأجل صداقته في الخدمة فقط لأن لحد الآن ما حصل منه سوا الصداقة ومن بعد الآن تبقى السبب في تبويظي

---

(١) راجع الشعر المدني في فصل الشعر من باب اللغة من الجزء الثاني.

مع الشيخ حسين ومع بيتكم بأكمله» .وفي سنة ١٢٥٣ وبعد هذا الكتاب مات الشيخ حسين فشك الشيخ سليمان بسبب وفاته التي قيل عنها بالسم فكتب يستفسر عن ذلك من ابراهيم باشا فأجابه بالكتاب الآتي:

قدوة الاماجد الشيخ سليمان صار معلومنا اعراضكم بخصوص وفاة الوالد والحال من المعلوم أن ذلك بأمر الله تعالى مقدراً محتوم وكل منا داخلاً بعموم هذا القضاء المرسوم فلا يقتضي تفكيركم في هذا البحث إذ جميعنا بندكان ولي النعم الخديوي الاعظم فالبقية بحياة دولته ونسأله تعالى دوام بقاه وأعطاه العمر الذي لا ينتهي لأن ذلك هناء العبيد يكون معلومكم   في ١٧ ب سنة ٥٣ من مصر   الختم

تمرد الشيخ سليمان ووفاته

عطف ابراهيم باشا على أبناء الشيخ حسين الصغار فخصص لهم راتباً وعين الشيخ سليمان وكيلاً لمديرية أيالة صيدا مع بقاء متسلمية نابلس عليه فوكل فيها الشيخ طاهر الموسى العرابي وقصد ابراهيم باشا بذلك إبعاده عن نابلس وقد أحاطه بجواسيسه فاستمر الشيخ سليمان على تمرده وصار يخالف أوامر ابراهيم باشا علناً فكتب اليه سنة ١٢٥٤ ﻫ كتاباً جاء فيه «وما هذه الجسارة حتى تنتصر لمخالفة أمرنا بادروا بإحضار[1] المذكورين وإلا فبحيات رأس محمد علي العزيز ورأسنا الكريم ما تنتظر إلا وقد صدر أمرنا لواحد مير ألاي يتوجه يعدمك بالبلطة خنزير ما كفى بهذا المقدار حتى أنت تقف ضداً لأوامرنا» .

ولم يؤثر هذا في الشيخ سليمان بل استمر فنقل الجواسيس عنه بأن يَن بخدماته على ابراهيم باشا فكتب اليه في جمادى الاولى سنة ١٢٥٥

(١) هم الجنود المطلوبون والسلاح .

كتاباً جاء فيه «وتقولوا نحن خدمنا كثير اين خدمتكم يا خنزير الله يلعنكم» فازداد الشيخ سليمان غيظاً حتى صار يحرض البلاد على عدم دفع الضرائب وقد سكت هو ووكيله عن أحمد اغا النمر حينما أعلن الحكم العثماني وقد بقي متسلماً لنابلس الى أن مات في أول سنة ١٢٥٧ هـ فدفن في الجهة الغربية من داره .

اعلان الحكم العثماني

في سنة ١٢٥٥ هـ مات السلطان محمود وتولى مكانه ولده السلطان عبد المجيد فاتفق مع الدول الأوروبية على إخراج ابراهيم باشا من سوريا وقد أرضى دولة فرنسا فكفت عن معاضدته وفي سنة ١٢٥٦ هـ أعلن عزل ابراهيم باشا عن اذنه وعزل والده عن سوريا وأعلن إلحاق سوريا بملكه وصار يعين الحكام والامراء من قبله . وقد اعتمد في سوريا الجنوبية على أحمد اغا النمر فعينه مير ألاي على أربعة سناجق وهي القدس ، وغزة ، ونابلس ، واللجون (جينين) وأرسل له ضابطين وعلماً وأوامر سلطانية بعزل محمد علي باشا وولده ابراهيم باشا واعلان الحكم العثماني . فلم يتردد أحمد آغا في قبول ذلك فجمع الاعيان والوجهاء والزعماء وأعلن ذلك رسمياً في بيته تنفيذاً وامتثالاً لأوامر السلطان ودون مبالاة بابراهيم باشا وبدأ ينظم حكومة البلاد فباشر بألاي نابلس ولأنه متفق مع آل عبد الهادي الذين صاروا يرجون الخلاص من الحكم فلم يخبروا ابراهيم باشا.

اجتماع دار القاضي

تخوفت نابلس من عاقبة اعلان عزل ابراهيم باشا فدعا القاضي الشيخ عبد الواحد الخماش الوجهاء والاعيان لبيته ودعوا أحمد آغا

لإقناعه بالكف عن عمله وتأخير تنفيذ ارادة السلطان فحاول هو إقناعهم ولما لم يقنعوا تركهم وخرج وبعد خروجه كتبوا عريضة لابراهيم باشا يبينون فيها الواقع ويتنصلون من عمل احمد اغا .

عريضة وجهاء نابلس لابراهيم باشا

المعروض للأعتاب السنية السر عسكرية صانها رب البرية يعرض عبيدكم بخصوص احمد اغا حضر لعنده رجل يسمى الموعشلي من سباهية الاسلامبول (١) وعند حضوره أظهر الأفراح بضرب القنائس في بيته في الليل وضرب البارود فيه ليلاً ونهاراً وبعده حضر لعنده ابراهيم أفندي جرنرجس جاويش سباهية الشام من الذين كانوا في الاستانة وبعد حضوره عمل جمعية في بيته من السباهية ووجوه حارته وبعض أناس من أنهم بعد جمعهم أظهر فرماناً وأعطاه لإبراهيم أفندي المذكور وعند فتحه أمر بقيام الحاضرين وقرأه عليهم بالتركي وبعد قراءته عربه ابراهيم أفندي المذكور الى الحاضرين مشافهة ، ومعناه : أن أحمد آغا أنعمت عليه الدولة العلية بأن يكون مير ألايا على أربعة سناجق وهي سنجق القدس ونابلس وغزة واللجون ، وبعد تلاوة الفرمان نشر البيرق في بيته وأمر أتباعه بضرب الشنك وعمل الافراح بالآلات وصباح قراءة الفرمان أرسل وأحضر السباهية الى بيته وأعطى لكل شخص منهم بارودة ، وصار يعمل تعليم في كل يوم ، والذي يعلمهم ابراهيم أفندي المذكور . وصار أحمد آغا المذكور اذا ركب خارج المدينة أو ذهب الى الحمام يأمر أتباعه بحمل البارود ويمشيهم أمامه كترتيب النظام ، ولم يزل في كل يوم وليلة يعمل الشنك ، وإبراهيم أفندي المذكور أحضر معه قزيطات من الأستانة

---

(١) أي تخت الاسلام .

في الترتيب الذي حصل في الاستانة في مادة التكاليف التي زايدة عن الترتيب سواء كان ذلك طلب أموال أميرية أو نظام وفي كل وقت يأمر أحمد آغا المذكور ابراهيم أفندي المذكور بقراءتهم على الحاضرين عنده في بيته ويتفوه بكلام خارج ومخالف للإرادة العليـة ومن كون ذلك وإظهار السلاح مخالف للإرادة الشريفة وعبيدكم مختشين من سطوة دولتكم تعم الجميع وجب علينا تقديم الاعراض لأعتاب دولتكم لأجل يحيط العلم الشريف أن هذه الأمور ما أحد من نابلس داخلاً وخارجاً موافق المذكور على هذه الأمور حتى ولا السباهية مطابقين على ذلك ولا يروحوا الى التعليم إلا رغماً عنهم لأنه في كل يوم يرسل أتباعه يحضروهم بالقهر الى عنده لأجل التعليم فها نحن أعرضنا ذلك لأعتاب دولتكم والأمر لمن له الأمر .

في ١٥ ص سنة ٥٦

بنده [١]	بنده
أحمد أبو الهدى الخماش المفتي بنابلس	عبد الواحد الخماش النائب بنابلس
بنده	بنده
محمد مرتضى النقيب بنابلس	صلاح الباقاني خادم العلم الشريف
بنده	بنده
محمد الطيبي خادم العلم الشريف	سليمان طوقان [٢]
بنده	بنده
عبد الرحمن زيد القادري	السيد محمد عبد الرحيم عرفات

(١) بنده اي عبدكم وهي كقولهم العبد الفقير حسب الاصطلاح المستعمل اذ ذاك .

(٢) مات اسعد بك ومصطفى بك ولم يبق من البيكات الا سليمان بك طوقان هذا الشاب .

بنده   بنده   بنده

السيد محمود يعيش   السيد محمد الاثري الحق   السيد بكر حماد

بنده

السيد مصطفى عاشور الخطيب

أسر أحمد آغا النمر ووفاته

بالرغم عن كل ما فعله ابراهيم باشا لأحمد آغا فانه ما يزال يلهج بالثناء على آل عثمان وحكمهم وكان على اتصال تام بالسلطان ووزرائه وقد وردته كتب من الاستانة للفتك بابراهيم باشا حينما يكون في الحمام وهو ضيف في نابلس إلا أن أحمد آغا ابت شهامته ذلك فحفظها عنده . ولما وصلت عريضة وجهاء نابلس لابراهيم باشا أرسل ألاياً [1] قبض على أحمد آغا . ولما عاتبه على عمله أبرز اليه الاوامر السلطانية القديمة والحديثة قائلاً كنت ولا أزال مخلصاً للسلطان ولم أطع الوزراء على الغدر بكم وانتم في ضيافتي ولكني أُطعت السلطان في اعلان حكمه على البلاد فانقلب غضب ابراهيم باشا الى دهشة وقال له اخلاصك يشفع بك واكتفى باعتقاله في عكا ثم أُرسل الى مصر واستقر في سنار من بلدان السودان المصري حيث فقد بصره وضعف عصبه من شدة الحر وبهذه الحالة عاد الى نابلس سنة ١٢٥٧ بعد أن تم الصلح بين السلطان عبد المجيد ومحمد علي باشا فاعتزل الى أن توفي سنة ١٢٦١ فأُعلن موته

(١) ولم يترك ولده عبد الفتاح آغا موقعي المضبطة فقد ضايق الشيخ عبد الواحد الخماش حتى فصل عن القضاء وترك نابلس ونزل في دمشق بضع سنين وتولى القضاء مكانه الشيخ سليمان الخالدي . وكذلك فانه تمكن بشكاياته من نفي سليمان بك طوقان الى طرابزون اثنتي عشرة سنة وضايق غيرهما فنقل نقابة الاشراف من آل الحنبلي لآل تفاحه فثأر لابيه ايما ثأر .

رسمياً في الالوية الجنوبية وأرسلت النواصي للعناية باسرته من بعده ، وهو آخر الامراء العسكريين النابلسيين إذ قبضت الحكومة مباشرة على ادارة الأمن والجيش في البلاد وهو آخر من خوطب من امراء آل النمر بالسلطان عرفياً .

خروج ابراهيم باشا

أنذرت الدول الاوروبية محمد علي باشا بسحب جيشه وولده من سوريا وانه إذا لم يفعل احتلوا مصر فاضطر على سحب ولده وجيشه فثار لبنان وتخطفت الجند المصري أهالي البلاد ، إلا أن جبل نابلس أكرم مثواهم فقد استوطن الحاج درويش الموصلي أحد أطباء الجيش المصري في نابلس وله ذرية تعرف باسمه الى الآن ، وقد احتمى ابراهيم بك اليوسف أحد قواد الهوارة بآل النمر فأكرموا مثواه . وفي شعبان سنة ١٢٥٦ هـ انتهى الحكم المصري وعاد الحكم العثماني .



الباب السابع

عصر عبد الفتاح اغا

الفصل الأول

رجوع الاتراك

الحاق نابلس بالقدس

بعد رجوع الاتراك غُير التقسيم الاداري لجبل نابلس فجعل جميعه قائمقامية وصار يقال لحاكم جبل نابلس إذ ذاك قائمقام نابلس وجينين. وجعلت القدس متصرفية ألحقت بها السناجق الجنوبية غزة ويافة ونابلس والخليل. وألحقت القدس نفسها لأيالة الشام التي صار يطلق على واليها لقب (المشير).

وبجعل جبل نابلس جميعه قائمقامية انحصر النزاع في كرسي واحد في الوقت الذي بلغت فيه عشائر الشيوخ كلها درجة الامارة وأصبحت كلها تطمح للحصول على كرسي المتسلمية وقد عين لألاي نابلس أمير غريب ففقد آل النمر الامارة العسكرية وأصبح من الراجح اشتراكهم بالنزاع الاداري. وكان متصرف القدس يساعد على هذا التنازع والتنافس ويقول القنصل فين ان أفنديات[1] القدس استغلوه ووسعوه أيضاً.

***

(1) افنديات القدس" جمع افندي هكذا كان يقال لوجهاء واعيان القدس لانهم بيوت قضاء وافتاء ونقباء يلقبون بالافندي كما س و كان يضرب المثل بكثرتهم.

عين عبد الكريم آغا بن عبد الفتاح آغا النمر وكيلاً لامارة الألاي ونظراً لبلوغ والده عبد الفتاح اغا درجة ميرألاي في الجيش المصري فقد رأى نفسه فوق درجة القائمقامية فلم يشترك بالمنافسة على القائمقامية التي صارت مصيدة لامراء وشيوخ جبل نابلس كما سيتبين فقصر عمله على اصلاح أحوال اسرته والعمل لإصلاح جبل نابلس والاحتفاظ بقرى الالتزام والإقطاع وبذلك انسحب آل النمر من المنافسة . ونظراً لعدم وجود كفء في آل جرار ولعدم سكناهم في نابلس فلم يتدخلوا وقد شغل آل القاسم بجماعين وبمحاربة ريان فلم يبق معهم وقت للمنافسة فانحصر النزاع بين البيكات (طوقان) وعبدالهادي . فبعد موت الشيخ سليمان عبد الهادي صار أخوه الشيخ محمد متسلماً على نابلس فمحمود بك عبد الهادي ثم صارت نابلس وجينين قائمقامية يعين لها قائمقام لمدة ثلاث سنين و كان أول القائمقامين الشيخ محمد صادق [1] الريان . وعين سليمان بك طوقان باشمحصل [2] لنابلس وجينين وبانتهاء الدورة سنة ١٢٥٩ ﻫ عين سليمان بك طوقان قائمقاماً لنابلس وجينين وعين محمود بك عبد الهادي باشمحصلاً . وبانتهاء الدورة سنة ١٢٦٢ ﻫ عين محمود بك عبد الهادي قائمقاماً وبانتهاء الدورة سنة ١٢٦٤ عين سليمان بك طوقان . وفي سنة ١٢٦٦ ﻫ عزل سليمان بك طوقان ونفي الى طربزون لاشتراكه بالحرب الأهلية فحل محله محمود بك عبد الهادي وبانتهاء الدورة سنة ١٢٦٩ عين علي بك طوقان . وبانتهاء الدورة في سنة ١٢٧٢ عين محمود بك عبد الهادي ونظراً لاشتراكه بالحرب الأهلية

---

(١) هم من ال العثمان شيوخ جماعين . (٢) اي رئيس محصلين او مأمور تحصيل الاموال .

واشتدادها في عهده عزل في سنة ١٢٧٥ واعتقل وجعل جبل نابلس متصرفية تابعة لبيروت وعين لها متصرف اسمه ضيا بك[1] وبه انتهى الحكم الذاتي لجبل نابلس وبدأ الحكم الاجنبي والغي الاقطاع وغير النظام الاداري جميعه كما سيظهر في الجزء الثالث ·

تدخل القناصل ودسائسهم

منح السلطان عبد المجيد دولة فرنسا حق حماية المسيحيين في ممالكه خصوصاً في سوريا لقاء تخليها عن محمد علي باشا فأصبح قناصلها يتدخلون بالصغيرة والكبيرة في سوريا · وكذلك صار يفعل قناصل الدول الاخرى وأصبحت الدولة العثمانية دولة قناصل تعمل جهدها لإرضائهم فاقترحوا فصل نابلس عن القدس لاعتقادهم أن أفنديات القدس هم أكبر عامل في توسيع النزاع فجعلت نابلس متصرفية ألحقت ببيروت كما مر ·

وقد استمال الافرنسيون المسيحيين في الشرق وصارت أصابع فرنسا تلعب في كل جهة لإحداث الفتن ضد النصارى وتحركت الروسيا وادعت حق حماية الأماكن المقدسة وأعلنت الحرب على الدولة العثمانية فانتصرت لها فرنسا وبريطانيا وسردينيا وكسروا روسيا في شبه جزيرة القريم · وفي تلك الأثناء ساءت حالة سوريا وكثرت فيها الدسائس فحاول القناصل إيجاد فتنة في جبل نابلس فاطفأها عبد الفتاح اغا النمر ثم حاولوا ذلك في دمشق فنجحوا بعض النجاح وهجم الدروز على دمشق من ناحية حي الميدان فردهم صالح آغا المهايني أمير الميدان فتحولوا الى لبنان وذبحوا النصارى فحصلت حادثة سنة ١٢٦٠ المشهورة وقد ثارت أحياء دمشق فذبحت النصارى فتدخل الامير عبد القادر الجزائري[2]

---

(١) أصله من مصر · (٢) هاجم الافرنسيون الجزائر في عهد نابليون الثالث —

والشيخ محمود حمزة فأوقفا المجزرة بمساعدة صالح آغا وسليم آغا المهايني ثم احتلت فرنسا بيروت ولبنان ودمشق فأسرع فؤاد باشا الصدر الاعظم الى دمشق وأخمد الفتنة وأعدم مئة موظف ووجيه من مثيريها وأرضى القائد الافرنسي فانسحب .

حزم عبد الفتاح آغا وشهامة النصارى

في سنة ١٢٧٢ هـ وسنة ١٨٥٧ م نزل في نابلس سائح انكليزي ، فمكث ثلاثين يوماً يدرس حالة البلد ويتجول في أطرافها ، وفي كل يوم يذهب الى السراية ومعه بعض الحراس من النصارى الوطنيين ولم يعرف أحد غرضه ولا سبب نزوله ، فحامت حوله الظنون وتحمس أخرس اسمه موسى الهموز وهجم عليه وهو في طريقه الى السراية فرماه الحارس وقتله فلجأ السائح الى القائمقام في السراية ولجأ الحراس الى دور النصارى فثارت نابلس ، وخرج العلماء يصيحون : الله أكبر ! النصارى ذبحوا المسلمين . فهاجت نابلس وماجت وأرادوا ذبح السائح والحراس ، ففريق هاجم السراية ورابط فيها وفريق هاجم دور النصارى فحطموا أبوابها ونوافذها وقتلوا نصرانياً اسمه سعيد قعوار ، وكان القائمقام محمود بك عبد الهادي فلم يقو على تهدئتهم .

وفي تلك الأثناء بلغ عبد الفتاح آغا النمر الخبر فاضطرب وكان ابراهيم باشا قد أطلعه على الشيء الكثير من نوايا الدول الأوروبية للشرق والدولة العثمانية ، فصاح برجاله : ضاعت البلاد وخرج بهم الى السراية فحذر الناس عاقبة قتل السائح وتعهد بدم المقتول ، فهدأ الناس وتفرقوا

— أمبراطورهم فقاومهم هذا الأمير خمس عشرة سنة ثم اضطر الى التسليم فأسر ثم أطلق ، فاختار سكنى دمشق .

وأرسل السائح محروساً الى ميناء يافا وأخذ به أتباعه وصلاً من الباخرة التي نزل فيها متوجهاً نحو بلاده . وفي نفس الوقت الذي ذهب فيه الى السراي توجه عبد القادر آغا النمر وباقي شبان آل النمر ومعهم رجالهم بالسلاح فحالوا دون قتل النصارى وردوا الناس عنهم وأتوا بهم محروسين الى دورهم وحميهم وبقي فريق من رجال آل النمر يحرسون دورهم ، فتعهد عبد الفتاح آغا للنصارى بأن يدفع لهم ضعف ما خسروه وأن يحميهم ، وأخذ عليهم العهد بأن ينكروا كل شيء فيما لو سألهم قناصل الدول عما أصابهم .

وبعد أيام جاء قناصل فرنسا وانكلترا وروسيا وسردينيا (ايتاليا) وسألوا النصارى في نابلس عما حصل فأنكروا وقوع أي عدوان عليهم فعاد القناصل بخفي حنين .

الفصل الثاني

الحرب الأهلية

حكمة عبد الفتاح آغا النمر ومنزلته

عبد الفتاح[1] آغا هو ابن أحمد آغا النمر المار الذكر ، وأمه الست يمن[2] بنت حسن آغا النمر نشأ هادئاً رضياً مدبراً ، فاشترك منذ نعومة أظفاره مع أبيه بتدارك شؤون أسرته التي كانت على وشك الانقراض فعقدت عليه الآمال وقال فيه الشاعر النابلسي[3] :

---

(١) هو جد مؤلف هذا الكتاب لأبيه . (٢) راجع ترجمتها في فصل النساء من الجزء الثاني . (٣) راجع الشعر المدفي في فصل الشعر من الجزء الثاني .

أتى الأيام والأيام غضبى		فأحدث في مباسمها افترارا
بصهوة مهره طلب المعالي		وقبل فطامه لبس الوقارا
وأصبح للعلى بطلاً كريماً		فأولدها المحامد والفخارا

وبعد ثورة شيوخ جبل نابلس قدمه والده لابراهيم باشا ليكون أول جندي من جبل نابلس في جيشه فسكّن به غيظه ، وقدر ابراهيم باشا عبد الفتاح آغا فرقاه في جيشه الى أن بلغ درجة مير ألاي وقربه وأطلعه على كثير من أسرار السياسة العالمية ، فكان ذلك دافعاً له على اليقظة الدائمة والاهتمام بعلاقات الدول الأوروبية والسهر على دسائس قناصلهم.

وبعد خروج ابراهيم باشا عاد لنابلس وكان أبوه أسيراً في السودان فانتبه لشؤون أسرته فأصلحها ورمم ما تداعى من بنيانها . ثم انفجرت الحرب الأهلية بين جرار وعبد الهادي وبين القاسم وريان ، وكثرت دسائس متصرف القدس فاجتنب وظائف الحكومة ولم يسع اليها ، وأنفق عشرين سنة من عمره يحاول إصلاح المتحاربين والمتخاصمين فوفق بعد جهد كبير الى نصرة أنصاره وخذل خصومه وقد عظم شأنه وعظمت ثقة رجال الدولة به بعد حادثة النصارى ، فأصبح مرجعاً لجميع الشؤون كما يظهر من الفقرات الآتية ، فقد جاء في كتاب الشيخ محمد السليمان شيخ الجرادات اليه ما يأتي : « بلغنا أن الاخوان الكرام عايلة جرار حضروا لطرفكم فالمأمول من سنيكم الافادة الشافية عن حضور المذكورين وخلافهم للاطمئنان والأمل دائماً بذل المجهود وإشهاد الهمة بهذا المواد وعدم السهو عن الترقبات بكامل الأمور حيث أن الحاضر يرى ما لا يراه الغايب ، وجنابكم صرتم مقلدين بالجميع وغيرتكم على رؤوس الاشهاد ومهما بدا من مكارب الوجوه فهو عايد على حضرتكم كذلك

من قبله توجه لطرفكم أحمد آغا[1] ومن يوم توجه لم حضر لنا من جنابه إفادة فالأمل تفيدونا عن كامل ما هو حادث بطرفكم » وجاء في كتاب آخر موقع من شيوخ آل جرار وهم : قاسم آغا الداود ، وأحمد آغا اليوسف ، وابراهيم آغا المحمد « والموجب لرقم أحرف المودة أنهو بلغنا أن سعادة أفندينا الوالي الموعظم قريب يوشرف محلنا طرف جنابكم فنرغب من الخوة الصادقة حيث اجايز واحد واصالح واحد منا بلغكم الخبر الأكيد أنفيدونا لأجل الافاذه بتقبيل أتك سعادتهم هاذه ما لزم افادتكم والله يحفظكم » . ولما عين علي بك طوقان كتب اليه متصرف القدس كتاباً جاء فيه « وحيث وان يكن محقق عندنا حدة الحال بينكم وبين علي بك المومى اليه الآن حيث أنوجدتم في نابلس من أرباب الكلام وذوي التعقل المقيدين في صداقة الدولة العلية الذين يرغبون دائماً المباهاة بخدامة الدولة العلية بالاستقامة فالمأمول أن تكونوا مع علي بك المومى اليه يداً واحدة وقلباً واحداً لا يلزم لحميتكم مزيد الإشراف والتأكيد بهذا الخصوص » . وما زال عبد الفتاح آغا يعمل على شل الحرب الأهلية حتى أصلح بين آل عبد الهادي وآل القاسم ونفى أكثر مثيريها ، واحتفظ بصلته مع فريق من آل جرار فسارت الحرب الأهليـة متثاقلة ، ثم انحصرت في جهات محدودة الى أن قضي عليها . وقد أبقى عبد الفتاح آغا النمر قواه الخاصة للنجدة ولم يشترك اشتراكاً فعلياً . ورغم اتصاله واشتراك جموعه بأكثر المواقع فإنـه لم يتدنس اسمه ولم يتورط بشيء من جرائرها وعلى الرغم من أن الانقسام وقع

(١) هو أحمد آغا ابن يوسف ابن الحاج أحمد آغا اليوسف الجرار .

بين أحلافه وأنصاره فقد وفق لإنقاذ جميع أنصاره والقضاء على بعض خصومه وإضعاف البعض الآخر ، ثم كاد له المتصرف ضيا بك ، ففاز عليه وضربه ضربة كان فيها العبرة لمن أتوا بعده من الحكام والرؤساء الغرباء ، ثم التف أمراء وشيوخ البلاد حوله فصالحهم وأصلح بينهم ، فاجتازت البلاد دور[1] الانتقال بهدوء واستقرار .

سبب الحرب الأهلية

اتهم الشيخ عبد الله الجرار الشيخ حسين عبد الهادي بتحريض الوالي على هدم صانور فحقد آل جرار على ال عبد الهادي . واشترك الشيخ عبد الله بالثورة على ابراهيم باشا وآل عبد الهادي فهدمت أسوار صانور وقتل الشيخ عبد الله ، فتضاعف حقد آل جرار على آل عبد الهادي ، وقد شاركهم بالنقمة والثأر أكثر عشائر البلاد التي قتل شيوخها بعد الثورة في الحكم المصري ، وبعد خروج ابراهيم باشا بدأ دور الثأر والانتقام ، وصار آل جرار يهاجمون آل عبد الهادي في الشمال . ووقع الخلاف بين آل ريان وآل القاسم ، فوقعت الحرب بينهم في الجنوب . ولأن الشيخ عيسى البرقاوي والشيخ ناصر المنصور الحاج محمد أنصار البيكات قد قتلا في الثورة ولأن الشيخ سليمان عبد الهادي ضايق البيكات في الحكم المصري ، فقد وقعت العداوة بين البيكات وآل عبد الهادي ، وقد عدّ البيكات وقوع الانقسام بين أنصار آل النمر فرصة سانحة لا سيما بين جرار وعبد الهادي وبين القاسم وريان ، فاشتركوا بالحرب الأهلية وترأسوا خصوم آل عبد الهادي فانضم اليهم ريان وجرار .

---

(١) راجع هذ الدور في الجزء الثالث .

وكان ال النمر شديدي الحرص على إصلاح ذات بين آل جرار وآل عبد الهادي أصدقائهم ، فعمل عبد الفتاح آغا النمر جهده لتخفيف حدة الخلاف ، وانتصر لآل جرار ، فسعى بنفي الشيخ محمد الحسين ، ويوسف السليمان الى طربزون ، ولما هرب الشيخ محمد الحسين من طربزون عاد يعمل لإبعاده ، فسلم أحمد آغا الجرار عرائضه و كتبه لعلي بك طوقان ، فانقلب عبد الفتاح آغا وساعد آل عبد الهادي ، فانفتح باب الفتنة على مصراعيه ودارت رحى الحرب الأهلية الطاحنة في جميع نواحي جبل نابلس كما سيتبين .

المعارك الأولى

هاجم البيكات (طوقان) بجموعهم آل عبد الهادي في الشعراوية الغربية ، فقاومهم آل عبد الهادي وأنصارهم المناطشة والجيايسة فوقعت معركة زيتا الشعراوية التي غلب فيها البيكات وارتدوا على أعقابهم ، ولما بلغ سليمان بك طوقان الخبر وكان قائمقاماً على نابلس أنجدهم وألقى بنفسه على بلاطة[1] زيتا ، وأقسم بأنه لا يقوم ولا يتحول إلا غالباً أو مقتولاً ، فتحمست جموعه وكسرت جموع آل عبد الهادي ، وقتل عبد الله بك طوقان من المناطشة سبعة عشر رجلاً . وكانت جموع وادي الشعير الشمالي وقرى نابلس بقيادة الأحفاة تحاصر ذنابه ، فتحول البيكات لإنقاذها ، ولما حاول مصطفى بك طوقان مهاجمة برقة ومضايقة الأحفاة قاومه سعيد آغا طوقان بجموعه ، فارتدوا عن برقة ، وعاد الأحفاة الى مهاجمة آل سيف في ذنابة .

❀❀❀

---

(١) هي صخور جوار زيته تسمى بلاطة زيتا .

اصطدام عبد الفتاح آغا بسليمان بك

كان الأحفاة سوراً مانعاً يحول دون اتصال آل جرار بباقي صف طوقان ، فظل آل جرار في عزلة وظل آل عبد الهادي آمنين من غارة صف طوقان من الجهة الشرقية والجنوبية ، وكان آل آعمر في عنبتا ضد الجيتاوية ، فيحولون دون الغارة من وادي الشعير الأوسط . وكان آل النمر يمدون الأحفاة بجموعهم الخاصة ولا يمكنون البيكات من مهاجمتهم فاغتاظ سليمان بك طوقان من آل النمر ، وكتب بصفته قائمقام نابلس الى متصرف القدس يتهم عبد الفتاح آغا النمر بتوسيع الشقة بين الأحفاة وآل سيف ، وأنه السبب في الحيلولة دون صلحهم ، فبدأت الشكايات بينهما .

كتاب متصرف القدس لعبد الفتاح آغا

قدوة الأماثل والأقران عبد الفتاح آغا النمر

إنه الآن بلغنا بأنه توقع مشاجرة بين أشخاص من حامولة دار سيف وبين حامولة الحفاة في وادي الشعير ولأجل ذلك ظهرت المباينة من بعض أطراف وصايرة المواقفة بالأسلحة تجاه بعض وقد استغربنا هذا المسموع لا سيما بلغنا أن المباينة اتصلت بكم ومن حيث معتقد عندنا حسن تعقلكم واستقامة صداقتكم للدولة العلية فبالوجوه لا يؤمل توقعوا ذاتكم تحت أدنا مسؤولية من الدولة العلية ومأثورنا أيضاً أن غرس الصداقة التي لكم للدولة العلية نشاهد ثمرته بملاشاة ساير المواد والأسباب الموجبة نزاع أحد من أفراد رعايا الدولة العلية داخلاً كان أو خارجاً فلذلك المأمول بمجال وصوله اذا كان هذا المسموع صحيحاً حالاً تلاشوا مقدمات وأسباب المنازعات المودية لسلب راحة الأهالي إذ ذاك بالوجوه لا يوافق رضى الدولة العلية وتهتموا الآن تظهروا بهذا المعنى ثمرة استقامتكم

وصداقتكم لنا وتفيدونا وتخبرونا لا يلزم لكم مزيد الإشراف بهذا الخصوص

متصرف قدس

في ١٩ ل سنة ٦٦ شريف

أدهم

نفى البيكات الى طربزون

لم يكن عبد الفتاح آغا النمر يفكر بمناوأة البيكات لولا شكايتهم عليه . فلما وصله كتاب المتصرف ركب الى القدس ، وأخبره بمعارك البيكات في المغاريب ، فكتب المتصرف يخبر محمد رشدي باشا القبرصي والي الشام ، وكانت الحرب الأهلية في الخليل دائرة بشدة فحضر محمد رشدي باشا بحملة عسكرية الى متصرفية القدس وبعد التحقيق ثبت له هجوم البيكات على الشعراوية واشتراك سليمان بك القائمقام بالذات فيها فقبض على سليمان بك طوقان ، وعبد الله بك طوقان ، ومصطفى بك طوقان ، والحاج ابرهيم البرقاوي ، والشيخ محمد الصادق الريان ونفاهم الى طربزون ، وحقق فيما بين آل عبد الهادي وآل جرار فقبض على محمد أفندي الحسين ويوسف أفندي السليمان ، ونفاهم جميعاً الى طربزون[1] وظلوا فيها الى سنة ١٢٨٠ فتزوج بعضهم هناك وبعضهم هرب ، فعادت الحرب الأهلية وانفجرت مرة أخرى .

الحرب بين القاسم وريان

انتقل آل ريان العثمان[2] الى الجهة الغربية من جماعين ، وسكنوا في مجدل يابا ، ولما ثار آل القاسم على ابراهيم باشا ، لم يثوروا معهم ،

---

(١) هي مدينة في بلاد الكرج على ساحل البحر الاسود . (٢) راجع بحث بني غازي وعشائر الجنوب في فصل عشائر جبل نابلس .

وبعد الثورة أصبحوا شيوخاً على جماعين كلها ، ولما عاد محمود بك القاسم وأخويه أحمد بك وعثمان بك من مصر – بعد خروج ابراهيم باشا – طالبوا بحقهم في جماعين فأعيد لهم النصف الشرقي ، وبعد نفي الشيخ محمد الصادق الريان استولوا على جماعين كلها . ولما تعين علي بك طوقان قائمقاماً لنابلس تمكن موسى آغا وسليمان آغا الريان بواسطته من رشوة متصرف القدس بمبلغ سبعة وأربعين ألف قرش فأعاد لهم النصف الغربي من جماعين ، وأعطى النصف الشرقي لموظف من قبله ، وحرم آل القاسم منه . فثار آل القاسم وطردوا الموظف وهاجموا آل ريان في النصف الغربي ، فوقعت الحرب بينهما .

واقعة دير استيا وإنقاذ آل القاسم

أغاظ متصرف القدس ما فعله آل القاسم بموظفه وبآل ريان فأمد هؤلاء الذين وعدوه بالقبض على آل القاسم وأنهم سيأتونه بهم صاغرين فتضايق آل القاسم واستنجدوا بعبد الفتاح آغا النمر ، فأمدهم بجرود على رأسها عبد القادر[1] آغا النمر ، فأدركهم وهم محصورون في دير استيا وهم في منتهى الضيق ، فأنقذهم وأتى بهم الى نابلس ، لأن جموعهم لا تستطيع مقاومة آل ريان الذين يمدهم صف طوقان ومتصرف القدس فنزلوا ضيوفاً على آل النمر في حيهم الحبلة وبقوا فيها سنتين .

صلح آل القاسم وآل عبد الهادي

استطاع عبد الفتاح آغا النمر إقناع آل القاسم بأن ابراهيم باشا هو الذي قتل الشيخ قاسم الأحمد وولديه وأنهم قتلوا في الشام ، وأن الشيخ حسين عبد الهادي وولده الشيخ سليمان قد ماتا ولم يعد لهما عند

---

(١) هو جد مؤلف هذا الكتاب لامه .

آل عبد الهادي حق ، وهم اليوم جالون عن قراهم ، وإن ظلوا متفرقين ومتباغضين هم وآل عبد الهادي فسيقضى على الصف جميعه ، لأن قواه الخاصة لا تكفي لكف الأذى عنهم ، وكذلك أقنع آل عبد الهادي فتصالح الفريقان وتناسوا ما بينهم من الأحقاد واتفقوا على العمل متحدين وكان ذلك حوالي سنة ١٢٧١ ه .

رجوع محمد الحسين وغلطة أحمد اليوسف

هرب محمد أفندي الحسين من طربزون وصار يهاجم آل جرار ، واشتبك آل جرار مع الحفاة فوقعوا بين خصمين ولم يعد بمقدور البرقاوي وسيف مهاجمة الحفاة فاستنجد آل جرار بعبد الفتاح آغا ليساعدهم لدى متصرف القدس للقبض على محمد أفندي الحسين ، فأنجدهم عبد الفتاح آغا وكتب لمتصرف القدس ولوالي الشام يطلب القبض على محمد أفندي الحسين ، وكلف آل جرار بالصلح مع آل عبد الهادي والحفاة وحذرهم من بذل أموالهم للحكام . فداخلهم الشك في نواياه واعتقدوا بميله لآل عبد الهادي . ولما ذهب علي بك طوقان قائمقام نابلس إذ ذاك الى جبع للبحث معهم بخصوص الخلاف الواقع بينهم وبين الأحفاة ، أطلعه أحمد آغا[1] اليوسف الجرار على صور العرائض والشكايات ومكاتيبه لهم ، فجاء بها علي بك الى نابلس وأطلع عليها القاضي والمفتي والنقيب وسائر أعضاء المجلس[2] ، فاتهموا أحمد آغا الجرار بتزويرها ومزقوها . وكان عبد الفتاح آغا في القدس يساعد آل جرار ، فكتب له عبد القادر

---

(١) احمد اغا هو ابن يوسف ابن الحاج احمد اغا اليوسف المار الذكر . (٢) تشكل بعد الحكم المصري مجلس اسمه مجلس الشورى سيأتي الكلام عليه في باب الحكومة من الجزء الثاني .

آغا النمر عما حصل وينبهه لآل جرار ، ويطلب منه حفظ كتبهم ، فأجلى هذا الكتاب السبب في انقسام آل جرار ووقوع العداوة بينهم وبين آل النمر ، وفيما يلي صورة الكتاب المذكور :

كتاب عبد القادر آغا لعبد الفتاح آغا

سني الهمم الوالد الأفخم أفندم دام بقاه

بعد تقبيل أياديكم الكرام نعرض لحضرتكم بأنـه تقدم أرسلنا لكم تعريف كافي عما توقع ثم تقدم قبله بيومين ثلاثة توجه علي بك الى جبع لأجل إتمام مواد بيت جرار بمساعي أوادم الشعراوية واستقام ليلتين في جبع وحضر لهذا الطرف فظهر من اجتماعه مع أحمد اليوسف فكاين المذكور ناقل صورة الاعراضات حرفياً وعند اجتماعه في المذكور سلمهم الى علي بك والمذكور عند حضوره أظهر ذلك في المجلس فانظروا لهذه الأفعال القبيحة الذين لم تقع إلا من الدموية[1] ، فبحسب ذلك ظهرت خيانة المذكور وهذا الذي حصل لا بأس به حيث اتضح لنا أن المذكور لم هو أصيحيح فإياكم إن كاتبكم تطلعوه على سريرتكم بل تكونوا في غاية الحذر منه ولم هو لازم مناقضته بذلك بل تخلوه على عقله وعماه بخصوص كتبه الذين أرسلناهم لكم فتحفظوهم كونهم تحت ختمه ولا بد يلزم الأمر لهم وهذا ما حدث اعرضناه وأدام الله بقاكم .

عبدكم

في ٤ ح سنة ٢٧١ عبد القادر النمر

ثم تقدم حررنا لكم صحبة فرج من طلوع علي بك جبع بانها على

---

(١) اي الذين لهم ثأر ودم وهذه الكلمة تعبر عن منتهى الغيظ والألم .

ثم نقدم حرزنا لكم صحبة فرج من طلوع علي بك جبع بأنها على غير فايدة له منهم والحال نهار تاريخه ظهر لنا ذلك الشرح المحرر أعلاه وبسطه منه علي بك في المجلس فما صدقنا ذلك حتا أننا أرسلنا الشيخ سفيان لحضرة الوالد نقيب أفندي فجاوبنا بصحة ذلك فالمراد تكونوا على بصيرة من أحمد ومن قاسم لأن الاثنين في غاية النبالة[1] ودام بقاكم والمكاتيب الذين كنا خاطبنا بها المذكورين فسلمهم الى علي بك ، يكون معلومكم ذلك . الختم

يا سبيل الستر عبد القادر النمر

الحرب بين آل جرار والموقف الحاسم

كان عبد الفتاح آغا النمر يأمل أن يتوفق للصلح بين آل جرار وآل عبد الهادي كما توفق للصلح بين آل القاسم وآل عبد الهادي ، ولما حدثت هذه الحادثة وتأكد محاولة أحمد اغا اليوسف توريطه قطع صلته بآل جرار وسند آل عبد الهادي ، فتبدل الموقف بالكلية ، وقد كان لهذه الحادثة أثرها في جبل نابلس ولاموا ال جرار فانقسموا على أنفسهم فريق منهم مع أحمد اغا اليوسف وفريق عليه ، ثم اتسع الخلاف فأدى الى استعمال السلاح والحرب بين الفريقين ، فاستنجد فريق بآل عبد الهادي وال النمر ؛ وفريق بآل طوقان والبرقاوي ، ودخلت المسألة في دور حاسم .

❀❀❀

(١) أي التلون .

تصدع صف[1] طوقان (اليمن) وتمزقه

بانقسام آل جرار ضعف صف طوقان في الشمال و كان ال منصور الحاج محمد قد تخاصموا مع بني شمسه فوقعت بينهم دماء اضطرت ال منصور الحاج محمد بعدها الى الجلاء عن بيتا وظلوا مع البيكات (طوقان) ضد ال عبد الهادي . ولأن سعيد آغا طوقان نشأ بين الحفاة في الناقورة اقطاع ابيه اسماعيل[2] اغا طوقان فقد انتصر للحفاة ضد البيكات وقاومهم من اجلهم وقد انضوى تحت لوائه فريق من نابلس في الاحياء الغربية ومن بورين وحره و كفر قليل وانضم اليهم بنو شمسة وحمايل عقربا من انصار البيكات الذين خجلوا من الانضمام لصف النمر رأساً فكانت هذه الضربة خسارة كبيرة وتصدع كبير في صف طوقان . و كان ال عبد الهادي والخماش وزيد والجوهري كونوا كتلة في الاحياء الغربية فانشلت واضطر علي بك على لزوم بيته لفقدانه القوة الخاصة ولعدم قدرته على قيادة صفه وبذلك اصبح صف طوقان (البيكات) كتلاً متفرقة بلا رئاسة عامة كما يلي :

البرقاوي – ومعهم الثلث الغربي من وادي الشعير وينضم اليهم الجيتاوية في غبتا وبعض وادي الشعير الاوسط و كانوا جميعاً يسيرون مع جموع البيكات الخاصة ، وبعد نفي البيكات الى طربزون اصبحوا ينضمون الى جموع ريان ؛

ريان – ومعهم النصف الغربي من ناحية جماعين وال فارس في مردا وال نمرة في سلفيت والنزال والشريم وداود في قلقيلية والمصاروة في

---

(١) راجع عرف الصفوف في باب الامارة من الجزء الثاني . (٢) هو اسماعيل آغا ابن عبد الله اغا ابن اسماعيل اغا ابن احمد اغا ابن ابراهيم اغا جربجي طوقان المار الذكر ، اصبح لهم اقطاع الناقورة بعد تنظيم الاقطاع سنة ١٢٤٢ هـ .

الطيبة ، وكان قائد الجميع الشيخ الخفس من ال شايب الفارس وينضم اليه ال قمير في كفرقدوم ؛

جرار — (اليمن) ولهم نصف بلاد حارثه ثماني عشرة قرية من جبع الى طوباس وينضم اليهم الرشيدات في صير والجرادات في السيلة الحارثية والصورة في دير الغصون وقفة في عنزة وبعض عشائر في الشعراويتين والصوافنة في طوباس و كل طلوزه عدا الدبابسة ، ونصفي ياصيد وطمون ، وكان مركزهم جبع ومعهم من ال جرار سكان برقين وميثلون ؛

آل منصور الحاج محمد — نزلوا في تلفيت وجالود والمغيرة وقصرة وانضمت اليهم بعض عشائر الفلاحين ، وكانوا يتعاونون مع بدو الغور المجاورين لهم من المساعيد وعباد ، وكان عقيدهم الشيخ خليل الناصر ومركزهم جالود وتلفيت ؛

البدو - وهم الصقر ، وعباد ، والهنادي ، والمساعيد ، وابو كشك[1] .

اشتداد صف النمر (القيسي) وتغلبه

كان عبد الفتاح اغا النمر في حيرة حينما نشبت الحرب الاهلية لان صلة آل النمر بال جرار وآل عبد الهادي اصبحت متساوية وقد شق عليه ما وقع بينهما فلم ينصر فريقاً على الاخر ولم يمده وبذلك تحرج موقف آل عبد الهادي ، وغلب آل القاسم واضطر عبد الفتاح اغا النمر على الاستنجاد بقوة والي الشام فأتى رشدي باشا القبرصي بحملته وقبض على مثيري الحرب ونفاهم الى طربزون . ثم هرب محمد افندي الحسين فعاد

---

(١) اصلهم من مصر و كانوا ينضمون لابي غوش في جبل القدس وفي بعض الاحيان ينضمون لصف طوقان في جبل نابلس ويقول القنصل فين انهم رغم قلة عددهم استطاعوا ان يجعلوا لهم أهمية في هذه الحروب .

عبد الفتاح اغا يطلب القبض عليه ، ويعرض على ال جرار وال عبد الهادي الصفح . ولما سلم احمد اغا اليوسف كتبه لعلي بك طوقان تغير الموقف وترك عبد الفتاح اغا ال جرار ونصر ال عبد الهادي وذهب التردد وحل محله الحزم وكانت قوى ال النمر متوفرة ولعدم وجود قوة خاصة ورئاسة لصف اليمن (طوقان) فقد نجت نابلس من الحرب في شوارعها وتحولت قوة القيس (النمر) الخاصة للنجدة وبقي عبد الفتاح آغا في نابلس يدير حركة الصف كلها في الجهات الاربع وولى قيادة القوة الخاصة لابن عمه عبد القادر اغا النمر وقد ابقاه وقواه للنجدة ونظم قوى صف القيس وهي الآتية :

الجرود الخاصة : (ا) حارة الحبلة : وفيها ماية عشيرة وفدائية ال النمر واتباعهم وسباهيتهم وتقدر جرودها إذ ذاك بألف بواري يكونون تحت الراية في ساعة واحدة حالما يقرع الطبل ؛

(ب) المشاريق : وفيها الدويكات في بلاطة وعسكر وروجيب وبيته وفيها كنعان العامر في كفر قليل ، وفيها جميع اهالي عورتا ما عدا الشرابة ، وفيها الخموس في حوارة ؛

(ح) جورة عمرة : وفيها الشتيوات في كفر قدوم وجبارة في قرية حجة وبعض عشائر في تل وصرة وبورين ؛

(ء) القرى الشمالية : وهي جميع عصيرة والدبابسة في طلوزة والضراغمة في طوباس ونصفي طمون وياصيد ؛

(ه) القرى الغربية — وهي : زواته ، وبيت ايبا ، وبيت وزن ، ودير شرف ، وبعض رفيديا ؛

ال عبد الهادي — ومعهم الشعراويتان الشرقية والغربية وعدد قراها خمس

واربعون قرية وينضم اليهم الزيود في السيلة الحارثية وال الطاهر في يعبد والمناطشة في قاقون ؛

الجبايسة — ولهم الاربع والعشرون قرية المعروفة ببني صعب ، وينضم اليهم ال رضوان في عزون وزيد في قلقيلية وكانت تنضم اليهم بعض عشائر الجنوب في بعض الاحيان كجبارة ومن ينضم اليها ؛

الاغا طوقان — ومعهم بعض الاسر في احياء نابلس الغربية ، وبنو شمسة في بيتا وحمايل عقربا وال منصور في كفر قليل وبعض بورين . وكان هذا الفريق بقيادة سعيد اغا طوقان ينتصر للحفاة مستقلا لا سيما في الدور[1] الأول ؛

الاحفاة — ولهم الثلث الشرقي من وادي الشعير وينضم اليهم ال احمو في عنبتا وانصارهم في وادي الشعير الأوسط . وكانوا حاجزاً بين ال جرار وانصارهم من صف اليمين وهم كتلة قوية مخلصة ؛

ال القاسم — كانت معهم جماعين الشرقية وفيها اثنتا وعشرون قرية وكانت تنضم اليهم حامولة خلف في رنتيس اقوى عشائر جماعين الغربية وكان ال ريان يقولون « متى فكت خلف بند العباه بتنا آمنين » أي متى استراحت خلف وتركت الاستعداد للحرب كانوا يطمئنون ؛

ال احمد الحاج محمد — ومركزهم بيت فوريك ، وينضم اليهم ال عبد الجليل الكنعان الحاج محمد في بيت دجن وجوريش ، وينضم اليهم ال سعادة الحاج محمد والابوم في قريوت ، وعشائر

---

(١) ألصق علي بك طوقان بسعيد اغا طوقان تهمة قتل مباشر الحكومة فقبض عليه وسجن الى ان مات فلم يشترك في الدور الثاني فظهر اخوه داود اغا .

الفلاحين في القرى المجاورة ، وتمتد من جبل القدس الى وادي الباران ، وكانوا في اكثر الاحيان ينضمون لجرود آل النمر الخاصة ، وكان شيخهم صباح الصبيح بن احمد الجابر الحاج محمد ؛

جرار (القيس) — مركزهم صانور ولهم نصف بلاد حارثة الشمالية من بيت ياروب — على طريق جينين — الى بيسان ، وكانت معهم جينين وبيسان ؛

البدو — وهم العدوان واحلافهم الصخر والفريحات [1] ثم (الغزاوية) التياها . وكانت هذه الاقسام تنقسم الى اقسام فرعية متعادية ليس بالوسع تعدادها لكثرتها وصعوبة تقسيمها .

سير الحرب في دورها الأخير

خلص آل النمر من ترددهم بين جرار وعبد الهادي ، وصمموا على إنهاء الحرب الأهلية ونصرة أنصارهم في جميع النواحي ، فسارت الحرب في دورهـا الأخير سيراً شديداً حاسماً وقد سميت صفوفها في كل جهة خلاف الأخرى ؛ ففي الشمال عرف الصفان بصفي جرار وعبد الهادي وفي وادي الشعير والمغاريب عرفا بصفي عبد الهادي وطوقان ، وفي الجنوب عرفا بصفي قاسم وريان ، وفي الشرق عرفا بالقيس واليمن ، وفي الخارج عرفا بصفي طوقان والنمر كما يقول القنصل المسيو فين الافرنسي في تقريره فقد ذكر فيه : « إن جبل نابلس في الحرب الأهلية كان يقسم الى صفين ، وهما صف طوقان وأنصاره أولاد البرقاوي ولهم ثلث وادي

(١) هم عشيرة قوية كبيرة في جبل عجلون ظهر اسمهم بعد ضعف بني هالي في اواخر القرن الثاني عشر .

الشعير ، وآل ريان ولهم نصف جماعين وفيهـا اثنتا وعشرون قرية ، وآل جرار ومعهم نصف بلاد حارثة ، ونصفها الآخر مع الفريق الآخر .

وصف النمر وقواده آل عبد الهادي ومعهم الشعراويتان ، والقاسم ومعهم جماعين الشرقي وفيه اثنا وعشرون قرية ، وآل الجيوسي ومعهم بنو صعب بقراياها الأربع » اه كلام القنصل .

وكان المتحاربون يسيرون بحسب عرف الصفوف[1] القديم ويتجنبون الغدر والكيد ، فيحترمون الأسرى فإذا ظفر فريق بأسرى من فريق آخر حلقوا لهم وكسوهم وأرجعوهم الى أهليهم ، وكانوا يتجنبون أذى النساء والأولاد والضعفاء ، وهذا من عرف الفروسية الاقطاعي العشائري الآتي ذكره .

انقاذ برقة

أصبح الحفاة هدفاً لصف اليمن جميعه ، لأنهم كانوا يحولون دون اتصالهم بجرار ، وكان ينجدهم سعيد آغا طوقان ثم عبد الفتاح آغا النمر ، وبعد فوز ريان على آل القاسم توجهت جموع جماعين ووادي الشعير بقيادة الشيخ الحفش المرداوي وحاصروا برقة ، فلم يبال بهم الحفاة ، فكان شيوخهم[2] يشجعون شبانهم قائلين : « ياشبان الموش الموش هادا الحفش ما منوش » فثبتوا الى أن وصلتهم النجدة من آل النمر عن طريق ياصيد ، فارتد عنهم الحفش خائباً ، وبعد هـذه المعركة دارت الدائرة على صف اليمن .

* * *

---

(١) راجع عرف الصفوف في باب الامارة من الجزء الثاني . (٢) كان شيوخ الحفاة في هـذا العهد المشايخ اسماعيل اليوسف ، ومحمد السمارة ، واحمد النكايد .

القضاء على ريان

انتعش آل عبد الهادي بانقسام آل جرار وزال الخطر عنهم ، فأصبح بإمكان صف القيس إمداد آل القاسم فأمدهم بجموع هاجمت ريان من الغرب والشرق في سنة ١٢٧٢ هـ وطوقته فأحرقت له سبع قرى وهدمتها ونهبت الخمس عشرة قرية الباقية ونجا آل ريان والخفش وأنصارهم بأنفسهم الى نابلس فظلوا فيها مدةً كبيرة ثم عادوا الى مجدلهم ضعفاء لا حول لهم ولا قوة ، وقد ساد ال القاسم في جماعين كلها ، وأصبح لهم شأن كبير في حكومة نابلس ، لا سيا بعد أن صارت نابلس متصرفية .

نهب سلفيت

انقم اليمن في المشاريق لريان فاستنجد قائدهم الشيخ خليل الناصر بالأمير بركات المسعودي ، فأنجده بجموعه وبجموع من أحلافه العبابيد (عباد) ، وانضم اليهم الشيخ محمود أبو الرزق سحويل[1] شيخ بني زيد

(١) كانت عشائر جبل القدس الجنوبية مرتبطة بجبل نابلس حزبياً وكان رجل من بني زيد احدى تلك العشائر قتل قتيلا من عشيرة أخرى فأطنب عند آل النمر وطلب أن ينزل في قرية صرطة فبنوا له داراً هناك ، وكان أحد شيوخ جماعين عقد على ابنة هـذا الطنيب قسراً ودون أن يمكن أباها من مشاورة أهله وشيخه ، فغضب بنو زيد وهجموا على صرطة بقيادة شيخهم الشيخ عبد القادر البرغوثي وأخذوا الطنيب وبنته ، فاغتاظ آل النمر من هذا العمل الذي هتك حرمة الطنابة ، وكان محمد آغا النمر متسلماً على القدس فعزل الشيخ عبد الجابر وقاضاه حرمة الطنابة وولى مكانه الشيخ رباح البرغوثي ، وفي عهد ابراهيم باشا قتل الشيخ عبد الجابر بدسيسة من الشيخ رباح وآل القاسم ، فوقعت الفتنة بين البراغثة ، فتركهم بنو زيد وولوا عليهم شيخاً من آل سحويل ، ولما ساد محمود بك القاسم في جماعين غضب على الشيخ محمود أبو الرزق سحويل شيخ بني زيد ، فسجنه وأهانه وترقب هذا الفرص فلما هاجم خليل الناصر جماعين اشترك معه بنهب سلفيت وبعد ردهم ذهب —

في جبل القدس فهاجموا جماعين الشرقية ونهبوا سلفيت فردهم عثمان بك القاسم بقوة من حكومة القدس التي كان مدير الأمن فيها .

تشريد اليمن الى البلقاء

تحولت جموع اليمن عن جماعين وأخذت تسوم القيس في المشاريق ونضايقهم ولما حاصروا عورتا استنجدت بعبد الفتاح اغا النمر في نابلس فأنجدهم بجروده الخاصة بقيادة عبد القادر اغا وانضمت اليهم باقي جرود المشاريق من ال الحاج محمد وجورة عمرة وجماعين ، فكسروا جموع اليمن وفروا هاربين الى البلقاء التي ظلوا فيها نحو سنتين وهدم عبد القادر اغا النمر مضافات صف اليمن حتى حدود القدس دلالة على كسرهم .

استنجاد اليمن بالصقر

بعد القضاء على ريان وعلى اليمن في المشاريق تجمعت فلول الصف جميعها سنة ١٢٧٤ هـ في الشمال عند ال جرار اليمن ، وإذ لم يبق لهم في نواحي جبل نابلس جميعها منجد استنجدوا بأحلافهم وأنصارهم من البدو ، فأنجدهم الشيخ دباح السعيد شيخ الصقر بعربه وأحلافه من الهنادي والعبابيد (عباد) وانضمت اليهم جموع جرار (اليمن) ، وفلول صفهم في سائر الجهات ، فكونوا جيشاً كبيراً صاروا يهاجمون به صف القيس في جميع الجهات فحصلت معارك قوية فاصلة .

❁❁❁

— عثمان بك القاسم ومعه الحواترة والزيتية شيوخ المزارع الى متصرف القدس ، وعزلوا الشيخ محمود ابو الرزق سحويل من مشيخة بني زيد وولوا الشيخ صالح العبد الحاير البرغوثي فعادت المشيخة للبراغثة .

خرابة بيت ياروب والدير

اتجهت جموع اليمن من بدو وقرويين نحو صانور فلاقتهم جموع القيس بقيادة أبو العوف المفلح الجرار عقيد ال جرار القيس والبطل المشهور إذ ذاك فردهم عن صانور تحت بيت ياروب ، وبلغهم أن الصَّورَة في أشد الضيق من جموع ال عبد الهادي ، فتوجهوا نحو دير الغصون لإنقاذهم وتكاثرت جموع اليمن في تلك المعركة فغلب ال عبد الهادي وذبح من جموعهم عدد كبير ، فارتدوا عن الصَّورَة وتفرقوا الى قراهم وتوجهت جموع الصقر نحو وادي الشعير .

وبينما كان أبو العوف جرار عائداً من دير الغصون بعد الواقعة مسربلاً بالسلاح خرج عليه كمين من اليمن فقطعوه إرباً ، وكان قتله خسارة كبرى لصانور فلبست عليه السواد وقال شاعرها :

يوم الدير يا يوم السوادي　　طلعن البيض غاشيهن سوادي

إجلاء الشتيوات

كان الشيخ حمدان العودة شيخ عشيرة تمير في كفر قدوم في قلب صفه ريان من الجنوب والبرقاوي من الشمال ، فضايق الشتيوات وقتل شيخهم اخليف ، ولما قضي على ريان وضعف الصف كله نهض الشتيوات للثأر والانتقام فضايقوه مضايقة كبيرة ، ولما بلغه خبر نجدة الصقر لصفه وانتصار صفه استنجد فأنجدوه ، فضايق الشتيوات الذين أبلوا بالدفاع وقتلوا من الصقر عدداً كبيراً فملوثوا منهم الابار ؛ إلا أن مشغولية صف القيس بما هو أعظم وتخوفهم من غارة البدو على نابلس حملهم على عدم إمدادهم ، فاضطروا على قبول الجلاء عن كفر قدوم [1] بعد أن قتل منهم أربعة عشر رجلاً .

(١) فنزل منهم الجد والعسلية وأبو العدس وطلعطو في نابلس ، ونزل آل أبي السعود —

استنجاد القيس بالعدوان

لما بلغ عبد الفتاح اغا النمر ومحمود بك عبد الهادي خبر غارة الصقر ومافعلوا استنجدا بالعدوان وجمع عبد الفتاح اغا النمر جميع جروره الخاصة وانضمت اليها جموع جماعين فنزل بهم عبد القادر اغا النمر الى غور بيسان فانضم اليهم الغزاوية (التياها) ورابطوا ينتظرون نجدة العدوان التي وصلت بقيادة سلطان البلقاء الامير علي الدياب وقد انضم اليه احلافه من الصخر والفريحات[1] وتوجهوا جميعاً نحو جينين فالتقوا بجرود ال عبد الهادي بقيادة محمد افندي الحسين ومحمود اغا المحمد الجرار وساروا جميعاً فالتقوا بجموع الصقر وال جرار عند عين حزوبه وقد بلغت جرود الفريقين اكثر من عشرين ألفاً .

حرابة حزوبه

التحم الفريقان فقتل عبد الله افندي الحسين عبد الهادي ومحمود اغا المحمد الجرار والامير غالب ابن عم الامير علي الدياب ودارت الدائرة في بادئ الامر على صف القيس لولا ان احد عبيد الامير دياب قتل الشيخ رباح السعيد عقيد الصقر وجموع اليمن فانفرط عقدهم وهربوا وتشردوا نحو بيسان .

يوم الشرار

بلغ الامير دياب بان الصقر عادوا بجمعوا جموعهم على الشرار فتوجه بالجموع نحوهم و كسرهم شر كسرة ونهب جميع مواشيهم وهدم بيوتهم وقتل

- في رفيديا ، ونزل ال ابراهيم والدعاس والقاضي في بيت أمرين ، ونزل الوجيه في اكسال من قضاء الناصرة ، ثم عاد فريق من ال الدعاس الى كفر قدوم بعد الصلح .

(١) هم من عشائر جبل عجلون القوية ظهر امرهم بعد ضعف بني صالح .

منهم في ذلك اليوم الاسود عدداً كبيراً ورحلت نساؤهم الى غور ابي عبيدة تستنجد الاحلاف حاسرات الرؤوس باكيات نائحات فكان يوم الشراو يوماً عبوساً قيل فيه :

يوم حطت عالشراو يوماً اسود كالقطران

غارة العدوان

سار الامير دياب بعد ذلك غرباً الى ان وصل يافا فنهب ابو كشك ونهب كل من صادفه من صف اليمن ثم عاد من وادي الشعير فنهب قرى البرقاوي ، ثم مر عن مدينة نابلس فأعطى حدية[1] لحارة الحبلة ملأت أزقتها جميعها ثم توجه نحو غور نمرين[2] بعد أن قوض أركان اليمن في كل مكان .

اباء عصيرة وكسر جرار

كانت القرى الشمالية اشتركت مع جرود عبد القادر اغا النمر التي لاقت جموع العدوان ، فانتقم جرار اليمن من الضراغمة في طوباس والدبابسة في طلوزة والبشارات في طمون واحتلوا مضافاتهم ، واخضعوهم ثم اتوا الى عصيرة واحتلوها فجلت الى سفوح عيبال المطلة على نابلس واستنجدت بعبد الفتاح اغا فانجدها بثمانماية بواردي من حارة الحبلة وانضم اليهم في هذه الموقعة البعض من الحارات الاخرى ، وصعد بهم عبد القادر اغا النمر الى سفوح عيبال وانضم اليه اهالي عصيرة فارسل منهم فرقة رابطت على طريق طلوزة ليأمن المباغته فلاقتهم جرود جراد فصوب

---

(١) الحدية هي عطاء يقدمه الغازي لمن يصادفه او يمر عنه من احلافه . (٢) هو غور العدوان ويعرف اليوم بشونة ابن عدوان .

حسين المصري بندقيته نحو عقيدهم فقتله وانهزمت جرود جرار الى عصيرة فاحاطت جرود الجبلة بعصيرة وطوقتها وقطعت اتصال ال جرار وجرودهم ببعضهم وصار ال جاموس وغيرهم يقوضون المباني على من فيها . وبعد هدم اثني وعشرين عقداً اضطر المخلون من آل جرار وجرودهم على التسليم فكان في عصيرة بضعة عشر رجلاً من آل جرار فاتوا بهم وبجموعهم الى نابلس فاستقبلهم عبد الفتاح اغا النمر على قدم عيبال فوق المقبرة الشمالية باكياً وحياهم وانزلهم ضيوفاً عليه واظهر من الكرم في ذلك اليوم ما ادهش الناس ثم كساهم كسوة ثمينة حسب الاصول وارجعهم الى قراهم معززين مكرمين فغسل بذلك مافي قلوبهم من ضغينة فكانت معركة عصيرة فاصلة تفاهم بعدها ال النمر مع ال جرار وتفاهم ال جرار مع بعضهم فعادوا الى رأي عبد الفتاح اغا الاول وعادوا للشكايات .

عزل محمود بك وعصيانه

لما كانت الحرب الأهلية دائرة في فلسطين كانت حرب القرم مستعرة بين الدولة العثمانية وروسيا فكثرت شكايات القناصل عن جبل نابلس ولما بلغ متصرف القدس اشتراك محمود بك واستنجاده بالعدوان عزله وارسل للمير ألاي في نابلس يطلب القبض عليه لنفيه فرفض محمود بك التسليم واعلن ال عبد الهادي العصيان واحتلوا جينين .

حملة والي الشام ووساطة عبد الفتاح اغا

لما بلغ متصرف القدس عصيان ال عبد الهادي كتب لوالي الشام بالخبر فغضب واسرع بالمجيء بحملة كبيرة لضرب ال عبد الهادي ونزل في المرج تجاه جينين وارسل لمتصرف القدس يطلب منه الزحف بمن معه

ليلاقيه فكتب متصرف القدس يقترح توسيط عبد الفتاح اغا لئلا يحصل من جيش الشام مايثير جبل نابلس جميعه فوافق الوالي و كتب لعبد الفتاح اغا فنزل الى جينين على ال عزوقة وقيل على الغبابشة ومعه ولده بدوي اغا وعدد من الفدائية [1] والأتباع ، ولما بلغ محمود بك الخبر أتى للسلام عليه فعاتبه عبد الفتاح اغا على غلطته بعدم التسليم للنفي ، لأن مثله لا يجوز أن يحسب حساباً للنفي وأنه يكون معززاً مكرماً ، وبعصيانـــه يقع بين الدولة وال جرار فيقضي على عشيرته قضاءً مبرماً . وكان محمودُ بك لين العريكة بعيد النظر فقبل برأي عبد الفتاح اغا ، وذهبا الى والي الشام في المرج ، فاستلمه وعاد بجيش الشام الى دمشق .



قصر محمود بك عبد الهادي وقد بناه ولده الحاج عبد الرحيم افندي ويعرف اليوم بدار عبد الرحيم



(١) راجع فصل السباهية في باب الحكومة من الجزء الثاني .

الفصل الثالث

الدولة تنهي الحرب الأهلية

تشكيل المتصرفية

بعد انتهاء حرب القرم تفرغت الدولة لبلادها ، فأقنع القناصل الدولة بأن صلة نابلس بالقدس وترك نابلس بلا قوة حكومية وموظف غريب هو العامل الأكبر في بقاء التطاحن ودوام الحرب الأهلية ، فاقترحوا – لا سيما القنصل فين قنصل دولة فرنسا – جعلها متصرفية ، وتعيين حاكم حازم عليها فعملت الدولة برأيهم وجعلت نابلس متصرفية عينت عليها ضيا بك المصري الشديد وأمدته بقوة من الجند والمدافع للقضاء على التمرد وإنهاء الحرب الأهلية وذلك سنة ١٢٧٥ هـ .

استمرار عصيان آل عبد الهادي

لما كان عبد الفتاح اغا النمر يقنع محمود بك عبد الهادي بالتسليم وقف محمد أفندي الحسين على الباب وقال لعبد الفتاح آغا بحدة « يا آغا هدي البلاد أخذناها بالسيف » ، فغضب عبد الفتاح آغا وأشاح بوجهه عنه ، فقام محمود بك ودفعه عن الباب ، ولما سلم محمود بك بنفسه ترك محمد أفندي الحسين جينين وتحصن في عرابة ، وصار يهاجم آل جرار ويقطع الطرقات ويؤذي الأجانب ، فتوالت شكايات القناصل من جهة وآل جرار من جهة أخرى . فقررت الدولة هدم عرابة واستئصال العصيان ، وتجنب عبد الفتاح آغا التدخل بأمر محمد أفندي الحسين لعلمه بعناده وشططه .

حملة ضيا بك لهدم عرابة

في فصل الربيع من سنة ١٢٧٥ هـ ، خرج المتصرف ضيا بك ومعه مجلس[1] الشورى وحملة عسكرية مكونة من أربعمائة جندي من المشاة ومايتين من الفرسان وثمانين من حملة البنادق المضلعة ومدفعين سهليين من شبه البرونز من العيار الكبير وعدد من البنائين ، وانضمت اليهم جميع العشائر المعادية لآل عبد الهادي وجميع آل جرار الذين تفاهموا واتحدوا لرد غارات محمد أفندي الحسين ولهدم عرابة انتقاماً لصانور ، وقد جمعوا مبلغاً كبيراً قدر بنحو ثلاثة الاف ليرة لرشوة الوالي والمتصرف ورجال الدولة ، وانضم إليهم الصقر للانتقام ليوم حزوبة والشرار .

مفاوضة آل عبد الهادي

نزل ضيا بك بالحملة بعيداً عن عرابة ساعتين ، ونظراً لما وقع بين عبد الفتاح اغا النمر ومحمد أفندي الحسين ولاستمراره بالعصيان وعدم نزوله على رأي عبد الفتاح اغا ، فإن الأخير لم يتظاهر بمساعدته ولم يحضر مع المجلس الذي رافق الحملة والذي كان أحد أعضائه ، إلا أنه أوعز لولده عبد الكريم اغا وكيل المير ألاي بأن يقترح مفاوضة ال عبد الهادي ، وأن يعمل كل ما يستطيع لمساعدتهم .

وقد قبل ضيا بك بمفاوضة ال عبد الهادي ، وأرسل إليهم وفداً مكوناً من الشيخ محمد عاشور العضو الحيادي في المجلس ، والمير ألاي[2] صالح بك الحسين عبد الهادي ، وأخوه محمد افندي الحسين المذكور ، ورئيس

---

(١) راجع فصل المجالس في الجزء الثاني وتشكيل الحكومة في دور الانتقال من الجزء الثالث . (٢) هو من اولاد الشيخ حسين عبد الهادي الصغار ادخله محمد علي باشا المدرسة الحربية ثم الجيش فبلغ درجة مير الاي .

حركة العصيان والتمرد ، وبعد مفاوضة دامت ثلاثة أيام قنع آل عبد الهادي بالتسليم على شرط أن لا تهدم عرابة ، واكتفى المتصرف باستسلام محمد أفندي الحسين ثم هدم الأسوار . واتفق الفريقان على أن ترفع عرابة الرايات البيضاء حينما يقبل الجيش عليها ويتقدم محمد افندي الحسين وبيده الراية البيضاء فيسلم نفسه للجيش ثم تهدم الأسوار وينتهي العصيان .

مكيدة آل جرار

لما تحقق آل جرار إذعان آل عبد الهادي اسقط في أيديهم واتهموا الوفد والمجلس بالرشوة ، ودبروا مكيدة لإحباط مساعي الوفد . فلما زحف الجيش نحو عرابة أرسلوا جماعةً منهم هاجموا عرابة من الجهة التي أتى منها الجيش ، فقابلهم العرابيون وردوهم فانهزموا أمامهم وصاروا يطلقون النار على الجيش ووراءهم جموع عرابة تطلق النار عليهم ، وإذ لم تكن ميزة تميزهم عن بعضهم ، ظن الجيش أنهم جميعاً جموع آل عبد الهادي ، فقابلهم بالمثل وردوهم ، وصاح شيوخ آل جرار بضيا بك محمد الحسين وجموعه تريد ذبحك ولا تريد الصلح لا بد من هدم عرابة ، وكان المجلس أكثره من أعداء آل عبد الهادي ، فظاهروا آل جرار ، وأعطوا قراراً بضرب عرابة ، فأطلقت عليها المدافع وهاجمتها الجموع .

هدم عرابة

دام إطلاق المدافع على عرابة وفيها النساء والأطفال ساعتين لم تصب إلا رجلاً من آل عبد الهادي اسمه عبد الفتاح ، ولم تهدم إلا جهة في غرفة . ثم سكتت فهجم البدو من الجهة الشرقية فردتهم جموع آل عبد الهادي وتبعتهم ، فداروا ودخلوا عرابة من جهة أخرى ،

فأصبحت ودخلت سائر جموع ال جرار من الجهة التي هاجمها البدو أولاً ، جموع آل عبد الهادي خارج عرابة ، واحتل الجيش والبدو وآل جرار عرابة فنهبوها وهدموها جميعها ولم يبقوا فيها إلا على دارين ليقيم الجند فيهما .

انقاذ آل عبد الهادي وأموالهم

في الوقت الذي كانت فيه المفاوضة دائرة بين الوفد وآل عبد الهادي كان عبد الكريم آغا النمر يدبر مع آل عبد الهادي خطة لإنقاذ أموالهم ونسائهم فيما لو فشلت المفاوضة فتم الاتفاق على ذلك . ولما دخل الجيش عرابة ذهب عبد الكريم آغا بفرسانه وفدائيته ، فحمل أموال ال عبد الهادي على أربعة بغال ، وأردف هو وفرسانه عدداً كبيرا من نسائهم وشعرت به الجموع المعادية فأصلوه وابلاً من الرصاص ، فنجا ورجاله دون أن يمكنوهم من اللحاق بهم . وأتى بالنساء والأموال الى نابلس ، فبنى فيها الحاج عبد الرحيم المحمود عبد الهادي قصرهم الكبير .

وبينما كانت الجموع تشتغل بالنهب والهدم كان فريق من ال جرار (القيس) يشتغلون بإنقاذ الأطفال والنساء وحمايتهم ، فنقلوهم الى صانور وقد بلغ عدد نساء عرابة فيها نحو أربعماية ، فأكرم ال جرار مثواهم وحافظوا عليهم نحو أربعة أشهر الى أن أذن لأهالي عرابة بالعودة اليها فأرجعوا بكل إعزاز :

إذا احتربت وسالت دماؤها   تذكرت القربى فسالت دموعها

استعفاء (1) عبد الكريم آغا وإنذاره ضيا بك

لما بلغ ضيا بك ما فعله عبد الكريم اغا من إنقاذه أموال ال عبد الهادي تميز غيظاً ، فطلبها من عبد الكريم اغا ، فأتى اليه ومعه كتاب

(1) الاستعفاء اي الاستقالة .

الاستعفاء ، وأخبره بأن الأموال للنساء وقد استلمتها ، وأنه سدد آل عبد الهادي يوماً ، وبلغه على لسان والده بأن هدم عرابة كان غدراً وكيداً ، وأنه هو والمجلس وال جرار مسؤولون عن ذلك وبعدها أرسل عبد الفتاح اغا الشكايات للوالي وللباب العالي[1] .

تسرجين[2] المجلس وشيوخ آل جرار

لما أتى محمد رشدي باشا القبرصي مشير الشام سنة ١٢٦٦ هـ بالحملة وقف على أخلاق عبد الفتاح اغا النمر ونواياه حق الوقوف وتأكد إخلاصه ووثق به ، وفي هذه الأثناء أصبح أحد وزراء الباب العالي فلما وصلت الشكايات ساعد عبد الفتاح اغا و كتب لوالي بيروت ولمتصرف نابلس بوجوب التحقيق ، فاضطر المتصرف ضيا بك الى إجراء التحقيق . وبمساعدة أعضاء الوفد فضحت مكيدة ال جرار وثبت تسرع المجلس بالمصادقة على هدم عرابة فقرر والي بيروت تسرجين شيوخ ال جرار وبعض أعضاء المجلس لبيروت ، فألقى عليهم القبض وأخذوا محروسين ، وهم : درويش بك طوقان ، الشيخ محمد عاشور ، أحمد بك القاسم ، الحاج أسعد الطاهر من أعضاء المجلس ، وقاسم اغا الداود الجرار ، وأحمد اغا الجرار ، وإبراهيم اغا الجرار شيوخ ال جرار .

العفو عن آل عبد الهادي

هرب محمد أفندي الحسين وأخوه صالح بك ، ومن كان موجوداً من ال عبد الهادي في عرابة مع رجالهم الى البلقاء ، ولما فضحت المكيدة وتبين أنهم اضطروا ووقعوا في المكيدة عفا عنهم ، فعادوا

(١) الباب العالي هو القصر الذي يعقد فيه الوزراء جلستهم . (٢) التسرجين هو الاعتقال مع الحرس والمحافظين وهي كلمة دخيلة .

الى نابلس وأقاموا هادئين الى أن تبدلت الأحوال ، فتفاهموا مع الدولة وكان لهم بنزولهم في نابلس فوائد كثيرة ، فقد حصلوا فيما بعد على مراكز كثيرة في الحكومة وانتبهوا للتعليم فحافظوا على كيانهم ، ولا يزالون يعدون من أقوى عشائر وأسر فلسطين مكانة وعلماً وعدداً .

استبداد ضيا بك وخبثه

رأى ضيا بك أن الجو خلا له ، فأخذ يتحرش بالشعب ليقتل عزته ويقضي على ما بقي في البلاد من تمرد ويهين من بقي فيها من الرجال ، فأوعز لعساكره بأن يتجولوا في الشوارع ويأخذوا الشملات(١) والتلاويات والحطة والعقال عن رؤوس النابلسيين ويأمروهم بلبس الطرابيش . وصار يجبر أصحاب الأملاك على تسجيل الأراضي ، ويجبي الضرائب بشدة ، فكثر الصدام بين عساكره وموظفيه وبين الأهالي ، فامتلأت السجون ، وصار الجميع يلجئون لآل النمر ، فصار هؤلاء يرسلون الشكايات بحق المتصرف ويحرضون الناس ويشجعونهم على الشكايات لوالي بيروت وللباب العالي وللسلطان ، فانقضت سنة ١٢٧٦ ﻫ كلها بالشكايات والعنف والاصطدام .

مكيدة ضيا بك لآل النمر

لما أحس ضيا بك بالشكايات ، صار يفكر بالتحرش بآل النمر ليخرجهم عن حلمهم ، فدله أحد المفسدين على مكيدة مغيظة ، وهي أن يحجز على دار عبد القادر اغا النمر في غيابه وغياب عبد الفتاح اغا وبما أن زوجة عبد القادر اغا هي أخت عبد الفتاح اغا وعبد الله اغا

---

(١) الشملة والتلاوية هما نوعان من غطاء الرأس للعامة تشبه العمامة .

فإنه يمس كرامة آل النمر جميعاً فيتحرشون بموظفيه . ولما دخل مأمور المالية ومعه بعض الكتاب والعساكر لدار عبد القادر اغا طردهم شبان آل النمر ورجالهم وأهانوهم ، فاغتاظ ضيا بك وأرسل بطلبهم .

محاولة اغتيال ضيا بك

كان عبد الله آغا أخو عبد الفتاح آغا النمر قوي النفس عصبي المزاج ، فلما بلغه ما حصل وأن ضيا بك يشدد في طلبه وطلب باقي الشبان ، ذهب برجاله الى السراية فدخل على المتصرف ضيا بك واستل سيفه يريد اغتياله ، فحال رجال المجلس والحراس دون ذلك وقبضوا عليه وهو بحالة جنونية ، فذعر المتصرف وازداد غيظاً .

ولما عاد عبد الفتاح آغا وعبد القادر آغا لنابلس وبلغهما الخبر اسقط في أيديهما لاعتقادهما أنها مكيدة وأن المتصرف لم يلجأ لهذه الأعمال إلا حينما تأكد نجاح الشكايات ، فأسرعا الى ديوان المتصرف ، وصار عبد الفتاح آغا يلاطفه ويعمل لإزالة سوء التفاهم ، فخرج المتصرف بكلامه على شبان آل النمر وتطاول على عبد الفتاح آغا في المجلس ، فهجم عليه عبد الفتاح آغا وعبد القادر آغا ورمياه على الأرض وداس عبد الفتاح آغا رقبته قائلاً : بلغ الدولة العلية بأننا لا نحكم بالسفه ولا نصبر على الذل .

المظاهرات المسلحة

كان جبل نابلس على اختلاف صفوفه وعشائره ونزعاته قد سئم استبداد ضيا بك وعسف عساكره وباتوا جميعاً يترقبون موقف عبد الفتاح آغا النمر ، فلما وقع بينه وبين المتصرف ما وقع حسب حساب عساكر ضيا بك ولؤمه ، فرتب المظاهرات المسلحة ، فصارت جرود نواحي

جبل نابلس المسلحة ترد الى نابلس ليل نهار فتلفي[١] على دار النمر وتخرج منها فتمر عن باب السراية وتطلق نيران بنادقها تحت مقصورة ضيا بك فاضطر ضيا بك على التحصن بعساكره داخل السراية ، وظل محصوراً فيها إلى أن وصلته النجدة من بيروت والشام والقدس وعكا .

تسريح عبد الفتاح آغا وعبد القادر آغا

بعد أن داس عبد الفتاح آغا النمر رقبة المتصرف بلغ الأمر النهاية ، فصار ضيا بك يجمع عساكره ليلقي القبض عليه ، وكتب بالواقع محضراً للوالي ، ولما رأى المظاهرات كتب للوالي يخبره بأن آل النمر أعلنوا الثورة ، فصدر الأمر بالقبض على عبد الفتاح آغا وعبد القادر آغا ، وتوالت النجدات على ضيا بك من القدس وبيروت وعكا ودمشق ، فسلم عبد الفتاح آغا وعبد القادر آغا أنفسهما دون أن تسفك قطرة دم ، وأرسلا محروسين عن طريق يافا بحراً الى بيروت ، وأقسم عبد الفتاح آغا النمر أن لا يعود من بيروت إلا بعد أن يخرج ضيا بك من نابلس مطروداً مجرساً[٢] .

عزل ضيا بك وتجريسه

في هذه السنة اي سنة ١٢٧٧ هـ جلس السلطان عبد العزيز على عرش ال عثمان وكان اول وزرائه العظام محمد رشدي باشا القبرصي فكتب له عبد الفتاح اغا النمر عن اعمال ضيا بك مع الشعب ومع ال النمر مفصلاً فاصدر امره باخلاء سبيل عبد الفتاح آغا وعبد القادر اغا

---

(١) تلفي اي تنزل . (٢) التجريس هو أن يركب المجرس على حمار معكوساً فيطاف به في الشوارع ، وهذه المعاملة كان يعامل بها من ينتهك الحرمات ، وقد جرس ضيا بك لانتهاكه حرمة عمائم العامة .

وبطرد ضيا بك وتجريسه وعمل عبد الفتاح اغا النمر جهده لأن يكون دخوله لنابلس في اليوم الذي يجرس ويطرد فيه ضيا بك . فكان الامر كما أراد وفاز بطرد ضيا بك فجرس في شوارع نابلس ثم اخرج من نابلس في الساعة التي دخل فيها عبد الفتاح آغا والتقيا خارج نابلس من الغرب عند وادي التفاح فقال له عبد الفتاح اغا « هذا جزاء السفهاء اللئام » و كانت في هذه الصدمة عبرة لكل من عين متصرفاً لنابلس بعد ضيا بك وقد كلفت آل النمر ثمناً باهظاً . ولولا أموال الست[1] اليمن لما استطاعوا الوصول الى هذا الحد من الفوز الذي جمع القلوب كلها على حبهم فاستردوا بها مكانتهم في جميع جبل نابلس واستقبل كبيرهم استقبالاً تاريخياً .

استقبال عبد الفتاح اغا و وداع عهد الاقطاع

رجع عبد الفتاح اغا النمر وقائده عبد القادر اغا النمر من بيروت بالبحر الى يافا فاستقبلهما على الميناء قائمقامهما مصطفى بك السعيد[2] وبعد انتهاء الضيافة خرج معهما فاستقبلتهم القرى من يافا الى نابلس على اختلاف الصفوف ، الرجال والنساء ؛ و كانت خيولهم تدوس على الشنابر الحمراء[3] والبيضاء طول الطريق و كانت اصوات الرصاص تتصاعد في كل مكان فكان استقبالاً تاريخياً منقطع النظير وكان وداعاً لعهد الاقطاع وفروسيته وقد عد عبد الفتاح اغا النمر منقذاً فقال له الشاعر النابلسي[4] :

---

(١) هي أم عبد الفتاح اغا التي كانت تمد ولدها وأخاها بلا حساب — راجع ترجمتها في فصل الحريم من الجزء الثاني . (٢) هو جد آل السعيد في يافا وهو من ذرية ابن ادهيس شيخ حامولة جباره المار الذكر . (٣) الشعار الأحمر لصف القيس والأبيض لصف اليمن والشنابر هي وشاح القرويات وشرح ذلك في فصل عرف الصفوف واستقبال الامير في باب الامارة من الجزء الثاني . (٤) راجع فصل الشعر في باب اللغة من الجزء الثاني .

ولولا عابد الفتاح خلاً لصرنا في بني الدنيا اسارى
حليف المكرمات ابو المعالي اجل الناس قدراً واقتدارا
اعز بني الملوك[1] الغر نفساً واشجعهم وامنعهم ديارا

آخر معارك القيس واليمن

وبعد وصول عبد الفتاح اغا النمر لنابلس خرج مصطفى بك السعيد شيخ حامولة جبارة بالجرود والجموع الى الشمال فثار لعرابة بنهب جبع وميثلون وبرقين وعاد بعد ذلك الى يافا وذلك سنة ١٢٧٨ فلم يبق للصفين عند بعضهما ثأر، وانتهت الحرب الاهلية وعهد الاقطاع معاً.

انتهى الجزء الاول في ٨ من ذي الحجة سنة ١٣٥٦ هـ الموافق ٨ شباط سنة ١٩٣٨م ويليه الجزء الثاني وهو يبحث عن مدنية الحكم الذاتي الاقطاعي

ملحوظة

أخذ مناظر هذا الجزء السيد عادل دروزة، وحفر كليشيهاته على الزنك السيد شكري حجاب وكلاهما في نابلس.

---

(١) يشير الى تلقيب الشعب اباه واجداده بالملوك وبالسلاطين كما سيظهر في وثائق الجزء الثاني وكما مر في الحوادث الجارية.

« جدول الخطأ والصواب »

صواب	خطأ	سطر	صفحة
عروبتها	عروبيتها	٦	٨
حنو	صفو	٢٢	٦٢
وادي القلت	واد اتصلت	١٨	٦٤
وفصيلة من المماليك	وفصيلة من التركمان	١٧	٧٢
القنعير	القنصير	١	٧٩
الشعراوية	القراوية	٨و٩	٧٩
والاخرصي	والاخرص	١١	٨١
والمصري	والمعري	٣	٨٣
ينعش الفارس قبل الفرس	ينعش الغارس قبل الغرس	١٢	٩٠
سوف	سوق	١٣	٩٨
وباقه الغربية	وباقو الغربية	١	١٠٤
من المصر	من المعبر	١	١٣٠
بني شمسة	ابن شمسة	١٩	١٣٤
وأوصرين	واحوصرين	٤	١٣٤
جدى	جدعا	١٢	١٥٣
هل من سادي	هل من صادي	١٩	١٦٣
المسارعة	المارعة	٨	١٧١
لمقاومة	عن مقاومة	١٥	١٧٢
رامين	راسين	١٣	١٧٦
في بلاطة	في البلاطة	٦	١٨٩
البسطة	السبطة	٢١	١٩٢
موسى آغا والسلطان	مصطفى اغا والسلطان	١٥	٢١٤
رفع البيكات	دفع البيكات	٣	٢٢١
عصبيته القريبة	عصبيته الغريبة	٦	٢٣١
ما زال	ما يزال	٥	٢٦٥
وصرة	وحرة	٧	٢٨٢
عنبتا	غبتا	١٥	٢٨٢
عبد الجابر	عبد القادر	١٨	٢٨٨
ليوم خروبة	ليوم سزوبة	٩	٢٩٦

محتويات الكتاب

صفحة

الجزء الثاني

حضارة الاقطاع

وهو يقسم الى سبعة أبواب

تبحث عن حالة الأديان وأتباعها ، وعن اللغة وحالتها ، وعن العلم والعلماء ، وعن الحكومة والمحكمة والأقطاع والميري والنواحي وألاي السباهيات ، وعن الامارة وتقاليدها وشروطها وفتوتها وفروستها وعرف الصفوف والقانون العشائري ، وعن التجارة ومعاملاتها وتعاملها ، والصناعة وأنواعها .

وعن أحوال المجتمع وعاداته في كل شيء والرقي الذي بلغه المجتمع الاقطاعي النابلسي شرحاً وافياً يري حالة عصر التبس على الناس أمره ، وأسيء الى أهله .

الجزء الثالث

الحكم الأجنبي والنضال القومي

وهو يبحث :

عن دور الانتقال من الحكم الاقطاعي الذاتي الى الحكم المدني الأجنبي وعن موقف أمراء ومشايخ جبل نابلس وتعقلهم ، ويبحث عن دور الانحلال وما حصل فيه ، وعن عهد الحرية والفكرة العربية ، وعن الحرب الكبرى ، والثورة العربية ، وعن الاحتلال والانتداب وعن الحركة الوطنية في نابلس خاصة وفلسطين عامة الى ما بعد تقرير اللجنة الملكية بقليل ، بأسلوب تحليلي صريح ، وعن الأحوال العامة في جبل نابلس في هذا العهد من الوجهة : العلمية والاقتصادية والاجتماعية والأعمال والمشاريع الخيرية ، وفي هذا الجزء فوائد كبرى لأنه يري تدرج البلاد ووصولها الى هذا الحد من عامة الوجود أفراداً وجماعة .

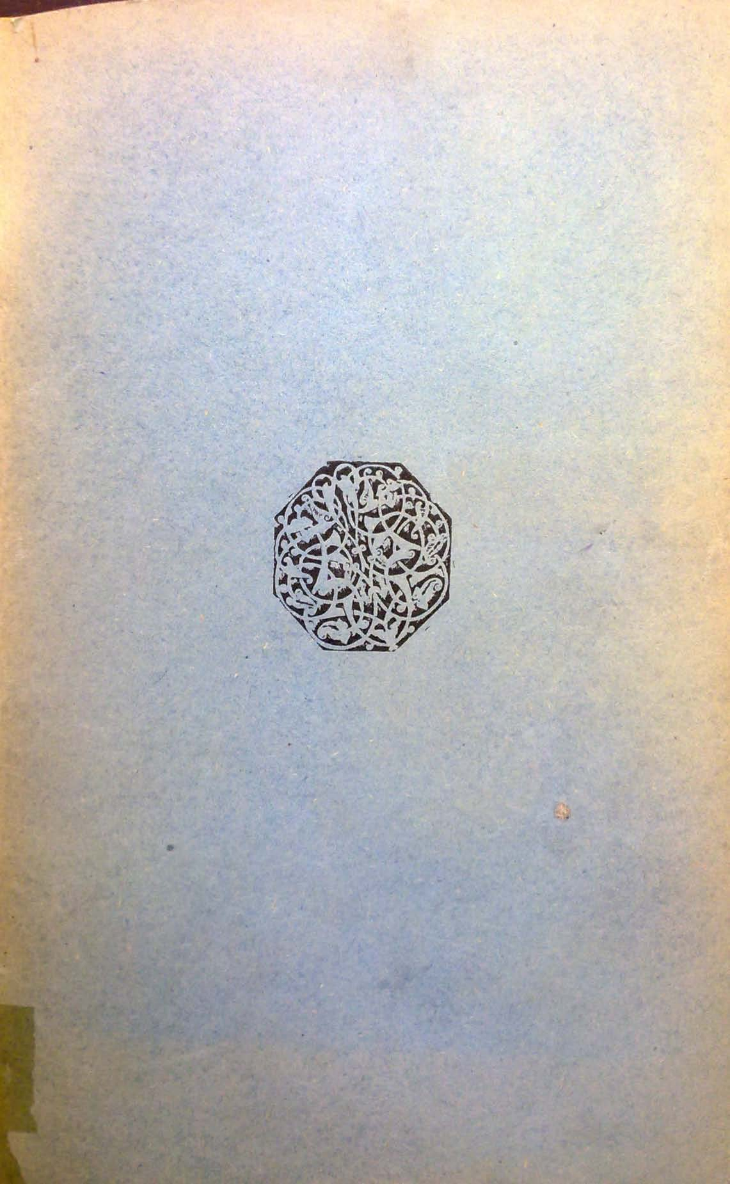


انتظروا

العربي الكامل

لمؤلف هذا الكتاب

وهو كتاب أخلاقي ثقافي يبحث عن حياة العربي الكامل ونشأته واكتماله من الوجود الى الخلود بكافة نواحيها وتطوراتها مع إبانة ما يكسبه الرفعة الدنيوية والخلود الأخروي ومعالجة كافة النقائص ونواحي الضعف التي يشكو منها العالم العربي أفراداً وجماعة لإعاقتها تقدمه مع التوفيق بين روح الإسلام ، وأساليب العصر ، متمشياً على قاعدة «الإسلام دين خالد» بأسلوب تحليلي مبتكر ، يقع في ثلاثة أجزاء ببضع مئات من الصفحات .





أبي زابورة الى نهر الاردن في مدة خمس عشرة ساعة وتقطعها السيارة بنحو ثلاث ساعات .

وتقع الكتلة الجبلية في القسم الاوسط متصلة بجبال القدس تمتد غربها سهول بني صعب (سارونه) وشمالها مرج ابن عامر وسهول بيسان وتنحدر شرقاً الى الأغوار التي تستمر بانحدار الى نهر الاردن . وتتخلل المنطقة الجبلية سهول صغيرة منها : سهل عسكر ، وسهل رامين ، وسهل جبع ، وسهل صانور ؛ وأودية صعبة المسالك منها : وادي البادان والفارعة ، ووادي نابلس ، ووادي دعوق ، ووادي عزون ، ووادي قانة . وتتخلل السهول بعض المستنقعات التي تسمى البصاص [1] لا سيما في سهول سارونه وأحياناً في مرج ابن عامر وسهل صانور .

وهذا التكوين الطبيعي لجبل نابلس جعله محصناً تحصيناً طبيعياً بحيث يرى العدو في السهول الغربية والشمالية ولا يتمكن من اجتياز الأودية بعد ذلك إلا بمشقة كبيرة كما سيظهر من الحوادث الآتية و كذلك من الجهة الشرقية يصادف الأغوار الصعبة المسالك ومن الجنوب جبال القدس الوعرة وبذلك يصبح الوصول إلى مدينة نابلس صعباً . وقد أقيمت على رؤوس الجبال أبراج للمراقبة سميت باسم حارسها وهي تعتبر مقامات أولياء والواقع أنها مراقب في الحروب الصليبية كانت تشير إلى بعضها بمشاعل النار فينقل الخبر بسرعة ويستعد الجميع للخطر المداهم . فيلاقي العدو مقاومة أينما اتجه .

طبيعة وجمال

بالرغم عن أن جبل نابلس في المنطقة المعتدلة إلا أنه يقسم من

---

(١) جمع بصة أي مستنقع الماء .